



الفن القصصي

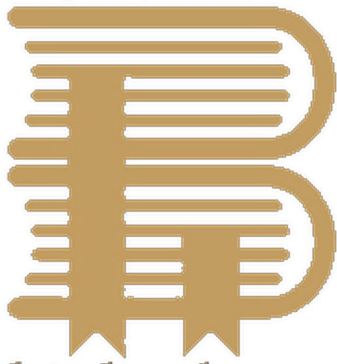
في

الأدب العراقي الحديث

المجلد الأول

لأستاذة العربية

في العراق



المقدمة

1 1974

١٩٧٤

موضوع هذا البحث (الفن القصصي في الادب العراقي الحديث - الرواية والمسرحية) موضوع يجد له اشد الدوافع ويملك العديد من المبررات . فالرواية والمسرحية يمثلان اليوم قمة تطور الانواع الادبية ورغم هذا فانهما لم تدرسا دراسة كافية كما درس الشعر ولم تبحثا بحثاً جاداً غنياً ، ويجد طالب العلم نفسه نتيجة ذلك امام فراغ لا تسده سوى قلة من الدراسات التاريخية والنقدية . وتضييق الدائرة اكثر حين نوجه اهتمامنا نحو البيئة العراقية خاصة .

وقد نبغ احساسنا بقيمة هذه الدراسة من الاستعداد الخاص البيئي والفكري الذي جعلنا نشعر بضرورة ملحّة لدراسة هذا الفن الوليد الهام دراسة يمكن لها ان تسد بعض النقص الذي تعاني ، وتجد لها مكاناً في فراغ المكتبة العربية الواسع . وقد عنيت بهذه الدراسة ايضاً لاسباب اخرى لعل من اهمها ما لمست من تخبط الباحثين والمؤرخين الذين تعرضوا للمكتابة في هذا الموضوع . وعن المسرح العراقي خاصة ، وأرى ان ما وقعوا فيه من الاخطاء كان نتيجة لإهمال الكتاب المعاصرين وعدم التفاتهم الى كتابة تاريخ الرواد الذين مهدوا السبيل لظهور المسرح العراقي الحديث والرواية العراقية الحديثة . كما كان نتيجة لانعدام

حركة النقد الجدي القائم على الثقافة العميقة المحيطة والحساسية الفنية والتنبيه الوجداني والتجرد من الهوى والميل .
وتشير دراسة الادب الحديث وخاصة في موضوعنا مشكلات كثيرة ، وتضع امام الباحث صعوبات جمّة ، وقد تزداد تأزماً في دراسة فترة قريبة منا ما تزال لصيقة بنا . ويبدو أن النظرة الاولى لهذه الفترة لا تسمح لنا باستجلائها تماما . ومن الباحثين من يرفض دراسة الادب ما قبل مضي فترة غير وجيزة عليه وينحى بالتالي دراسة الاحياء ، وفي زعمهم ان الدراسة الموضوعية والاستجلاء التام لا يتيحها سوى البعد المناسب ، وقد يكون هذا صحيحاً ولكن الابلغ منه صحة انه ما من وقت الا وتبدو فيه الدراسة مبكرة جداً او متأخرة جدا . والرؤية العلمية والموضوعية يمكن ان تتضح جليلة عميقة من خلال العلاقة بين الموضوعات المتشابهة على المسرح الادبي .

والصعوبة الكبرى تتعلق بمصادر البحث ومادته ، فهي ليست ميسرة وغير موجودة في المكتبات العامة ولا الخاصة في العراق ، فاضطرت الى البحث عنها في جميع انحاء العراق والاتصال بالمؤلفين انفسهم ، ومن الغريب ان الكتاب انفسهم قد لا يتوفر لديهم البعض من نتاجهم ، فكان لابد من العناية الشديد والجهد المتواصل للظفر بالكتب المختلفة بالبحث عنها في الزوايا المهملة والاقبية القديمة في الكنائس حتى استطعت ان اعثر على جميع مواد البحث من مسرحيات وروايات . كما كانت الصحف والمجلات المعاصرة مرجعاً أساسياً في بحثي هذا ، وقد بحثت فيها عن الاخبار النقية التي لا تحوي دعوى او اعلانا ، وبذلت جهداً كبيراً لتصفية هذه الاخبار وتمحيص ما فيها من الاخطاء التي

نتجت في الاكثر عن جهل الكتاب او تحيزهم او عدم عنايتهم ، واخيراً اضطرت الى الاتصال الشخصي ببعض رجال الادب والفن وبخاصة المخضرمين الذين عاصروا الحركة المسرحية في اواخر القرن الماضي ومطلع هذا القرن وعاصروا الحركة الادبية القصصية في العراق .

ولم يكتب احد في مثل هذا البحث واعد نفسي رائداً فيه فلم يسبق لاي باحث ان كتب شيئاً عن الرواية العراقية اما المسرح العراقي فقد حظى باهتمام قليل من الباحثين مثل جميل سعيد في كتابه (التيارات الادبية في الادب العراقي الحديث) عام ١٩٥٤ الذي عرض فيه فنون الادب المختلفة من شعر وقصص قصيرة ومسرحيات ودرس عدداً قليلاً من كتاب المسرح ولا سيما كتاب المسرح الشعري . وجاء كتابه في صورة محاضرات ألقيت على القسم الادبي في معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة . ولم يتمكن الباحث من دراسة هذا الموضوع دراسة وافية لانه لم يستطع الحصول على المصادر كما أشار في مقدمة الكتاب لفقدانها من المكتبات العامة والخاصة ، وأنحى باللائمة على انهاء المكتبات العامة في العراق لعدم اهتمامهم بالنتاج العراقي الحديث . وكتب علي الزبيدي بحثاً باسم (المسرحية العربية في العراق) نشره في مجلة الاقلام العراقية في ثلاثة اعداد ، ثم جمع هذه المقالات في كتاب يحمل نفس الاسم بعد ان القاها على شكل محاضرات على طلبة معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة عام ١٩٦٧ . وقد درس المؤلف المسرحية العراقية منذ نشأتها حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، وأشار في كتابه الى جهودتي في هذا الموضوع في أكثر من مكان ، وبين مساعداتي الجمّة له لكي يصحح الاخطاء التي وقع فيها في مقالاته

الاولى ، ولكن الاخطاء واكبت هذا الكتاب وحرمته الدقة العلمية والتزام اساليب البحث العلمي .

ولا ننكر أننا قد افدنا من هاتين الدراستين ، ولكن الفائدة كانت يسيره ومحدودة ، وقد تمرست في اثناء دراستي للموضوع بتجارب قاسية ، وتحملت كثيراً من المشاق بسبب تشعب الموضوع واتساع محيطه وشموله لالوان من الدراسات الجزئية الخاصة بالحياة الاجتماعية والادبية في القرن الماضي وفي هذا القرن . وهذا الاتساع اقتضى مني جهداً متصلاً ، استغرق زمناً طويلاً ، وهذا هو شأن دراساتنا الادبية الحديثة عامة لان أكثرها بـكـر لم يتعرض له الدارسون ، ولم يتناولوه تناولاً جدياً شاملاً يوفر على المتخصصين كثيراً من الجهد والوقت ، ويوفر لهم أسباب العمق في الدراسات التي ينهضون بعينها . وأول مشكلة اعترضني هي الجمع بين فنيين من فنون الادب هما الرواية والمسرحية رغم الفروق العديدة بين هذين الفنيين ورغم ان بعض النقاد في الوقت الذي يعد الرواية فناً من الفنون الادبية لا يعد المسرحية فناً ادبياً لانها تتصل بالحركة وبالفعل اكثر من اتصالها بالادب ، كما تحتاج الى وسائل مساعدة كالديكور والاضاءة والاخراج والمكياج والتمثيل وكلها لاعلاقة لها بالفن الادبي . ولكن الذي اضطرني الى هذا الجمع قلة عدد الروايات والمسرحيات في العراق وقلة النوع الجيد الذي يستحق الدراسة منها ، وانزواء عدد كبير من نصوص هذين النتاجين في زوايا النسيان وعدم معرفة شيء عنهما قبل ان اكتشفها بنفسي نتيجة لبعثي المتواصل المجهد ، وقد استطعت العثور على عدد غير قليل من نتاج هذين الفنيين وعندها فكرت بأن ادرس فناً واحداً فقط ، وخشيت ان تضيق جهودي

السابقة فاندفعت الى الكتابة في هذين الفنين ، وانا اجد العذر لنفسى بأن هناك نسب وثيق ، وقربى دموية بين فن الرواية وفن المسرحية فى قصة حادثة كاملة رغم ان الحادثة القصصية يرويها راوو الحادثة المسرحية يتوارى مؤلفها خلف ابطاله ، وينقلها اليها الحوار والعمل التمثيلي اللذان يوجهان حواسنا بلا وسيط من سرد أو تخيل .

وقد كانت هناك صعوبة اخرى فى محاولة تحديد الفترة الزمنية للمبحث ، فوجدت ان التطور الادبي والفنى لا يخضع للتحديد الزمنى الصارم ، وفضلت ان ادرس هذين الفنين منذ نشوئهما وحتى منتصف الستينات من هذا القرن . واخيرا كان لابد لي من تحديد المفهوم الذى انظر به الى هذين الفنين هل انظر اليهما بمعناهما العام ، أم أقف عند حد الانتاج الذى اصطلح النقاد على تسميته بالفنى ليفصلوا بينه وبين الاشكال الاخرى ، ولما كنت اشعر بأن الرواية العراقية والمسرحية العراقية كانتا وما تزالان فى اول مراحل تطورهما وجدت من الافضل ان اتناولهما بمعناهما العام لا يمكن من تتبع البدايات الاولى التى ادت الى ظهورهما وتطورهما بعد ذلك .

ان الفن يتحرك ضمن مجال فهو ظاهرة متطورة بمعنى انها تؤثر وتتأثر ، اي ان الفن علمة ومعلول فهو ليس ظاهرة جامدة او ثابتة وانما هو ظاهرة دائمة النمو والتغير والتشكل تستجيب فى حركاتها لظروف بيئتها فى شتى مستوياتها وتياراتها . ومن هذا الفهم لظاهرة الفن بدأنا نلتمس الطريق لاستكشاف المجال فى جميع المستويات . وقد وجدنا عقبات كثيرة لان جميع مجالات بيئتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لم تدرس بعد دراسة واعية منظمة بدرجة كافية ، والدراسات الموجودة دراسات مبسطة وموجزة كانت

غايتهما في الاغلب الاعم رصد الظاهر ، دون ان تعلمها او تقف عند مجرد استعراض المعلومات ولا تحاول تفسيرها . ونحن في الواقع ننظر الى موضوعنا من وجهات مختلفة ، وجهات شارحة له ومفسرة ومعللة سواء كانت اجتماعية او نفسية او تاريخية وفي اعتقادنا ان النتاج الادبي في مجموعه ذو مستويات متعددة ، ولا بد لفهمه الفهم الحق ودراسته الدراسة الواعية المنتظمة أن نتخذ له نقداً متعدد المستويات ، يستطيع استعمال التقنيات وضروب المعرفة غير الادبية ، في سبيل الحصول على بصيرة نافذة في الادب تحقق له غنى وعمقاً وتنوعاً .

وقد أدى بنا هذا الوضع الى ان نربط ربطاً محكماً بين التراث واصحابه والبيئة المنتجة . وبذلنا ما نطبق في استغلال جميع السبل المؤدية الى هذا الربط عن طريق دراسة الشخصية وترجمة حياتها . وكان هذا من جملة صعوبات البحث ، فان الكثير من الذين تعرضنا لهم لم نجد لهم بين ايدينا ترجمات يمكن الاستفادة منها ، وقد سد بعض هذا النقص الرسائل التي جرت بيني وبين معظم كتاب الرواية والمسرحية من الاحياء او عن طريق اللقاء الشخصي بهم . وقد مد الى بعضهم يد العون وامتنع آخرون وما صنعنا مثل هذا الصنيع الا لايجاد وسائل اوسع واعمق في فهم الاعمال الادبية ودراستها دراسة تتبع . ويجب ان نضيف الى ذلك شيئاً هاماً وهو ان التراث الغربي عندما فتح على العرب فتح دفعة واحدة ، وكانت جميع المذاهب الادبية قد تبلورت ولكن الأدباء العراقيين لم يأخذوا الا ما يناسب حاجاتهم الفنية والقومية ويستجيب لطاقت جهودهم ومن هنا بدأ التطور من الرواية التعليمية الى الرواية الرومانسية ثم الى الرواية الواقعية . كما بدأ

هذا التطور في المسرحية العراقية ايضاً فتطورت من المسرحية الدينية الى المسرحية التاريخية ثم الى الملوودراما المتأثرة بالمسرحيات الغربية التي ظهرت في القرن الماضي والمسرحيات العربية التي مثلتها الفرق المسرحية المصرية على مسارح العراق في العشرينات حتى استوت في بعضها الى مسرحيات فنية . كما واكبتها المسرحية الشعرية التي لم تلاق نجاحاً في العراق بسبب قلّة اقبال الجمهور عليها . وقد وجدت نفسي امام حقائق لا يمكن انكارها وكان علي أن اجابها ، فان كثيراً من هذه الاتجاهات وجدت متداخلة تداخلا عجيبيّاً في أدبنا سواء في فن الرواية أم في فن المسرحية . ولا تزال الكثرة من الانتاج المعاصر تتلون بجميع هذه الاتجاهات . واذا امكننا أن نرجع الى فنوننا الأدبية الحديثة قد تفتحت اول ما تفتحت في الفترة التي اختلطت فيها الاتجاهات الادبية في الغرب فان هذا يشكل ايضاً عقبة اخرى امام الذين يحملو لهم ان يدرسوا الفنون العربية الحديثة حسب الاتجاهات العالمية . ويضاف الى هذا ان أدباءنا لم يصدروا في أدبهم عن ايدولوجية فكرية او فنية معينة ، ولا يزال العديد منهم يمارس هذا الفن عن هواية .

وعلى هذه العمد الثلاثة الممتزجة والمتكاملة : الزمن الفني والاتجاه الفني والشكل الفني ، قامت طريقة البحث ورسمت خطوطه وتحددت معالمه الكبرى .

وبعد فان البحث الجاد يعمق مع التجارب ، ويعيش على النقاش ، ويكمل بتنوع المحاولات ، ويعني بتناول الآراء ، ومع كل ذلك ومن تعدد الاخطاء ومن المقارنة بين وجهات النظر ينبثق الصواب ويتضح الصدق وتنبليج الحقيقة .

وان البحث الذي نضجت فكرته في ذهني بمرور الايام ، يأبى ان يتكلم بشقة ، وعيبه انه لا يرفع ما انتهى اليه من حقائق ونتائج درجات تبلغ مراتب اليقين . انه بكل تواضع يمنح موضوع الرواية العراقية والمسرحية العراقية والباحثين فيهما والدارسين شتى مجالتهما خدمة بسيطة اولية ان لم تكن فعلية فهي على الاقل ممكنة .

ولا يفوتني ان اذكر بالشكر والتقدير ما قدمه الي اساتذتي الذين لم يألوا جهدا في حل بعض مشاكلي ، ومدي بالمشورة ، ومعاونتي بالرأي والمناقشة في كل ما عنّ لي من مشاكل ، واخص بالذكر الدكتور عبد القادر القط . وارجو ان تكون دراستي هذه فاتحة دراسات كثيرة تليها يقوم بها الباحثون المتخصصون .

واخيراً فانني احس بأنني وان كنت قد حاولت في هذا البحث دراسة بعض القضايا التي تواجه الباحث في مثل هذا الموضوع ، فانني قد فتحت الباب امام قضايا اخرى كثيرة تنتظر الدراسة وارجو ان تتاح الفرصة لي او لغيري ، لمعالجتها في أبحاث اخرى .

الجزء الاول

الرواية العربية في العراق

تمهيد

تأخر ظهور الرواية في العراق عن شقيقاته العربيات مصر ولبنان وسوريا حتى ظهرت اول رواية عراقية عام ١٩١٩ باسم (الرواية الايقاظية) لسليمان فيضي الموصللي .

وقد اختلف الباحثون في تصنيف الرواية الايقاظية فمنهم من وضعها في صنف المقامات (١) ومنهم من وضعها في اطار الفن الروائي (٢) ومنهم من وضعها في نطاق الفن المسرحي (٣) ومنهم من عدها مزيجاً من الفنين الروائي والمسرحي (٤) .

ولم يتبلور الفن الروائي في العراق الا في مطلع العشرينات من

(١) عبدالقادر حسن امين « القصص في الادب العراقي الحديث » ص ٢٠٦

(٢) محمود احمد السيد « السهام المتقابلة » .

(٣) جميل سعيد « نظرات في التيارات الادبية الحديثة في العراق »

ص ٥٢ ، ٥٤ ، جعفر الحليبي « القصة العراقية قديما وحديثا » ص ١٦٨ ، علي

الزبيدي « المسرحية العربية في العراق » ص ٣٨ .

(٤) عمر الطالاب « القصة القصيرة في العراق بعد الحرب العالمية

الثانية » رسالة ماجستير .

هذا القرن بظهور رواية (في سبيل الزواج) عام ١٩٢١ لمحمود احمد السيد (٥) أعقبها بروايته الثانية (مصير الضعفاء) عام ١٩٢٢ . وظهرت في السنة نفسها رواية (فتاة بغداد) مسلسلة في مجلة الزنبقة العراقية (٦) وتوقف مؤلفها الذي لم يذكر اسمه عن نشر سائر حلقات الرواية بتوقف المجلة عن الصدور في مطلع عام ١٩٢٣ . ولا يعني ذلك عدم وجود بدايات تحمل بذورا قصصية في العراق قبل هذا التاريخ ، فقد ظهرت مقامات محمود شكري الآلوسي المسماة « سجع القمرية في ربيع العمرية » عام ١٨٢٠ هـ والتي عدّها أحد الباحثين اول رواية عراقية (٧) .

كما ظهرت بدايات قصصية تحمل طابع المقال السياسي او الاجتماعي في المجلات العراقية مع اغفال اسماء مؤلفيها عام ١٩١٠ مثل (رؤيا عربية) (٨) التي نشرت في مجلة تنوير الافكار بصورة مسلسلة ، وتوالى المقالات القصصية في مجلة لغة العرب العراقية التي تبنت هذا الاتجاه بين عامي ١٩١٣ - ١٩١٤ م (٩) . وقد بدأت مجلة العلوم العراقية بنشر مسلسلتين روائيتين عام ١٩١٠ الاولى باسم (فتاة بغداد) (١٠) لرزوق عيسى ، والثانية باسم

(٥) اجمع الباحثون على انها الرواية العراقية الاولى ، جميل سعيد (المصدر السابق) ، جعفر الخليلي (المصدر السابق) .

(٦) مجلة الزنبقة الاعداد (١ - ١٢) بغداد ، ١٩٢٢ .

(٧) عباس العزاوي « ذكرى ابي اثناء الآلوسي » ص ٦٨ .

(٨) مجلة تنوير الافكار ج ٢ عام ١٩١٠ ، ص ١١٩ ، ١٦٨ ، ٢٢٢ .

(٩) مجلة لغة العرب ج ٤ عام ١٩١٣ ، ج ٥ عام ١٩١٣ ، ج ١٨ عام ١٩١٤ .

(١٠) مجلة العلوم (١ - ٣) عام ١٩١٠ .

(الاولهام) (١١) ليوسف رزق الله غنيمة ، ولكنها توقفت عن اتمامهما بعد صدور ثلاث حلقات لكل منهما . ويبدو ان السبب في ذلك عزوف القراء عن قراءة القصص حينذاك . ويمكن حصر الاسباب التي ادت الى تأخر ظهور الرواية في العراق عن شقيقاته العربيات في أن العراق قد تأخر في حصوله على الاستقلال عن الامبراطورية العثمانية التي جعلت اللغة الرسمية في الدواوين والمدارس ، اللغة التركية ، وفي بعد العراق عن البحر المتوسط الذي يعد وسيلة اتصال الشرق بأوروبا .

ولم يكن الطريق ممهدا امام الروائيين العراقيين بل اعترضت العقبات طريقهم وكان ابرز هذه العقبات ، ضعف استعداد البيئة لتقبل انتاجهم ، وقلة استعداد الناس حينذاك للتعاطي الكامل معهم ، والشعور باليأس الذي ساد العراق عقب فشل ثورة العشرين ، والهزات الاجتماعية الضخمة التي كانت تجتاح العراق من حضارة متبدلة ، وفوضى ضاربة اطنابها في العقائد والافكار ، وعجز المثقفين عن ممارسة علاقة حب حقيقية تنتهي الى نتيجة طبيعية ، وذلك لظروف بيئتهم وللتقاليد الصارمة التي كانت ترى في المرأة كل شيء الا حقيقتها الانسانية ، ولا شك أن المرأة عنصر مهم من عناصر الرواية ووجودها يعطي الاحداث والعلاقات في الرواية جواً من الشمول والصدق ، ولم تدع العقبات التي اعترضت نمو الطبقة الوسطى الفرصة لتغير الثقافة تغييراً جذرياً ، ولم تفلح في التأثير في الاجهزة التعليمية والثقافية بصورة تخلق جمهوراً مثقفاً ثقافة حقيقية ، يستطيع التجاوب تجاوباً كاملاً مع الدعوة الى التحرير الاجتماعي والفكري .

وهكذا ظهرت بعض الدعوات التي تحث على ترك قراءة الروايات ، كالذي جاء في جريدة صدى بابل العراقية عام ١٩٠٩ « لا اشير عليك ان تقرئي الروايات الخيالية لانها غالباً تحرك القلب حراكاً شديداً تخرجه عن طور المحبة المعتدل الى الاحساس الشديد لا بل الى الهيجان العصبي فتتولد الاوهام ويؤسر القلب الحر برباطات خيالية لا تجدي نفعا » (١) .

وجاء في مجلة لغة العرب عام ١٩١٣ « الا أن بعضهم شغفوا ببعض ما يخالف الغاية المحمودة فأخذوا يطالعون المصنفات التي تؤدي الى مهاوي الفساد والعار والشنار » (٢) .

وذهب الكتاب في تجاهلهم للرواية حدا جعلهم يعدون كاتب الرواية متطفلاً على موائد الادب ، لا يستحق اكثر من الاهمال والاحتقار ، وينظرون الى الرواية على أنها عادة جديدة غريبة عنا تحمل في طياتها منازع اجنبية لا تلائم احوالنا الاجتماعية ولا تناسب اسلوبنا في الحياة .

وأثرت طبيعة الجمهور القارئ العازف عن الرواية في الناشئين وأصحاب المجلات والصحف والقائمين على المؤسسات الفنية ، ودفعتهم الى تقديم الادب الذي يتلاءم مع ذوق أغلبية الجماهير ، والذي يحقق لهم الرواج والكسب ووقفوا موقفاً متعنتاً حذراً من الاعمال الروائية . وقد كان من أسباب تخلف الفن الروائي في العراق الى جانب ذلك ، ان هذا الفن بما له من اطار كبير وما يتضمن من رسم

(١) صدى بابل العدد ٥٩ عام ١٩٠٩ .

(٢) لغة العرب العدد ٧ عام ١٩١٣ .

للشخصيات وتنمية للاحداث والوقائع ، يحتاج الى وقت طويل وفراغ
ورياضة ذهنية ونفسية لم تكن تتيحها ظروف هؤلاء الادباء وسعيهم
الدائب وراء اسباب العيش .

يضاف الى ذلك سوء توزيع الكتاب حينذاك واقتصاره في الاغلب
على بغداد بما كان يحمل الكاتب الذي ينشر اعماله على نفقته باهظة ،
ولم تكن هناك شركات للنشر تحمل هذا العناء عن هؤلاء المؤلفين وربما
كانت محلية الموضوعات والشخصيات في الرواية العراقية من الاسباب
التي جعلت وجودها مقصوراً على دائرة ضيقة في العراق وحده .

هذا بالاضافة الى ما كان يتعرض له الكتاب والادباء من التضييق
من قبل الحكومات التي تولت الحكم في العراق لما يخلفه الأدب الحر
من تهديد لكيانها وسلامتها .

ويضاف الى ذلك كله تأخر النقد في العراق وندرة النقد وقلة
ما يكتبون من أبحاث نقدية ، وانصراف القراء عن قراءة النقد .
ولا نستطيع ان نهمل عاملاً آخر كان له أثر في الجناية على الادب
بوجه عام هو العامل السياسي ، فقد انصرفت الاذهان عن الاهتمام بالادب
الى المشاركة في صور من النضال لكسب حقوق سياسية جديدة او
لتنظيم شؤون اقتصادية ، وما الى ذلك من شؤون الحياة (١) .

(١) انظر عبد الرسول حسين (الركود الادبي في العراق) جريدة العراق
العدد ٣٢٤٩ عام ١٩٣٠ .

سلمان الصفواني (الدين والسياسة والامية وأثرها في سير نهضة العراق
الادبية) البلاد ، العدد (١٨) عام ١٩٣٠ .

وقد استنفدت الثورات في العراق ضد الاستعمارين العثماني والانكليزي جهود الادباء العراقيين ووضعوها قواهم ومواهبهم في خدمة بلادهم .

ويجب الا يغيب عن الباحث عامل آخر ، هو اختلاف ما بين لغة الادب ولغة الكلام اختلافا يجعل قراء الادب قليلين لشيوع الامية وعدم انتشار التعليم انتشاراً كافياً في عهد الاستعمارين العثماني والبريطاني .



وقد قربت الروايات الرائدة التي ذكرناها في القصص والرواية من القراء العراقيين رغم انهم عرفوا في الرواية قبل ذلك عن طريق الترجمة وعن طريق الروايات العربية الحديثة التي صدرت في مصر ولبنان . وأطلعتهم على عالم آخر من الادب .

كما أثارت هذه الروايات بما تناولت من مجالات الحياة العصرية المختلفة ، الانتباه الى قدرة الأدب العراقي على غزو هذه النواحي وعلى ان يضيف الى فنونه القديمة الفنون القصصية الحديثة . وهكذا ساعدت تلك الجهود الرائدة على نشر المعرفة والاتصال بفن الرواية وبعث

- ممتاز العمري (القصة والوسط العراقي) النهضة العراقية العدد ٤٩٨

عام ١٩٣٠ .

الواثق (جمود الحركة الادبية في العراق) العراق العدد ٣٧٥٥ عام ١٩٣٢

ابليس (من فضلكم وسوسات ابليس) مجلة الحاصد العدد ١ عام ١٩٣٥

جرجس يوسف (ادب القصة واثره) مجلة الحاصد العدد ١٧ عام ١٩٣٢

الوعي الفني وتطبيقها للتعبير القصصي .

وقد أسهم حرمان العراق من حرية الصحافة في دعم الادب العراقي بحيث أصبح قوة اجتماعية في المحل الاول ، وبما أن أية مناقشة صريحة في الشؤون والافكار التي تعدها السلطات الحاكمة خطرة كانت ممنوعة ، فلم يكن بد من الاستغناء عنها بفنون الأدب المختلفة لاشباع رغبات الناس ، ومن هنا قضى على الروائيين الرواد ان يمزجوا الادب بالسياسة ، ولا يعني ذلك ان الرواية العراقية الرائدة كانت أدب دعاية ، بل لقد عبر كتابها عن اهتمام الامة بوضعها وحالتها السياسية والاجتماعية . وهذا الادب الذي يعي المهمة التي ينبغي له ان يضطلع بها في حياة البلاد لا يجتزىء مطلقا بايراد واقع جاف . وانما يخلق نماذج من الابطال ويسهم بواسطتهم في نصب مثل علميا تتيح للمجمل الجديد ان يخط لنفسه دربه الخاص وان ينتقل من وعي حقيقته الى العمل البناء المثمر في سبيل تحسين اوضاعه الاجتماعية والسياسية .



وسندرس بعد هذا التمهيد ، المؤثرات التي ساعدت على ظهور الرواية العراقية ، وقد قسمناها الى مؤثرين أساسيين :
مؤثرات عربية .

ومؤثرات خارجية .

وانتقلنا الى دراسة البدايات المبتكرة للرواية العراقية ، والتي ظهرت

في المجلات .

ثم انتقلنا بعد ذلك الى دراسة الرواية الايقاظية لسليمان فيضي
باعتبارها اول عمل عراقي قريب من الفن الروائي .
وافردنا الجزء الاخير من هذا الفصل لدراسة نتاج محمود احمد
السيد باعتباره اول من كتب رواية فنية في العراق .
وافردنا الفصل الثاني لدراسة الاتجاهات الروائية في العراق ،
فدرسنا الرواية التعليمية والرواية التاريخية والرواية الشعبية والرواية
الرومانسية .
بينما قصرنا الحديث في الفصل الثالث على الرواية الواقعية ، لأن
الاتجاه الواقعي حظى باهتمام كبير من كتاب هذا الفن .



الفصل الأول

نشأة الرواية في العراق

والعوامل المؤثرة في هذه النشأة

(١)

المؤثرات العربية

تدل الدراسة التاريخية لفن القصة في العراق ، على انه فن حديث النشأة ، لا يكاد يسبق القرن العشرين . ومع هذا فان تاريخ النثر القصصي في ادبنا العربي عموما طويل ، فهو من خلال الحكايات والسير الشعبية والاخبار والنوادر والاسماء والامثال يرتد الى عصور قديمة . ولكن بفحص هذه الانواع ، يمكن ان نفرق بين الدلالة الادبية لشكل القصة من حيث هي مصطلح فني وبين الدلالة (الحكائية) لشتى انواع القصص من حيث هي انماط لنقل الخبر الصغير .

ولعل المقامة كانت اول شكل نثري في الادب العربي ، يحمل (حرفية) الصنعة وينسب الى كاتب بعينه . كما اريد به منذ ظهوره ان يضارع الشعر والخطابة او يقف امامهما على الاقل . وقد استطاع بديع الزمان خالق هذا الفن كما استطاع الحريري ان يثبتا في بعض مقاماتهما ، انهما يمتلكان موهبة قصصية فذة . فالمقامة تقوم عندهما على حادثة او مغامرة او حيلة يصنعها بطل ويرويها عنه للمنشئ راو طوحت به الاسفار . ويلتقى في كل مكان ينزل به بالبطل متنكرا بحيث لا تتجلى حقيقته للراوي الا بعد ان يمثل دوره ، وعن هاتين الشخصيتين (البطل والراوي) توجد الحركة في المقامة ، كما يوجد الحوار الذي يتم بينهما في صورة من الصور فيدفع بالحديث الى الامام .

ويمكن ان نلاحظ في المقامة ايضاً التصميم في الشكل والفكرة (وخاصة عند الحريري) كما نعث على العقدة والاسلوب والمفاجأة والعرض القائم على التشويق ، وهي في بعض ملامحها ترتبط في الحياة الاجتماعية ارتباطاً وثيقاً . كل ذلك يقربها من القصة في شكل من اشكالها (١) . وقد ذهب الهمداني في باقي مقاماته وراء غايات اخرى تجعلنا نشك في هدفه القصص ونرجح عليه الهدف التعليمي الوعظي ، والذي يستقرى المقامات ، ويفحصها على مدى تاريخها الطويل ، منذ البديع عام (٢٩٨) حتى السيوطي عام (٩١١) ، يجد انها كانت تتحول عند كل كاتب ومع مرور الزمن الى شكل تتوفر في بعضه المادة القصصية ، ويبعد في أكثره كل البعد عن هذه المادة ، وعن مزية القصة ، فتفقد المقامة حركتها وشخصيتها معاً . وهكذا أصبحت المقامة عند الزمخشري (٥٣٨) اسلوباً للمناجاة الدينية ووعظ النفس وحشها على الصلاح والتقوى ، وتحولت عند ابن الجوزي (٧٠١) الى خطب ونكت فقهية وأصول نحوية . واتجهت عند ابن الوردي (٧٤٩) الى حكم ومواعظ لتدل شخصياتها على وجود الخالق ، وأصبحت عند السيوطي (٩١١) رسائل مسجوعة تمتلئ بالحديث والمعلومات (٢) .

وبذلك فقد الشكل القصصي أهميته على مر العصور ولم يبق من المقامة سوى هدفها التعليمي أو الوعظي الذي كان ينشر أحياناً على

(١) قارن مثلاً عند الهمداني المقامات التالية : البغدادية ، المضرية الاسدية البشرية .

(٢) جميل سلطان (في القصة والمقامة) يورد في آخر الكتاب قائمة لاهم المقامات عبر التاريخ الادبي .

هيكل غير متماسك من الحكاية ويتوسل بأسلوب مزركش مليء بالزينة اللفظية .

ولم تستطع المقامة ولا الالوان القصصية والحكاية القديمة ان تشكل فناً قصصياً ، وظلت على كثافة مادتها وتشتمت المحاولات فيها ، مفتقرة الى اليد الصناع التي تخلق منها ذلك الفن وقد تحجرت المقامة على مر العصور ، اما باقي العناصر القصصية فلم يهتم بها الخاصة ولا الادب العربي الفصيح اهتماماً كبيراً وترك امرها وخاصة الانماط الشعبية منها وهي التي تحفل بخصب المادة القصصية الى عامة الشعب .

وكانت النتيجة الطبيعية لذلك كله ، أن القصة في التراث العربي القديم وعلى تتابع عصوره ، أصبحت غير واضحة المعالم .

وعندما جاء القرن التاسع عشر ، وظهرت فكرة بعث التراث تحت تأثير الظروف الاجتماعية والسياسية والقومية ، وجد الكتاب ان شكل المقامة يتلائم وبعض حاجاتهم الادبية .

وقد نظروا اليها النظرة البيانية اللغوية ولم يلتفتوا الى ما فيها من عنصر قصصي . وكانت محاولات تراوحت بين الفشل والتقليد المشوه ، مثل مقامات احمد البربر عام (١٨١١) ، ونيقولا يوسف الياس عام (١٨٢٨) ، وابراهيم الاحدب عام (١٨٩١) ، التي قلدوا فيها اكثر مقامات الحريري . ولعل أنضج هذه المحاولات وأشهرها مقامات نصيف اليازجي عام (١٨٧١) ، وفارس الشدياق عام (١٨٨٧) في بلاد الشام ، وابراهيم المويلحي (١٨٥٨ - ١٩٣٠) وظهرت في العراق مقامة السيد (خليل البصير) (٣) عام (١٧٨١) ومقامة السيد فتح الله

القادري (٤) المتوفى عام (١٧٨٩ م) وهما تصفان حصار الملك نادر شاه للموصل عام ١٧٤٣ م واستبسال اهل المدينة وتضحياتهم في سبيل مدينتهم ، وخضوع نادرشاه وطلبه الصلح من والي المدينة (الحاج حسين باشا الجليلي) . ومن هذه المقامات مقامة الشاعر (حسن عبد الباقي) (٥) عام ١٨٠٠ م ، التي تدور حول الموضوع نفسه وتصف المجاعة التي حلت بمدينة الموصل التي ذهب ضحيتها عشرات الالوف من السكان . ومنها كذلك مقامة السيد (خليل بكتاش) (٦) عام ١٨٢٠ م التي تصور ما وصل اليه العلم من تدهور في مدينة الموصل على ايدي المشعوذين من مدعي العلم ، ونكت على من لهم في ميادين الفضل سوابق ويزدري بكل شيخ له في الادب اباد اُبقت السوابق لواحق ، « فيا أيها المتقعر في خزعبلاته والمتشمر في سفاف خرافاته ما هذه السلطة الشنعاء وما هذه المخاصمة التي هي ادوى من الداء » .

ثم كتب محمود ابو الثناء الألوسي (١٨٠٢ - ١٨٥٤) بعد ذلك مقاماته الاربع أولها رسالة الى أبنائه اما الثلاث الباقيات فقد صور فيها حياته ودراسته وشيوخه وما لاقاه من ظلم الولاة ونفاق الناس . وقد ألحق بها مقامة خامسة سماها (سجع القمرية في ربيع العمرية) (٧)

(٤) ياسين خير الله الخطيب العمري « منية الادباء » .

(٥) مخطوطة في مكتبة د ، صديق الجليلي .

(٦) مخطوطة في مكتبة سعيد الديوه جي .

(٧) طبعت طبعة حجرية في كربلاء ومخطوطة في مكتبة الاوقاف في

بغداد ١٢٧٣ .

تناول فيها مجتمعاً صوفياً يسمى (المجتمع البكتاشي) (٨) وافرغ موضوع هذه القصة في قالب روائي وجعل نفسه من ابطالها ليقرب الموضوع من الواقع ووصف وسائل هذه الجماعة في اجتذاب الشباب ووصف ما رآه عندهم من وسائل الاغراء وكأنه انغمس فعلاً في لذائذهم الا أنه نجا منهم بأعجوبة اذ تغلب فيها على أهوائه . وأبدى فيها أوضاع رجال هذه الطريقة ممثلة في واحد منهم هو شيخ البكتاشية (خليل دده) وبين كيف حاول هذا الشيخ اصطياده بتقديم المغريات له فوقع في الفخ وانحرف ثم ثاب الى رشده فاستل نفسه (٩) .

وتجد في هذه المقامة نفحات من الرواية (١٠) وانطلاقاً بسيطاً من قيود المقامة وبالرغم من اسلوبها المسجوع فإنها لا تخلو من طرافة تجعل القارئ يواصل قراءتها . يفتتحها بالبسملة ثم يقول :

خليلي ان الحب ما تعرفانه فلا تنكرا ان الحنين من الوجد
ويخاطب خليله قائلاً (وقد لزمنا الإقامة في المدرسة العمرية الواقعة في الجانب الغربي من بغداد وشرقي جامع القمرية بين طلبة اخلاقهم ارق من دمة الصبا بل الطف مـن وابل اوام الزهر غب الجذب . ما فيهم الا من جعل له لثم الايدي لثاماً واتخذ دون من

(٨) طريقة من طرق المتصوفة وكانت قد انتشرت في العراق في القرن التاسع عشر .

حكى ما جرى له في قصته المذكورة سنة ١٨٢٠ م فكان قبل القضاء على البكتاشية بمدة يسيرة سنة ١٨٢٥ .

(١٠) يقول عباس العزاوي (ذكرى ابي الثناء الألوسي) ص ٦٨ : وتعد اول قصة حياتية من نوعها تهدف الى الاصلاح كما يهدف الغربيون اليوم فكان بانى القصة في العراق .

هو في السن امامي اماما) .

ثم يطرق بابه رسول يفيض في الحديث عن الهوى والمدام ، وينشده الشعر العذب ، ويتفق معه على ان يلما ببعض الاصدقاء والاحباب في بستان سليمان باشا الكبير (فلما رأوني قالوا حياك الله وبياك واسعدنا بلقياك ومتعنا برؤية حياك ، ثم نادى احدهم بصوت مديد اهل القصر ابشروا بالصفاء فهذا بيت القصيد فجاؤا يهرعون وجعلوا من حلقتهم يستلمون ومن كل حذب ينسلون والشيخ امامهم كالكرة يتدحرج ونشر شوقه القديم الي يتأرجح) ثم يعود الى مدرسته وطلبته ويلقي عليهم الدرس ، ويحمد الله على انهم لم يعرفوا سر انتشاره وتورد وجنتيه من الحمرة التي شربها . ويعود ثانية في صحبة غلام الى ذلك البستان الوارف ويبدأ مطارحته الغرام (فلما غسلنا الايدي من اثر الطعام هب كل من الحاضرين اثر ذلك للمنام وقمت انا ووسدت الغلام بيمينى وضممته الى صدري لأقيه البرد وبقيني انه يقيني فقمنا وما علينا لحاف الا الصيانة والعفاف ولم يوقظنا الا حر الهجير بلاواه وفاتتنا صلاة الفجر وحسبنا الله . . . فدنا الي ووضع شفته على شفتي فجعلت ارشف من هاتيك الشفاء ما هو لدى اسكندر القلب اهم من ماء الحياة حتى اذا ارتضعت من ذياك البارد العذب) .

ولكنه سرعان ما يبرم بهذه الحياة فيطلقها طلاقاً بائناً ويعود الى سالف سيرته بعد ان مات الشيخ والغلام فجأة .

وخرج الألوسي عن نهج المقامة المعروف فلا نجد في مقامته راوياً ولم يستهدف من كتابتها غرضاً من الأغراض التي تكتب من اجلها المقامات في الادب العربي ، وانما استهدف غاية اوسع واكثر صلة

بالحياة من التعليم أو اظهار المهارة اللغوية . وقد وفق ابو الشناء في هذه المقامة في عرض مضمون يستوفى بعض شروط القصة فقد تابع انحدار الشخصية الرئيسية في المقامة من زهده وتقواه حتى انسياقه مع المجنون الذي نجح الشيخ في اغرائه به ، وقد صور مشاعر صاحب هذه الشخصية تصويرا صادقا ينبض بالحرارة . وكان رد الفعل النفسي لموت الشيخ ثم الغلام الذي تعلق بحبه البطل طبيعيا منسجما مع نفسية البطل التي صورها كما ينسجم حب الغلام مع ما كان شائعا من ذلك العصر لانفصال الرجل عن المرأة بحجاب سميك من التقاليد . وقد استطاع الكاتب من خلال عرضه للحدث ان يبين الكثير من المفاسد التي كانت تعم المجتمع العراقي .

ومن المفاجاة للمواقع ان نطمس في محاولة ابي الشناء ادراكاً واعياً لانشاء قصة ذات لون محلي ، رغم ان حوادثه بغدادية صرفة وذات لون محلي وهو امر يندر أن يلجأ اليه كاتب مغرق في القديم والتقليد في عصر مثل عصر ابي الشناء ، لأن الوعي يتأتى من سعى نحو الشيء الذي يزعم الاديب انشاءه وهواه ولم يخطر له على بال لانه لم يعرف هذا اللون من الفن فقد عاش في بيئة ضيقة منعزلة وهو بحكم ثقافته التي نشأ عليها كان أقرب الى الالوان الادبية القديمة فأسرف في استعمال السجع والمجاز والاستعارات والتشبيهات والاستشهاد بالشعر (١١) وتكلف الحوادث .

(١١) د . محمد مهدي البصير (نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر) ٢٢٣ حتى لقد يخيل لي وانا اقرأ مقاماته انني اقرأ باباً من حماسة أبي تمام وابواب حماسة البحتري .

وقد عد بعض الباحثين (١٢) « الرواية الايقاظية » لسليمان فيضي والتي ظهرت عام ١٩١٩ من باب المقامة وان كنا نرى انها اقرب الى الفن القصصي منها الى المقامة وأنها اول عمل قصصي حديث ظهر في العراق ، ولكننا نجدها قد تأثرت بالمقامة من حيث الاسلوب وعناية فيضي بالسجع واختيار اللفظ وقصر الجمل وموسيقاها ، ولكن أسلوبه يختلف مع ذلك عن اسلوب المقامة في كونه لا يلجأ الى التعمق ولا يختار الغريب من الالفاظ .

وقد ارتبطت الرواية الايقاظية بالمجتمع الذي تدور فيه وهي في ارتباطها بمجتمعنا تكاد تتفق مع المقامة التي كانت تعني بوصف الكثير من وجوه الحياة الاجتماعية في عصرها على نحو ما نرى في المقامة البغدادية لبديع الزمان ، والتي تصور الحياة في بغداد والمقامة النيسابورية التي تقدم صورة دقيقة لفساد القضاء في عصره (١٣) .

وتعقبه شخصية « يقظان » شخوص المقامات ، فهي شخصية وهمية تلازم (باقل) الشخصية الرئيسية دائماً وتقف الى جانبه ولا تحس الشخص الاخرى بها ، دأبها الانتقاد والتعليق على حديث الشخص ثم تختفي نهائياً من الرواية بعد ان يتيقظ (باقل) ويتلقى العلم في المدرسة .

وسنتكلم عن الرواية الايقاظية كأول عمل قصصي ظهر في العراق .



(١٢) عبد القادر حسن امين (القصص في الادب العراقي الحديث)

ص ٢٠٦ .

(١٣) شوقي ضيف (المقامة) ص ٩ ، ٢٩ - ٣٠

اما القصص الشعبي فلم يكن آنئذ معدوداً من الفن الادبي في شيء ، بل كان ينظر اليه نظرة احتقار وازدراء لانه لا يليق الا بالعوام فكان الأدباء في القرن التاسع عشر يتعالون عليه ويتجافون عنه ، لذا عجزت الحكايات الشعبية بأنواعها عن ان تهىء لكتاب القصة في اوائل القرن العشرين . مادة يأخذون منها الا انها اوحث لبعض الشعراء الشعبيين بعض الحكايات الملحمية .

واستمد بعض قصصي فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية موضوعات بعض قصصهم من الادب الشعبي مثل عبد الكريم عباس في روايته (رجل الاسرار) ١٩٤٤ وجعفر الخليلي في روايته (في قرى الجن) ١٩٤٨ وفلك الدين الكاكائي في روايته (بطاقة يانصيب) ١٩٦٧ ، لان قصصي ما قبل الحرب العالمية الثانية شغلوا عن الموضوعات المستمدة من التراث الشعبي بمعالجة الموضوعات الاجتماعية والسياسية . فقد كانت الرواية العراقية في بداياتها منبراً وعظيماً وتعليمياً قبل ان تكون وسيلة للتسلية ، او قالباً فنياً يعني المؤلف في صوغه .

وتأثر الادب العراقي الحديث بالقصص الشعري القديم ويبدو هذا التأثير واضحاً في شعر الرصافي والكاظمي والزهراوي . وقد ترك اثره كذلك في القصص الشعري مثل (زينب وخالد) ١٩٢٣ لخيري الهنداوي و (رواية الحق والعدالة) ١٩٢٩ لسليمان غزالة . وازدهرت القصة الشعرية بعد الحرب العالمية الثانية عند يحيى فايق في (الفجر الثائر) وعلي الصغير في (مرجريت) ١٩٤٨ وصفاء الحيدري في (عبث) ١٩٥٠ و (بابيلون) وعبد السلام ابراهيم ناجي في (ثريا) ١٩٥٢ وسعدي يوسف في (القرصان) ١٩٥٣ وبدر شاكر السياب في (الاسلحة والاطفال)

١٩٥٤ و (المومس العمياء) ١٩٥٤ و محمد رضا الخالصي في (رواية
الطف) ١٩٥٥ و موسى النقدي في (محمود والقمر) ١٩٥٨ .

ويمكننا في هذه الحالة ان نتساءل : هل نبتت الرواية الحديثة في
العراق من هذه الجذور ؟

الواقع ان ثمة انقطاعاً او ما يشبه الانقطاع بين الرواية العراقية
الحديثة وبين التراث العريق ، فقد ولدت الرواية العراقية الحديثة مع
ولادة المجتمع العراقي الحديث وتأثرت قدر تأثره بالحضارة الغربية
ومثلها الفكرية والاجتماعية ، انها في القالب الفني وفي المحتوى وفي
الدلالة الاجتماعية على السواء شيء جديد ، ولم يكن بإمكان التراث
القديم على ما فيه من روعة وطرافة واصالة ان يرضي حاجات الطبقة
المتوسطة التي أخذت تتسع وتقوى وتستولي على الجهاز الاداري الى حد
بعيد في مطلع القرن العشرين ، ويتلام معها ، لانه يعبر عن مجتمع
القرون الوسطى وعن مثل في الحياة متصلة بأنماط من الحكم وعلاقات
في الاقتصاد والمجتمع بدأت في الاضمحلال وبدأ التطور الاجتماعي
يقودها الى غيرها ، واذا وجد بعض الدارسين في القصص العراقي شيئاً
من الملامح القديمة كان مؤلفوها قد استوحوا مضمونها من موضوعات
قديمة ، فان جميع هذه الاستيحاءات وقفت عند حدود الاستلهام في
الموضوع ، ولم تتجاوز ذلك التأثير في الشكل والصنعة بسبب بسيط هو
أن التراث القديم لم يحقق فيه الصفات الفنية للرواية ، وأصبح أغلبه
من وثائق التاريخ الذي لا نحس بآثاره في قصصنا العراقي الحديث الا
في مجال ضيق وعند بعض القصاص الذين يستوحون الآثار الشعبية .



ولم نلمس تأثير الرواية العربية الحديثة على نشأة الرواية العراقية الا في نطاق محدود جداً ، حيث وجدنا جوانب شبه بين (الرواية الايقاظية) لسليمان فيضي و (حديث عيسى بن هشام) للمويلحي ، وهذا الشبه لا ينحصر في استخدام السجع بل يتعداه الى محاولة كل منهما اسباغ طابع الخيال او الحلم على موضوعيهما ، فالمويلحي يوحى لنا على لسان عيسى بن هشام في الاسطر الاولى بأن الاحداث التي وردت فيها كانت حلماً ظهر في نومه ، ولكن الاحداث تمضى دون ان يظهر عليهم اي طابع مما يميز الاحلام في فوضائها وعدم انتظامها ، وهذا ما فعله سليمان فيضي ايضاً ، والى جانب ذلك اهتمامهما بالمجتمع وذكر مساوئه ومحاولة اصلاحه . وقد تأثر (آكوب كبرائيل) بروايات (فرح أنطون) في روايته (عجائب الزمان في صرح عروس البلدان) التي ظهرت عام ١٩٢٨ ، فهو يدين بالولاء الكامل للحضارة الغربية وأفكارها وينقل عنها مظاهرها الحضارية في سياق السرد القصصي ، ويدعو الى الاخاء بين الناس وبين الاديان كما فعل فرح أنطون في رواياته (١٤) .



وقد تفاعل العراق مع الاقطار العربية الاخرى تفاعلاً فكرياً واجتماعياً وسياسياً ، وكانت فكرة القومية هي الفكرة التي تبلورت في نفس المواطن العراقي كما تبلورت في نفس المواطن العربي على حد

(١٤) انظر عبد المحسن طه بدر (تطور الرواية العربية الحديثة)

ص ٨٤ ، ٨٧ .

سواء، وليست ثورة العشرين في العراق وثورة عام ١٩١٩ في مصر الا انتصاراً لفكرة القومية في المجال السياسي، وكان قيام هاتين الثورتين يبعث في نفوس المفكرين أملاً بتحقيق الشخصية العربية واستقلال هذه الشخصية في شتى المجالات الفكرية والادبية .

وقد بدأت ملامح الادب العراقي تنضج على اثر هذه الهزة الكبرى التي أحدثتها ثورة العشرين اذ انعكس هذا الحدث التاريخي في الادب وهذه النزعة هي التي ميزت الادب العراقي الحديث عن ادب سائر البلاد العربية فظلت تلازمه حتى الآن وأصبحت طابعه الخاص . وتتجلى هذه النزعة اكثر ما تتجلى في الادب القصصي الذي انتجه العراق في الثلاثين عاماً الماضية فهو اكثر اهتماماً بالسياسة والاصلاح الاجتماعي من الادب القصصي في البلاد العربية الاخرى .

ونادراً ما تعالج الروايات العراقية موضوعات تخرج عن هذا النطاق وكما كانت ثورة العشرين نقطة تحول كبرى في تاريخ العراق السياسي كالاقتصادي والاجتماعي فقد كانت كذلك ذات اثر بعيد على الحياة الثقافية في العراق بصفة عامة فتطورت الحياة الفكرية والفنية وعن بعض الكتاب بالقصة . وقد قامت ثورة العشرين لتقيم للعراق كياناً مستقلاً خاصاً يفسح المجال امام الشخصية الفردية كيما تظهر وتعبر عن نفسها في جو سليم من الديمقراطية .

وقد نجحت الثورة في ان تسمع العالم صوت العراق حيث طالب العراقيون بحقوقهم في الحرية والاستقلال .

وقد اثرت ثورة العشرين في نفسية العراقيين وشعورهم ، وأثرت في الحياة الفكرية والعلمية أعمق تأثير فانها بطريقة غير مباشرة جاهدت في ان

تنقل الادب والحياة الادبية من عصر المحاكاة والتقليد الى عهد جديد هو الابتكار والخلق . وليس أدل على ذلك من ظهور فن الرواية في الادب العراقي بصورة واضحة عام ١٩٢١ عند محمود السيد ودارت رواية رائدة هي (جلال خالد) ١٩٢٨ لمحمود السيد ايضاً حول الانطباعات التي تركتها ثورة العشرين في نفس مواطن عراقي مثقف . ورغم ان ثورة العشرين كانت تبغى التخلص من الاستعمار الانكليزي فانها اثرت في القيم الاجتماعية والمثل الاخلاقية التي كانت تسود الحياة قبل الثورة وقوت في العراقيين روح الانتماء التي يحس بها المواطن ازاء وطنه ، الى جانب انها جعلت المواطن العراقي يواجه الواقع مواجهة ايجابية فعالة . فأصبح بحكم اشتراكه في الثورة واقعياً في النظر الى الامور .

ونتج عن مواجهة العراقيين لواقعهم مواجهة ايجابية أن أصبحوا صادقين في التعبير عن ازماهم ومشكلاتهم والاحداث التي يمرون بها والواقع الذي يعيشونه ، كما ان الثورة قوت فيهم دقة الملاحظة حتى يستوعبوا هذا الواقع بتفاصيله وجزئياته .

وانعكس هذا على فن كتابة الرواية فاصبحنا نجد كتاب الرواية يهتمون اهتماماً كبيراً بالجزئيات ويرون ان من الواجب ذكرها حتى يتم النقل الصادق عن الواقع ويكون الكاتب الروائي بذلك قد اعطى القارئ كل الحقيقة .

ولا ينكر فضل الطبقة الوسطى على القصة فهي تمثل الطبقة القارئة التي تلتهم ما ينشر في الكتب والصحف والمجلات ، ولما كانت الرواية عامة موضوعية اكثر منها ذاتية ، ولما كانت المرحلة الاولى في التكوين

الثقافي والشعوري للمفرد أو للفنان ، فان الشعر بصورة واخيلته ومعانيه يكون أقرب وسيلة تعبيرية لنقل الاحساسات والمشاعر والانفعالات التي يمر بها الفنان في مرحلته الرومانسية (١٥) في حين تأني القصة في المرحلة التالية من مراحل التكوين الفني للكاتب والامة على حد سواء . وهذه المرحلة تتميز بغلبة الفكر والتعقل وضبط الشعور والتحكم في الوجدان وامعان النظر في الكون وتحليل الظواهر الكونية والطبيعية والتعمق في تفسير سلوك الانسان وتوجيه هذا السلوك توجيهاً منضبطاً هذا كله تناسبه الرواية ، وتكون الفن المعبر عنه بوضوح بما يجعلها اقدر الفنون الادبية على استيعاب العوامل الحضارية والثقافية التي تطرأ على حياة الامة .

وتجلى الطابع المحلي العراقي في مختلف مناحي الحياة وشرع ادب الرواية الفنية يستجيب لذلك الطابع فيتناول بالوصف والتصوير والتحليل تلك الشخصيات الشعبية ، ولهذا اتسم ادب الرواية العراقي بالصبغة المحلية الواضحة من نحو اختيار الاسماء العراقية الشائعة والاماكن العراقية المتعارفة وما يدور في الحياة العراقية من طرائف العادات والتقاليد والافاضاع كما في الرواية الايقاظية وروايات السيد . ولا ريب ان ادب الرواية يومذاك لم يخل من السطحية والاغراق في العاطفة والجموح في الخيال ولكنه كان الدعامة للنهضة الروائية الجديدة .

(١٥) فخري ابوالسعود (الذاتي والموضوعي في الادب العربي والانكليزي) الرسالة العدد ١١٥ ، ٢٩ مايو عام ١٩٣٧ ص ٢٩٤ .

(٢)

المؤثرات الخارجية

تنهت مصر ولبنان قبل العراق الى ادب الرواية الحديثة ، وأقبلتا عليها منذ أن تم لها الاتصال بالثقافة الغربية عن طريق الارساليات التبشيرية الموفدة الى الشرق ، والبعثات العلمية الموفدة من هذين القطرين الى بلاد الغرب ، والتأثر بحركة التجديد التي كانت تنقلها الصحف الغربية ، وقد اشار يحيى حقي الى ذلك قائلاً (حملت الرياح التي تهب من اوروبا بذرة غريبة على المجتمع العربي ، بذرة القصة بدأت معرفته بها اولا عن طريق الترجمة وعلى ضوء المقارنة بين البذرة القادمة وبين ما هو موجود ، أحس الادباء أن الفرق بين الاثنين كبير ، فالموجود لا يخرج عن بعض السير وقصص الف ليلة ومقامات لم تدرس الا باعتبارها وثائق لغوية غرقت في تحف النحو والبديع ، عناصر ضئيلة من قوام القصة بوصفها لشخصية خيالية أو ضبطها في مرفق معين لا يخلو من الفكاهة احياناً كما في مقامات الحريري ، هي فتات في تنقصه الوحدة وتبيان رأي أو مذهب ، كل هذه كتب ترسم العصور الماضية ولا تمت بصلة الى المجتمع القائم . وبخاصة بعد ان انتقلت اليه من اوروبا بعض معالم المدنية الحديثة فقلبت اوضاعه وعاداته وأوهنت صلته بالماضي . لغت نظرهم في القصة القادمة قدرتها على النفع عن طريق التسلية واحتفاؤها الشديد بالحب وكان موضوعاً يتحرز الناس من الخوض

فيه الا تخفياً وراء غزل مصطنع في مطالع القصائد (١٦) .
ولم يتح للمعراق الاتصال بالنهضة الاروبية كما أتيح لكل من مصر
ولبنان لقرب هذين القطرين من اوروبا ، ولسرعة انتقال الافكار عن
طريق التعليم والتبشير والترجمة وحركة المطابع التي بدأت تزدهر
يوماً بعد يوم منذ دخول نابليون مصر ، وانسعت حركة الترجمة
في مصر وخرج مفهوم الأدب عن ذلك النطاق الضيق . واحس المترجمون
بالحاجة الى القوالب الادبية الجديدة حتى تتسع للمقضايا التي يودون
اثارتها كما تتسع لمضمون حياة الطبقة المتوسطة النامية ، فدخلت الرواية
الحديثة الى ادبنا العربي في جملة ما دخل من قوالب نثرية اجنبية
وكانت اثراً من آثار اللقاء بين الثقافة القديمة والثقافة الاروبية
الوافدة .

واذا كان قد نبت في لبنان ما بين عام ١٨٦٠ والحرب العالمية الاولى
رعيل كبير من رواد النهضة العربية والمثقفين ، فقد أنبت لبنان ايضاً
الروائيين الاوائل وربما كانت القصص التي نشرها سليم بطرس البستاني
في مجلة ادبية (الجنان) - بين سنة ١٨٧٠ ووفاته عام ١٨٨٤ - هي اول
انتاج للقصص الحديثة في العربية وقد مشى في ركب الاوائل في لبنان
ومصر سعيد البستاني ١٩٠١ وفرج انطون (١٨٧٤ - ١٩٢٢) ويعقوب صروف
(١٨٥٢ - ١٩٢٧) ثم ليبيبة هاشم وزينب فواز (١٨٦٠ - ١٩١٤) وجرجي زيدان
(١٨٦١ - ١٩١٤) وكذلك (١٧) حاول المهاجرون من الشام الى مصر تقديم
العلوم والافكار الغربية الى البيئة المصرية فاستمروا في تقديم الاشكال الفنية

(١٦) يحيى حقي (فجر القصة المصرية) ص ١٨ .

(١٧) شاكر مصطفى (القصة في سورية) ٦٧ .

الغربية مثل المسرحية والرواية ولكنهم في تقديمهم لها اتخذوا أحد موقفين يمثل أولهما اتخاذ الرواية وعاء لتقديم افكار الحضارة الغربية وكانوا في موقفهم هذا اشبه بالمعلمين منهم بالروائيين . اما الموقف الثاني فيتمثل في تقليدهم الروايات الغربية مباشرة سواء بالترجمة او الاقتباس او التأليف وباختيارهم الروايات التي تتلاءم مع الذوق الشعبي لجماهير القراء غير المثقفين (١٨) .



وكان للترجمات العربية في مصر ولبنان أثر كبير في توجيه القصصيين الناشئين في العراق الذين تعرفوا على آثار القصصيين الغربيين أمثال فكتور هيغو وتولستوي واسكندر ديماس عن طريق الترجمة اكثر مما عرفوهم عن الطريق المباشر وترسموا في التعريب صور الآداب الفرنسية والانكليزية والروسية قبل ان يعرفوها في لغاتها الاصلية .

وكانت الترجمة في البلاد العربية جهداً فردياً منذ اواخر القرن التاسع عشر تنصب غالباً على ما يقع بين ايدي المترجم من نماذج قصصية تروق ذوقه وذوق العصر . وكان الاتجاه نحو الترجمة عن الفرنسية هو الاتجاه العام الغالب . وقد احتل الادب الفرنسي في مصر وبلاد الشام منزلة سامية ، ويعود ذلك الى ان فرنسا منذ الحملة على مصر ودخول الادارة المصرية بلاد الشام كانت هي النافذة ، التي اطل منها الشرق على الثقافة الفرنسية وآدابها حتى بعد رجوع نابليون ، وهناك سبب هام أعان اللغة الفرنسية على الانتشار فقد جعلتها

(١٨) عبد المحسن مله بدر (تطور الرواية العربية الحديثة) ص ٣٨ ، ٨٤

وزارة المعارف العثمانية اجبارية في جميع المدارس الرشيدية والاعدادية وفي كثير من المدارس العالية واصبحت أكثر اللغات انتشاراً في ارجاء الدولة العثمانية . هذا بالإضافة الى تقارب التيارات الثقافية بين شعوب البحر المتوسط (١٩) كما ان بعض كتاب فرنسا لعبوا أدواراً سياسية في حياة بلادهم وأصبح اسمهم رمزاً للمحركات التحررية وذاع صيتهم مثل فكتور هيجو ، لهذا ترجم العرب آثارهم ، ترجم حافظ ابراهيم (البؤساء) وتبعه المنفلوطي فنقل عن الادب الفرنسي وكذلك كان ما ترجمته مجلة (الجنان) التي صدرت في بلاد الشام منذ العقد السابع من القرن التاسع عشر ، منقولاً عن الادب الفرنسي .

وهكذا تأخر الاتجاه في الترجمة عن الانكليزية بعض الشيء حتى اصدر نسيب متصلائي في اواخر القرن التاسع عشر مجلته الضياء ، التي عنيت بالقصة الانكليزية وعنيت مجلة (النفائس العصرية) التي أصدرها خليل بيدس في لبنان بترجمة القصص الروسي ، كما زودت مجلات الهلال والمقتطف المتعلم العراقي بما يصبو اليه من الادب الانكليزي .

وقد بدا في الترجمة منذ اواخر القرن التاسع عشر اتجاهان : اتجاه ادبي فني ، واتجاه تجاري شعبي ، وقد تواكب الاتجاهان وعاشا معاً الى اليوم فلكل منهما جمهوره وحياته . وكان القصص التجاري يزداد انتشاراً بسبب ظهور طبقة القراء من الطبقة المتوسطة محدودة الثقافة . واذا كانت الروايات التجارية التي ترجمت في معظمها نافذة القيمة من الناحية الفنية فانها قد اشبعَت رغبة الناس في المغامرة والمواقف المثيرة . ولعل السمة

البارزة لهذه الترجمات ان اكثرها نقل عن نماذج رديئة لكتاب يعنون بالغرائب والمفاجآت اكثر مما يعنون بالقيم الفنية للعمل الادبي او يظهر ان هؤلاء المترجمين لم يفرقوا بين الرواية والقصة القصيرة كعمامين منفصلين فالقصة القصيرة أو الرواية الصغيرة التي تنشر في عدد واحد لا تختلف لديهم عن المسلسلات الروائية الا في مسألة الكم والطول . وفيما وراء هذا كانتا تتفقان في رحاب الزمان والمكان وفي تعدد الاحداث والشخصيات . ولعل عجز المترجمين عن الخلق والصيغة في القالب الروائي وان كانوا يرغبون في ترجمته الى العربية ، دفعهم الى نوع من النقل اسموه (بالاقتباس) . ولم تسلك الترجمات طريقاً محدداً عند جميع المترجمين فتارة تأخذ شكل النقل الحرفي الامين واخرى تغير اسماء الشخصيات في الروايات حتى توافقت ذوق الجمهور . وكان المترجم يلجأ احياناً الى تغيير كلي في بناء الشكل الروائي او التصرف فيه . وبين هذا وذاك كان المترجم يدس نفسه بين السطور فيضيف فكرة او يقحم جملة او يزيد ما يراه مناسباً من شعر يستملحه يدفعه الى ذلك التفكه من جهة والموعظة من جهة اخرى . وكان من ابرز مشكلات الترجمة أن المترجمين لم يهتموا باللغة التي يترجمون اليها وكان بعضهم يستخف بهذه اللغة وطرائق تعبيرها فيأتي اسلوبه مبتذلاً ساقطاً تشيع في سطره الاخطاء اللغوية والصرفية فجاءت معظم الترجمات قصصاً مسوخة ترجمت على أيدٍ يجهل أصحابها صرف اللغة ونحوها (٢٠) .

(٢٠) انظر عبد المحسن طه بدر (تطور الرواية العربية الحديثة) ، شاكر مصطفى (القصة في سوريا) ، محمود حامد شوكت (الفن القصصي في الادب العربي الحديث) ، محمد يوسف نجم (القصة في الادب العربي الحديث)

وساعدت الصحف والمجلات اللبنانية والمصرية التي دخلت العراق في فتح اعين العراقيين على هذا الفن الجديد عليهم كل الجدة ، بعد ان كانت فكرة احياء الادب العربي القديم والاهتمام بالشعر قد سيطر على الجو الادبي فيه . ومن المجلات العربية التي عنيت بالرواية فنشرتها او اختصت بها (البشير) عام ١٨٧٠ للاباء اليسوعيين و (الجنان) عام ١٨٧٠ لبطرس البستاني و (الاهرام) عام ١٨٧٦ و (لسان الحال) عام ١٨٧٧ لخليل سركيس و (الصفا) عام ١٨٨٦ لعلي ناصر الدين و (جريدة لبنان) عام ١٨٩١ لابراهيم الاسود و (الكنانة) عام ١٨٩٥ لشاكر شقير و (المقتطف) عام ١٨٨٧ و (الهلال) عام ١٨٩٢ و (المشرق) عام ١٨٩٨ للاباء اليسوعيين و (فتاة الشرق) عام ١٩٠٦ للميمنة هاشم و (البرق) عام ١٩١٠ و (النفائس) عام ١٩١٢ .

وقد اعانت الصحافة على ان تصبح الرواية لوناً من ألوان الادب المؤلف والضروري في وقت معاً وهناك مجلات اختصت او كادت بنشر الروايات منها (منتخبات الروايات) عام ١٨٩٤ لاسكندر كركور و (الروايات الشهرية) عام ١٩٠٣ ليعقوب الجمال و (مسامرات الشعب) عام ١٩٠٥ لخليل صادق و (سلسلة الروايات العثمانية) عام ١٩٠٨ لجرجي دهان و (حديقة الروايات) عام ١٩٠٩ لشركة نشر الروايات و (الروايات الجديدة) عام ١٩١٠ لنقولا رزق و (السمر) عام ١٩١١ لقيصر الشميل و (سلسلة الفكاهات) عام ١٨٨٤ لنخلة قلفاظ و (السراوي) عام ١٩٠٩ لطانيوس عبده و (الروايات الكبرى) عام ١٩١٤ لمрад الحسيني (٢١) .

(٢١) انظر/ محمد يوسف نجم (القصة في الادب العربي الحديث) ص

وآلم المثقفين في العراق أن يروا انفسهم متخلفين عن بقية اقطار
الوطن العربي في هذا المضمار ، فانصرفوا الى نتاج البلاد العربية العلمي
والادبي يتدارسونه . وقد استأثرت مصر بالجانب الاكبر في سوق الادب
والعلم العراقيين .



ولم تكن حركة الترجمة في العراق في مستوى حركة الترجمة في
لبنان ومصر لضعف الاتصال بين العراق والعالم العربي من جهة وقلة
انتشار اللغات الاوربية فيه بالاضافة الى تأخر الصحافة والنشر في
العراق . ولهذا لم تؤثر في نشوء الرواية العراقية كما أثرت الترجمات
العربية المصرية واللبنانية .

وكانت الترجمة في بداية الامر عن التركية ثم عن الفرنسية
والانكليزية وجاءت الترجمة عن الروسية متأخرة عنهما . وبعد ان بين
محمود السيد اهمية الرواية الروسية بقوله « وبعد فحسي اني احتذيت
اميل زولا والكتاب الروس امثال شيكوف وتولستوي ، فهم ينزلون
الى الدركات السفلى من سلم حياة المجتمع الانساني فيقتطفون منها
المواد لقصصهم بدلا عن ان يعرجوا الى الدرجات العليا فينثروا للناس
الزهور ويخطفوا الابصار بالالوان الساطعة البهية فيشغلوهم عن معرفة
الحقيقة والاهتداء الى الداء الدفين » (٢٢) .

وقد يكتفي المترجم العراقي بالاشارة الى ان الرواية مترجمة عن

٣ - ١٣ ، شاكر مصطفى (القصة في سورية) ص ٦٣ - ٦٥ .

(٢٢) محمود احمد السيد (الطلائع) ص ٦٨ ، بغداد عام ١٩٢٩ .

الفرنسية او الانكليزية ولكنه لا يذكر اسم مؤلفها ولا اسم الرواية نفسها بل يضع لها اسماً من عنده مثل (يوم زلزلت الارض زلزالها) عام ١٩٢٢ التي ترجمها رفائيل بطى و (المرأة المجهولة) عام ١٩٢٣ التي ترجمتها نزهة غنام وغيرهما كثير .

وتجاوز المترجمون ذلك الى محتويات الروايات نفسها ، وكان اخطر ما تعرضت له الروايات المترجمة الحذف والاختصار الذي يكتفى بالبقاء على الخطوط العريضة لاحداث الرواية مع ضغطها ضغطاً شديداً بحيث تتحول الرواية الى ما يشبه الحكاية او القصة القصيرة . وقد يقف الاختصار عند حد حذف بعض الفصول من الرواية او بعض تفاصيلها . وكان يغلب على هذه الترجمات السرعة الصحفية في الاسلوب والاختيار ، وهي في الغالب روايات رومانسية مثيرة لدواطف القراء لان اكثر هذه الترجمات كانت تنشر في الصحف والمجلات العراقية .

وقد بدأ الكاتب العراقي بترجمة الادب التركي اول الامر نتيجة لارتباط العراق بتركيا ، فقد كان اكثر المتعلمين يعرفون التركية لانها كانت لغة المدارس آنذاك ولغة الصحافة ودواوين الدولة . وكان عدد من العراقيين يدرسون في استنبول .

واول المترجمين عن التركية (الرصافي) الذي نقل الى العربية رواية (الرؤيا) للشاعر التركي نازق كمال عام ١٩٠٩ ، وكذلك عن محمود احمد السيد بترجمة القصص التركي (٢٣) وخص مجلة الحديث الحلبية

(٢٣) محمود السيد (نزع من نزعات الادب القهصي التركي) جريدة الاستقلال العدد ١٠٩٥ عام ١٩٢٧ وطبيعي ان تكون الاكثية الى جانب رشاد نوري لانه نزاع في قصصه الى الحرية معبودة الترك والشعوب الشرقية الاخرى المتحفزة للنهوض والى هدم التقاليد البالية وشن الغارة على المحافظين والرجعيين

بالقسط الاوفر ولم ينتهياً له ان يجمع ما ترجم في كتاب .
وكان اكثر الادباء اعجاباً بالادب التركي خلف شوقي الداوري
الذي ترجم لرشاد نوري وأرجمند كرم ووالا نورالدين وغيرهم . وطبع
كتاباً ضم بين دفتيه ما ترجم سماه (قصص مختارة من الادب التركي)
وكذلك فعل انور شاول ونعيم طوبق ويوسف مكمل ومولده يوسف
على ان عدداً كبيراً من القصص التركية المترجمة كانت تنشر في الصحف
والمجلات دون ان يشار الى اسماء مترجميها .

وقد التفت المترجمون الى القصة التركية الحديثة لما تحمله من
نزعة حرة واتجاه نحو الاصلاح الاجتماعي والسخرية من كثير من
القيم والعادات والتقاليد التي تكبل المجتمع التركي وتعوق تطوره (٢٤)
وهكذا اتصل جمهور المتعلمين بناحية جديدة من الادب لم يعرفها
العراقيون من قبل ، ويمكن ان نلخص هذه الجهود بأنها محاولات بدائية
اضطرا اليها ابناء العربية نزولاً على روح العصر الذي يربطهم بالثقافة
الغربية ويجري الآداب الاوربية .

ومن هنا نرى ان الادب العراقي قبيل الحرب العالمية الاولى كان
مرآة صادقة للحياة الحديثة التي اخذ بها الشرق العربي واتصاله بالآداب
الاوربية عن طريق الترجمة .

واول من قام بالترجمة عن اللغات الغربية وخاصة الفرنسية أولئك
الذين درسوا في المدارس التبشيرية المسيحية ، فترجموا في الثالث الاخير
من القرن الماضي ومطالع هذا القرن مسرحيات عديدة مثل (لطيف

(٢٤) محمود السيد (نزعة من نزعات الادب القصص التركي هدم للتقاليد
البالية) جريدة الاستقلال العراقية العدد ١٠٩٥ عام ١٩٢٧ .

وخوشابا) عام ١٨٩٣ و (الامير الاسير) عام ١٨٩٥ ترجمتهما عن الفرنسية نعوم فتح الله سحرار، والمسرحية الاولى ترجمهما بتصريف عن مسرحية fan fan et colas لمدام دي بيفوار، وترجم القس جرجس قندلا بين عامي ١٩٠٨ - ١٩١٠ مسرحيتي (الطبيب رغماً عنه والمثري المتنبئ) لموليير. وترجمت مسرحيات عديدة بين عامي ١٩١٠ - ١٩١٩ مثل «ارثر البريطاني - الاسيران الصغيران - الاغلوون - الغدر - البرج الشمالي - البنت الضائعة - الطيور الصغيرة - ماركامان - شانتين - جنفياف». وقد «فعلت الحركة التمثيلية التي نشطت في العراق في الفترة ما بين الربع الاخير من القرن الماضي والشاطر الاول من القرن الحالي في المدارس التبشيرية - كما سنأتي على ذكره عند حديثنا عن بدايات المسرحية في العراق - الى ترجمة المسرحيات قبل البدء بترجمة القصص والروايات. فقد اقبلت المدارس على القصص التمثيلي حتى لا تكاد تمر سنة على اية مدرسة دون ان تقوم بتمثيل مسرحية أو اكثر (٢٥).

وذكرت لفظة (رواية) لأول مرة في جريدة (صدى بابل). «فننشر لهم المقالات السياسية والخطب الادبية والاخبار الخيالية والروايات الفكاهية مما يلذ سمعه وتلذذ مطالعته» (٢٦) ونشر في العدد رواية ملخصة عن الادب الغربي تحت عنوان:

(رواية العدل اساس الملك) وهي حكاية من نوع المغامرات التي تستهدف العبرة والعظة. وقد نشرت سلسلة في سبعة اعداد.

(٢٥) جعفر الخليلي (القصة العراقية قديماً وحديثاً) ص ١٧٠.

(٢٦) صدى بابل العدد الاول عام ١٩٠٨.

وتابعت جريدة (الرقيب) عام ١٩٠٩ جريدة (صدى بابل) في هذا النهج حين نشرت رواية مترجمة عن الفرنسية بقلم (الاديب انستاس الكرملي) بعنوان (الاصبحي) (٢٧) وقد وضع المترجم الدافع الذي دفعه الى ترجمة هذه الرواية (من تصفح كتب الافرنج التي تبحث عن الشرق والشرقيين يجد هذا الامر ، وهو انهم يعيرون ابناء هذه الديار بكونهم يحبون الاحاديث عن الجن والغول ويتبرأون هم من كل ما كان من هذا القبيل والحال لو انصفوا لما قالوا هذا القول وكتبهم مشحونة بمثل هذه الاحاديث يضعونها في ايدي اولادهم منذ نعومة اظفارهم وترويها النساء لبعضهن لبعض بما يزيد على ما يروى في بلادنا ، نعم ان اغلب حكاياتهم هذه لا تخلو من فائدة ادبية ومغزى لطيف يعود بالنفع على الهيئة الاجتماعية كما ذكروا في اقايص ابناء وطننا ، فلماذا ينسبون اليها كل سيئة وينسبون اليهم كل حسنة ، فأمام الغرب وامم الشرق تتشابه في هذا القبيل ولاسيما اذا علمنا أن مصدر آدابهم وتمذنبهم وحضارتهم هي هذه البلاد ، واثباتاً لهذه الحقيقة قد عزمنا ان نتحف قراء الرقيب ببعض هذه الروايات اطلاعاً على آداب الافرنج واقتوالهم في هذا الصدد وتسليية للقارئ وحشاً لابناء المطالعة على تشرب حب الادب ، والمناقب والمآثر خلال تلك السطور) .

وقد نشرت رواية اخرى بعنوان (ذات القناع الاحمر) عام ١٩٠٩ ورواية اخرى بعنوان (المرصد) (٢٨) او ذات الكوت الزجاجي عام ١٩٠٩ .

(٢٧) الرقيب الاعداد من ١٧١ - ١٧٢ .

(٢٨) الرقيب ابتداء من العدد ١٧٣ .

وحذت مجلة (لغة العرب) حذو (صدى بابل) و (الرقيب)
فنشرت حكاية في العدد الاول وانتمتها في العدد التالي بعنوان (ينبوع
الشقاء) عام ١٩١١ من تأليف (كزافيه ميرميه) واطلق عليها مترجمها
عن الافرنسية (الاب انستاس الكرمل) صاحب المجلة (الاحدثة)
ثم نشرت (لغة العرب) قصة اخرى بعنوان (مريم) عام ١٩١٢ .
كما نشرت جريدة (صدى بابل) عام ١٩١٣ اعلاناً باصدار
سلسلة من الروايات المترجمة (٢٩) وقد صدرت هذه السلسلة فعلا
وظهر عددها الاول في ست عشرة صفحة عام ١٩١٣ وبمجموع ما صدر
منها اثنا عشر عدداً فقط . وقد فقدت هذه السلسلة المترجمة ولم نعثر
عليها .

وتمتاز هذه الروايات المترجمة بأسلوب تعليمي وعظمي يدعو الى التمسك
بالدين وبالخالصال الحميدة في اطار رومانسي يستند على التضحية في
سبيل الغير والعمل من اجل الآخرين .

ومن ابرز المترجمين العراقيين عن اللغات الغربية ، انور شاؤول
ورفائيل بطى وعبد الوهاب الامين وشاؤول حداد ونعيم طريق وعلى
الناصرى وحننا قريو . وقد نشرت مترجماتهم في صحف ومجلات كثيرة .
فنشر رفائيل بطى الذي ترجم عن الفرنسية (يوم زلزلت الارض
زلزالها) (٣٠) وشجع على ترجمة القصص والروايات في مجموعة صحفه
التي اصدرها في بغداد عام ١٩٢٩ . وترجم انور شاؤول عدداً كبيراً من

(٢٩) صدى بابل العدد ١٦٥ عام ١٩١٣ .

(٣٠) جريدة العراق عام ١٩٢٢ من ٢٣ آذار حتى اشرف العام على
نهايته بصورة مسلسلية .

القصص والروايات (٣١) عن الفرنسية ونشرت في جريدة العالم العربي في الفترة بين عامي ١٩٢٧ - ١٩٢٩ ومجلة الحاصد. وترجم على الناصري (٣٢) لصحيفة العالم العربي ايضاً ، وترجمت (م . ي) (٣٣) لمجلة المعلم الجديد عام ١٩٢٤ . وترجم معنا فريو رواية (خطيبة الروماني) عن الفرنسية عام ١٩٢٩ في مجلة النجم (٣٤) الموصلية في صور مسلسل (٣٥) ومن الروايات التي ترجمت في العشرينات (الجبهة الغربية الهادئة) (٣٦) لريمارك و (طريق العودة) (٣٧) لنفس المؤلف ولم يشر الى مؤلفها و (المرأة المجهولة) (٣٨) ترجمتها عن الفرنسية نزهة غنام دون ان تشير الى اسم مؤلفها و (طلاب المكتب) (٣٩) لميوني ماريا اركوداوس .

(٣١) حقيقة الحب القديم عام ١٩٢٧ . صفحة من الحياة الباريسية عام ١٩٢٧ ، المجنون ، المغامر ، هنديان زوجه عام ١٩٢٨ ، اللقيط ، فتاة باريس ، لقد كبرت عشرين سنة ، التجربة ، عاكف بك ، هدية العريس ، يريد ان يكون نائباً ، العقاب ، ساك-ون كاسا ، تناثر الاوراق ، بعد ضياع المال ، بنفسجة ، سكر مجنون ، يوم الحساب في رؤيا ، ذكريات ، مذكرات خاصة . (٣٢) ميدان الحب موباسان عام ١٩٢٨ .

(٣٣) الانتقام عام ١٩٢٤ ، الدرس الاخير ، الضوء ، الوحدة ، الحرب ، العباد .

(٣٤) الاعداد ٥ - ١١ عام ١٩٢٩ ، ٢ - ٦ عام ١٩٣٠ .

(٣٥) مطبعة النجم عام ١٩٣٧ الموصول .

(٣٦) في جريدة نداء الشعب ابتداء من العدد ٤٨٤ عام ١٩٢٩ .

(٣٧) في جريدة الاستقلال ابتداء من العدد ١٦٥١ عام ١٩٢١ .

(٣٨) جريدة العراق نشرتها متسلسلة ثم نشرتها في كتاب .

(٣٩) وجد له عروسا عام ١٩٢٣ ، الداع الابوي المبرر ، ضحايا الوالدين

والمتزعمين عام ١٩٢٤ ، عقد الملكة ، الحسناء الباسلة ، تبحث عن مستقبل -

وترجمت ليلي (٤٠) عام ١٩٣٢ عن الانكليزية رواية (وجد له عروساً) ورواية (تبحث عن مستقبل لها) بصورة مسلسلة في مجلة المعلم الجديد .

وقد جاءت الترجمة عن الروسية متأخرة عن الترجمات السابقة بعد ان رأى الكتاب العراقيون ان الادب الروسي ادب واقعي وأن الروائي الروسي لا يخلق للمقارئ عالماً من الاحلام ثم يدعه يظل بين مجاهله حتى يستعصى عليه الرجوع الى عالمه الحقيقية الذي يعيش واقعه واحداثه لذلك تأثر الروائيون في العراق فنراهم في رواياتهم يختارون ابطالهم من العمال والفلاحين ومن الفقراء الذين ظلمتهم الانظمة الاجتماعية ومن رجل الشارع الذي حرمته الحياة بهجتها ورونقها فأصبح في الحضيض بينما يرتفع غيره من اصحاب الاموال وذوي المناصب في دنيا الملو .

فترجم عبد المسيح وزير عام ١٩٢١ عن البارونة زينيد تانكوف رواية (القيصرة في مقصورتها) وترجم ذنون ايوب (المعطف) لكوكول عام ١٩٣٢ و (المكفول) لجيركوف عام ١٩٣٣ ثم تلاها بترجمة (الأم) لغوركي .

وقامت مس بيل (٤١) بحركة فعالة في الطباعة والترجمة والنشر مع بعض رجال الفكر العراقيين في فترة الاحتلال البريطاني واقامت مكتبة دار السلام وكان هدف هذه المكتبة اصدار مجلة دورية في اللغتين

- لها عام ١٩٢٥ .

(٤٠) جريدة الاهالي ابتداء من العدد ٤٨٩ عام ١٩٣٢ .

(٤١) مس بيل صحفية انكليزية قدمت الى العراق مع جيش الاحتلال

وبقيت فيه ونشرت مذكراتها المشهورة بمذكرات المس بيل .

العربية والانجليزية ، هدفها عرض الكتب المطبوعة باللغات الشرقية كالعربية والفارسية والتركية والهندوسية والكتب المطبوعة باللغات الاوربية وتتألف ادارة المكتبة من عرب وانكليز (٤٢) وبالرغم مما نأخذه على هؤلاء المترجمين فاننا لا ننكر ما كان لعملهم من الاهمية في تاريخ ادبنا الحديث ، فعندما بدأ هؤلاء ينقلون آثار الغرب الى لغتنا لم يكن للمقصد عندنا شأن يذكر وقد كان الادباء يحتمقرون كتاب القصة ويعدونهم فئة متخلفة من ذوي المواهب الهزيلة (٤٣) . وبعد انتشار القصص عن طريق الترجمة والصحافة تغيرت نظرة الادباء الى الفن القصصي وفهموا نظريته وبخاصة الذين يجهلون اللغات الغربية واقبلوا على كتابة هذا اللون من الادب (٤٤) .

(٤٢) داود سلوم (الادب العراقي في القرنين التاسع عشر والعشرين .
٤٥ عن Let ters of G . B . vol / 2p bo3

(٤٣) جريدة العراق ٧٦٩ عام ١٩٢٢ (حاجتنا الى النهضة الفكرية) غير اننا ما نود ان نوجه النظر اليه هو الانحدار في هذه الطريقة -من أغفل والسير مع الهوى فينصرف كتابنا الى الكتابة والترجمة في المواضيع التافهة او الاقاصيص الفارغة والروايات السقيمة التي ليس ثمنها كبير ولا يستفيد مطالعها اي فائدة بل بعكس ذلك يضيع وقتاً ثميناً في قراءتها .

(٤٤) جريدة الفضيلة العدد ٧٥ عام ١٩٢٧ عبد الغني شوقي (مقام الرواية في الادب) : أما في الوقت الحاضر وفي بدء يقظتنا وتنبهنا فحري بنا أن نضرب صفحاً عن تلك القصص الخرافية القديمة وأن ندخل الفن الروائي الغربي الى ادبنا العربي ونترجم الى لغتنا من كبار روايات ادباء الغرب بما يغذي عقولنا ويرقي مداركنا ويوسع افكارنا فان ادبنا بأمس الحاجة اليها لكي ينهج ادباؤنا على نهجها ينسجون على منوالها فيموضوننا عن ذلك النقص الذي اعترى ادبنا قديماً كما اننا في اشد الانتظار اليه وعدم الاستغناء عنه .

وقد كان لهؤلاء المترجمين اثر آخر هو انهم ذلّوا اللغة العربية وأساليبها حتى استلانت المقصة مما سهل الامر على كتاب الجيل الاخير ومهد لهم السبيل للمخلق والابداع .

ولم يكن التأثير الخارجي مقصوراً على حركة الترجمة وحدها بل اثر تأثيراً غير مباشر في ظهور القصة العراقية عن طريق الافكار الاجتماعية الجديدة التي اخذت تظهر بشكل او بآخر على الاقلام الجديدة فقد كان الحب خطيئة فوجد من يدافع عنه ، وكانت الحرية مجرد كلمة تقال فوجدت من يضحي بنفسه من اجلها . وكانت الطبقات الاجتماعية قدراً مقبولاً والاقطاع سمة العصر ، ولكن التفسخ بدأ في هذا الكيان الاجتماعي مع ظهور طلائع الطبقة الجديدة - طبقة المثقفين وصغار الموظفين والعمال ، وعلى هذا فثمة حقيقة لا يمكن انكارها ، وهي ان هذه الطبقة مع بدء ظهورها في التشكيل والتكوين لم تنطلق الى الوجود دفعة واحدة ولا طفرة سريعة يكون لها اثرها الهام الدامغ وانما ظلت تكبر وتتسع مع مرور الوقت .

وتغير الكثير من مفاهيم الاخلاق والتقاليد وأساليب الحياة وتطورت حتى الملابس فأخذ السروال الغربي يحل محل الثياب المرسلّة السابقة . ولكن الجهد الحقيقي لهذا العصر يتمثل في محاولات الاصلاح الاجتماعي التي مهدت للرواية والقصة وذلك بما اتسمت به هذه المحاولات من واقعية في النظرة وجرأة في تطبيق افكار الحضارة الاوربية على واقعنا ومحاولة لتحرير شخصية الفرد من ناحية وابرار الشخصية العربية من ناحية اخرى ، ومن هذه المحاولات التي تستهدف تحرير الفرد والمجتمع محاولة تحرير ثقافة الفرد وتخليصه من الحصار الذي ضربه نظام التعليم

حوله بإنشاء الجامعة المصرية والجامعة الأمريكية في بيروت وكليات الحقوق والطب والتربية في العراق وتطبيق المناهج الغربية المتحررة على التراث العربي وتصحيح نظراته اليه والعودة الى بحثه وتحليله مع رفع قناع القداسة عنه . كما دفع القادرون من العراقيين بأبنائهم الى اوربا ليستفيدوا من ثقافتها المتطورة .

ودعا بعض الكتاب العرب المتأثرين بالفكر الاوربي كلطفي السيد الى احترام العقل والتفكير وتغليب اعتبارات المصلحة القومية والنظرة الواقعية على العاطفية والحماس الخطابى والى دراسة علاقة الفرد بالمجتمع وتفسير السلوك البشري تفسيراً علمياً يخضع للتطور ويتأثر بمناهج المفكرين الغربيين .

ولا تتضح محاولات الاصلاح الاجتماعى بأسسها التي قامت عليها كما تتضح في محاولة قاسم امين وامله في تحرير المرأة ، ومن ابرز الاسس التي قامت عليها دعوة قاسم ايمانه العميق بالحضارة الغربية وضرورة اتخاذها مثلاً اعلى في الاصلاح ، وفي كتابه (المرأة الجديدة) يبحث على دفع ابنائنا للتعرف على اصول المدنية الغربية وفروعها وهو على يقين من انه لن يتم صلاح احوالنا اذا لم يكن مؤسساً على العلوم العصرية الحديثة ، ويرى ان المرأة الجديدة ليست الا ثمرة من ثمرات التمدن الحديث بدا ظهورها في الغرب على اثر الاكتشافات العلمية التي خلصت العقل الانسانى من الظنون والخرافات .

وقد لعب قاسم امين دوراً كبيراً في نشأة القصة وتطورها حينما نادى بدعوته التحريرية للمرأة ووجوب سفورها ودخولها المجتمع مع

الرجل جنباً الى جنب (٤٥) .

وقد لاقت هذه الدعوات صدى في العراق ، فمن ناحية اجتماعية ظهرت المرأة من خدرها بعض الظهور ولاسيما في الطوائف المسيحية ، ودخلت المدرسة لتتعلم وتتثقف - بعد ان كان ينظر الى تعليم المرأة نظرة احتقار واستهجان - كما دخلت الجامعة جنباً الى جنب مع الرجل ، وخرجت للعمل معه وخاصة في مجال التعليم . ونشطت الاقلام في الكتابة عن المرأة وزخرت القصة العراقية بموضوعات الحب بل استغرقت أكثر قصص الرواد من امثال محمود السيد وعبد المجيد لطفي ولطفي بكر صديقي وسليم بطي ، وتطرق القاص العراقي الى مشكلات المرأة في المجتمع العراقي واهتم بمشكلة البغاء والزواج والقتل غسلا للمعار كما في آثار ذنون أيوب وعبد الحق فاضل ويوسف رجب وشالوم درويش وانور شاؤول وجعفر الخليلي . وبالرغم من ان النكبات السياسية والاقتصادية والطبيعية التي حلت بالعراق قوت العناصر الرجعية ووضعت في يدها اقوى الحجج ضد هذا التطور الا ان القافلة كانت تسير .



(٤٥) انظر/لويس عوض (المؤثرات الاجنبية في الادب العربي الحديث) ص ٥٥ - ٥٦ ، وعبد المحسن مـهـ بدر (تطور الرواية العربية الحديثة) ص ٤٢ - ٤٤ .

أثر الصحافة في الرواية العراقية

نشأت القصة العراقية اول ظهورها في احضان الصحافة ولم يظهر دور الصحافة في نشأة القصة الا بعد اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ م الذي اعقبه اندفاع هائل نحو اصدار الصحف والمجلات ، فبعد ان كان العراق لا يصدر سوى ثلاث صحف رسمية ، اصبح يصدر في مدى عامين ستاً وستين صحيفة ومجلة (٤٦) .

وفي عام ١٩١٠ بدأت مجلة (تنوير الافكار) بنشر نمط من القصص له اهمية في تاريخ تطور القصة العراقية ، ومع هذا فليس في هذه القصص ما يشير الى الاقتراب من مفهوم الفن القصصي بشكل صحيح . فهي محاولات تتلمس الطريق ، وقد حددت نوعها الى حد كبير طبيعة ثقافة مؤلفيها وهي ثقافة تمت بأوثق الأسباب الى القديم الموروث . فقد ظهرت القصة العراقية في بدء نشأتها على شكل مقالة قصصية تنجسه نحو التعليم ، تزخر بما في الأساليب القديمة من اثر للصناعة والتكلف ، وكتبت تحت تأثير اوضاع اجتماعية وسياسية مر بها العراق بعد اعلان الدستور العثماني ، وقد يكون الدافع الوطني القومي هو السبب الوحيد في كتابة امثال هذه المقالات القصصية ، لتقوم بدورها في التوجيه والارشاد بطريق التشويق للمقارئ بالشكل القصصي . وكان

(٤٦) انظر عبد الكريم العلاف (بغداد القديمة) روفائيل بطى (الصحافة في العراق) .

المقال القصصي الاول بعنوان (رؤيا عربية) (٤٧) نشر على شكل
مسلسلة في اربعة اعداد من اعداد مجلة تنوير الافكار العراقية عام ١٩١٠ .
يتلخص المقال في ان الراوي - الذي اغفل الكاتب ذكر اسمه
- ينام مرة ، ويرى فيما يرى النائم انه في قاعة كبيرة يسطع فيها نور
وهاج يسأل عن مصدره . فيخبرونه بأنه (العروبة) . ويستطرد الكاتب
في دعوته السياسية ، ويطلب بتعليم اللغة العربية في المدارس العراقية
بدلا من اللغة التركية . ويذكر مآثر كل قطر من الاقطار العربية ،
ويدعو الى الرابطة القومية التي تعيد للعرب مجدهم الغابر « فقال هذه
العربية وقد أتت موبخة صادعة لبنيتها على توانيهم بتكثير سواد الحكومة
الاسلامية العثمانية بعدم تسجيل نفوسهم وتكثير نوابهم وأن لا يصغوا
لاراجيف المرجفين ونعق الناعقين النابذين بين الوحدة العثمانية عصى التفرقة
بوسواس هذا تركي وهذا عربي مبينة لهم ان التنازع مقرون بالفشل -
فلا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم - مبرهنة لهم ثمرة الاتفاق والاتحاد
بالبراهين القاطعة) وتوالت المقالات القصصية في مجلة (لغة العرب)
العراقية التي تبنت هذا الاتجاه بين عامي ١٩١٣ م - ١٩١٤ م ومن هذه
المقالات (رؤية ادبية) (٤٨) لمحمد فائق الكيلاني وقد كتبها بأسلوب
كليمة ودمنة . وفيها تأخذ الكاتب سنة من النوم فيرى انه في غابة
كبيرة خالية قفراء ويرى (حيدرا وخيتعور وخنوسا) تلعب فيما بينها
وعندما أنهكها اللعب اخذ الخنوس يتهمكم من الحيوانين الآخرين ثم
وثب على الاسد فبقر بطنه ، مات الاسد ووقف الخيتعور يخاطب

(٤٧) مجلة تنوير الافكار ج ٢ عام ١٩١٠ ص ٦٨ ، ١١٩ ، ١٦٨ ، ٢٢٢ .

(٤٨) مجلة لغة العرب ج ٤ ص ١٩٨ عام ١٩١٣ .

الخنوس «ايها المغرور بنفسك المعجب بقونك وفعلك انك فتكت فتكاً ذريعاً
بسيدنا المبجل وفجعتنا بتلك الفاجعة المدمرة» ثم يفيد من نومه بعد
رؤيا طويلة مقشعراً متألماً « ثم لما ثابت الي نفسي وانعمت النظر في
حالتنا الاجتماعية التي نحن عليها فهمت ان ما رأيته في الخيال هو تصوير
ما يجري في عالم المثال وتحققت ان ما وقعنا فيه من البلاء المبين هو
نتيجة ما سعيينا اليه في ما مضى من السنين ولكن سيعلم الذين ظلموا
اي منقلب ينقلبون» .

وتوالى المقالات القصصية في هذه المجلة مثل (سياحة النوم) (٤٨)
عام ١٩١٣ ، و (المال حاكم) (٤٩) عام ١٩١٤ وغيرهما .

وتوالى المقالات القصصية كذلك في الصحف والمجلات الاخرى
واخذت شكل المسلسلات التي يتوالى نشرها في عدة اجزاء متتابعة
منها . وكان ابرز الكتاب العراقيين في هذا المضمار (عطاء امين) الذي
نشر (كيف يرتقى العراق) (٥٠) عام ١٩١٩ م ، و (عاقبة الحياة) (٥١)
عام ١٩٢٠ و (وقفة على دبالى) (٥٢) عام ١٩٢٠ و (لوحة من الواح

(٤٨) لغة العرب ج ٥ ١٩١٣ ص ٢٦٤ وتدور حول العفاف .

(٤٩) لغة العرب ج ١٨ عام ١٩١٤ ص ٤١٥ وتدور حول المال والفرس .
وكيف يستثمر في البلاد المتقدمة .

(٥٠) مجلة دار السلام العدد ٧ ، عام ١٩١٩ وفيها يحلم الكاتب انه في
بابل القديمة ويقابل نبوخذ نصر ويقرن بين ما كانت عليه في زمن البابليين
وما آلت اليه حالها حينذاك .

(٥١) مجلة دار السلام العددان (٨ ، ٩) ١٩٢٠ وتدور حول التضحية في
سبيل الواجب .

(٥٢) جريدة العراق الاعداد من ٤٨٣ - ٤٩٠ عام ١٩٢٠ ويعرض فيها

الدهر أو فصل من رواية الحياة) (٥٣) و (سياحة الفكر) (٥٤)
وكان أولئك الكتاب مشدودين الى التراث العربي شداً وثيقاً . كما
كانوا يشعرون بأصالة غريبة يأبون ان يفرطوا فيها .
ولم يكن لهذا النوع من المقالات القصصية تأثير مباشر على نشأة
الرواية في العراق ولكن الامانة التاريخية اضطررتنا الى ذكرها .



وفي الوقت الذي نشرت مجلة تنوير الافكار المقالات القصصية ،
قامت مجلة العلوم العراقية بنشر مسلسلتين قصصيتين عام ١٩١٠ فنشرت
اول الامر قصة (فتاة بغداد) (٥٥) لرزوق عيسى في ثلاثة اعداد من
اهداد المجلة ولم يتم نشرها .

وموضوع الرواية موضوع عاطفي معتم تأثر فيه الكاتب بالروايات الفرنسية
الرومانسية ويتلخص في ان (ابراهيم) الشيخ الثري لم يكن سعيداً في
حياته لحرمانه من الولد ، وكانت زوجته (اديبة) تتألم لألمه ، ونصحته
طبيب زاره ذات يوم ان يعرض نفسه على طبيب مختص ، فصعد ابراهيم
بالامر وتم علاجه هو وزوجته ، ولم تمض الا ايام قليلة حتى حملت

- تاريخ العراق وتوالي الغزاة عليه ويشبهه العراق بفينوس اختطفها عدة
رجال افارسي ومغولي وتركبي وعربي ، وكان اشد هم حباً لها ، العربي الذي
جلس يندب حظه لفقده الفتاة .

(٥٣) دار السلام العدد ١ ج ٣ عام ١٩٢٠ وتدور حول السعي في طلب العلم

(٥٤) دار السلام العدد ٢ ج ٣ عام ١٩٢٠ .

(٥٥) مجلة العلوم الاعداد ١ - ٣ عام ١٩١٠ .

أديبة فعمت الفرحة الزوجين ، وولدت طفلة جميلة ولكن الأم أصيبت بحمى النفاس وماتت ، وبعد الانتهاء من مراسيم الدفن عاد ابراهيم الى البيت ليعني بابنته . ولم تتم المجلة نشر الرواية ، كما نشرت نفس المجلة رواية ثانية عام ١٩١٠ باسم (الاوهام) (٥٥) ليوسف رزق الله غنيمة ، ولم تتم نشرها ايضاً ، قد يكون ذلك راجعاً الى دعوة بعض كتاب المقالات الى الامتناع عن قراءة هذه الروايات بحجة انها تفسد الاخلاق (٥٦) . وتدور الرواية الاخيرة حول الحب الذي نشأ بين (اميل) الشاب الموسر ، وفتاة طلبت اليه أسرتها أن يشاركهم في نزعتهم « وهي مليئة بوصف مناظر الطبيعة » مالت الشمس نحو المغيب واستترت وراء حجاب الافق الصفيق وخيمت جيوش الظلام وذرت النجوم والكواكب المنتشرة في جو الزوراء الرائق . . وقف اميل يتأمل الطبيعة ويناجي نفسه : انني شاب حسن الخبر والسبر قد تيسرت لي اسباب السعادة

(٥٥) مجلة العلوم الاعداد ٢ - ٤ عام ١٨١٠ .

(٥٦) انظر مجلة لغة العرب الجزء ٩ عام ١٩١١ ، وجريدة الرقيب العراقية العدد ٥٧٣ عام ١٩١١ وجريدة العراق العدد ٧٦٩ عام ١٩٢٢ (حاجتنا الى النهضة الفكرية) « نجد اننا نود ان نوجه النظر الى الاحتراز من السير مع الهوى ، فينصرف كتابنا الى الكتابة والترجمة في المواضيع التافهة والاقاصيص الفارغة والروايات السقيمة التي ليس ثمنها كبير ولا يستفيد مطالعها اي فائدة بل بعكس ذلك يضيع وقتاً ثميناً في قراءتها » .
وابليس في (من فضلكم وسوسات ابليس) مجلة الحاصد العدد ١ ، ١٩٣٥
« اصبحت كتابة القصة موضحة آخر زمان ففلان وفلان كلهم يسودون الصحائف بالقصص يملأونها بالكلام الفارغ . . . يا ايها المتطفلون على موائد الادب اكرمونا سكو تكم من فضلكم » .

واحاطت بي احاطة السوار بالمعصم » والرواية مليئة كذلك بوصف الحب العارم الذي يجمع بين العاشقين . وقد استغرق المضمون العاطفي هاتين الروایتين ، وكان من اسباب اندفاع الكتاب الى هذا اللون العاطفي انتشار روايات المغامرة والروايات العاطفية المترجمة .

وقد توقفت الصحف والمجلات العراقية عن نشر الروايات المؤلفة حتى عام ١٩٢٢ عندما نشرت (مجلة الزنبقة العراقية) رواية مسلسلية باسم (فتاة بغداد) (٥٧) ، لمؤلف لم يذكر اسمه ، ولم تتم فصول الرواية بسبب توقف المجلة عن الصدور ايضاً بعد مضي عام واحد من ظهورها . وموضوع الرواية ، عاطفي ، نسج فيه مؤلفها على منوال الروايات الفرنسية الرومانسية ، وملخصها ان (لطيف) وهو شاب من اهل بغداد ، يخرج الى ظاهر المدينة في مساء ربيعي . وبينما يرسل طرفه ويتملى من جمال الطبيعة يبصر عربة نقل فتاة في شرح الصبا ، جميلة فاتنة ، فيعلق بحبها ، ويخرج كل مساء الى ظاهر المدينة يناجي طيفها وكله امل وشوق الى رؤيتها ، ثم ينتقل المؤلف ليحدثنا عن الفتاة فهي من اسرة غنية يموت والدها ويرعاها عمها ، يرسلها الى المدرسة تتلقى فيها العلوم ثم ينقلها الى مدرسة اخرى تتعلم فيها فن الحياكة .

ولم تكن حال الفتاة احسن من حال الفتى فقد علقت به من النظرة الاولى وراح طيفه يجول في تخيلاتها « وكانت تشعر بانقباض صدرها وترى المناظر المبهجة مظلمة امامها والدنيا على رحبها ضيقة في عينيه واعز ذوبها كالد اعدائها يريدون الفتك بها ثم استخرطت بالبكاء والعيول نادبة سوء طالعها ومنتحبة على تعاستها وشقائها . اني

ابتليت بحب فتى غريب لا اعرف له اصلا ولا اعلم اين هو « (٥٨) .
وفي غرفة الطعام تصاب بنوبات من الاغماء ، وفي سريرها تبقى
ساهرة تناجي طيفه تنتظر المساء وهي نائمة والهة وتخرج في مركبتها
« واذا صارت خارج المدينة ترى لها من بعد شبح يخطر ذهاباً واياباً
في تلك البرية التي لا أنيس فيها ولا جليس فعرفت انه مالک قلبها
فأخذت تتفرس في طلعتة البهية ملياً ولم تعد تبالي بما حولها بل اصبحت
كانها خطفت الى عالم الارواح » (٥٩) .

وتدخل الصدفة في التقارب بين العاشقين حيث يمر طائر بشع
الصوت فتفزع خيول العربية وتحطمها ، وتسقط الفتاة مغشياً عليها
وتكاد حوافر الخيل ان تسحقها لولا ان يهب الشاب لانقاذها في اللحظة
المناسبة . وملتقي روحاهما ويقدم لها نفسه باسم (لطيف) ويرجوها
ان تطلبه في أية لحظة تكون بحاجة فيها اليه ويعرف منها اسمها (ماري)
وعندما تعود (ماري) الى الدار تطلب من الحوذي (سلمان) العناية
بخيول العربية ، ويكتشف سلمان اصابة الخيل بجروح بليغة فتطلب
اليه ماري الا يخبر عمها بالامر وتعهده بمال كثير ، فيشير احسانها جشعه
ويحاول ابتزاز المال منها ، وعندما تمنع عنه المال يخبر عمها بالامر
وماري مشغولة عن كل ذلك بتدبير امر لقاء لطيف ، وتتكرر زيارته
لها في دارها بمساعدة خادمتها المخلصة ، كما تتكرر زيارتها له في داره
فيتبادلان فيها كؤوس الغرام ثم يتعاهدان على الزواج . ولكن القدر
يقف لهما بالمرصاد حيث يعود ابن عمتهما (نجيب) من أوروبا بعد ان

(٥٨) فتاة بغداد مجلة الزنبقة العدد ٢ ص ٦٢ عام ١٩٢٢ .

(٥٩) المصدر السابق العدد ٣ ص ٩٢ .

اكمل دراسته فيها . وتقدم له امه كل ما تملك من مال وتطلب اليه ان يتزوج من ابنة اخيها (ماري) فيصدع نجيب بأمر والدته ويسرع من فوره الى دار خاله ، ويطلب يد ماري فترفض ولكنه يصر على طلبه ويهددها بالويل والشبور ان رفضت طلبه (واخذ يتهدها بعذاب اليم ان لم ترعو عن غيها وتنقاد لامره صاغرة ذليلة) (٦٠) وهذا لايناسب ثقافة نجيب ومركزه الاجتماعي . فتبكي ماري حطها العاثر وتخشى كيد نجيب وتريد ان تبعد حبيبها لطيف عن مشاكلها الخاصة فتكتب اليه رسالة تخبره فيها انها قررت الزواج من غيره وتطالب اليه ان يقطع صلته بها لانها لم تعد تحبه . . . وتتوقف المجلة عن الصدور عند هذا الحد من الرواية .

ولا تختلف هذه الرواية عن سابقتها في افتقارها الى الخصائص الفنية المعروفة في الرواية . فشخصياتها شاحبة لالون لها ولا سمة مميزة ، بل هي شخصيات نموذجية مقررة تشمل الخير المطلق والشر المطلق (فلطيف) مثلاً يمثل الخير المطلق بينما يمثل (نجيب) الشر المطاق في رواية (فتاة بغداد) على سبيل المثال .

وتعتمد هذه الروايات على المصادفات المفاجئة التي يخلقها الكاتب ليجمعوا بين الحبيبين او ليفرقوهما ، ظناً منهم انهم يخلقون الحدث ويطورونه ، ويشيرون القارئ ويشوقونه ، كما تزخر هذه الروايات بتناقض الاحداث وغرابتها فترى زوجة (ابراهيم) تحمل وهي في سن الشيخوخة في رواية (فتاة بغداد) لرزوق عيسى وتزخر هذه الروايات كذلك بالاحداث البعيدة عن واقع البيئة العراقية حيث تدعو اسرة محافظة

في العراق آنذاك شاباً لا تعرفه للمسمر في رواية (الاوهام) ، وتلاقي (ماري) الفتاة التي تنتمي الى اسرة محافظة حبيبها في دارها تساقيه كؤوس الغرام في رواية (فتاة بغداد) المنشورة عام ١٩٢٢ . واطار الحدث الزمني في هذه الروايات غائم بلا حدود .

اما اسلوبها ، فسردي تقريرى تغلب عليه النزعة العاطفية وتشعب فيه الصور الموجية ، ويتخلله الشعر (٦١) والغناء (٦٢) والسجع (٦٣) والركاكة (٦٤) .

وقد انتشر هذا النوع من الروايات العاطفية في العراق طوال فترة ما بين الحربين العالميتين ، واستمر الى فترة متأخرة بعد الحرب العالمية الثانية كما سيأتي ذكره في الفصل القادم .

(٦١) مجلة الزنبقة العدد ٢ ص ٦٢ .

(٦٢) مجلة الزنبقة العدد ٦ ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(٦٣) مجلة الزنبقة العدد ٤ ص ١٢٦ .

(٦٤) مجلة الزنبقة العدد ٥ ص ١٥٩ .

الرواية الايقاظية

وتعد (الرواية الايقاظية) التي ألفها سليمان فيضي عام ١٩١٩ (٦٤) أول عمل كامل من وجهة تاريخية تظهر فيه ملامح السرد الروائي الى جانب العناية بالحوار، لأن الاعمال الروائية التي سبقت هذا العمل والتي جئنا على ذكرها كانت أعمالاً مبترة غير كاملة .

وجاءت الرواية الايقاظية على نمط الروايات التعليمية في عدم الاهتمام بالعناصر الروائية واختفاء العنصر الغرامي حرصاً على هدفها التعليمي ، ونتيجة مباشرة لاحتياجات البيئة وظروفها . ولم تتأثر الرواية الايقاظية الا بالنوع المماثل لها من الروايات الأجنبية أو الرسائل والمقالات الأدبية التي كانت تعتمد على الخيال تخلصاً من ظلم السلطات ، ذلك لأن مؤلفها لم يقصد تقديم (رواية) بالمعنى الكامل وانما قصد التعليم والنقد الاجتماعي . وقد أرادها المؤلف أن تكون مسرحية كما جاء في مقدمة الكتاب ، « في بحر الليلة الثانية عشر من شهر ربيع الاول سنة ١٣٢٦ هـ المصادفة لولادة فخر الكائنات واشرف المخلوقات من اختصه الخلاق لاكمال مكارم الأخلاق اذ رأيت في منامي كأنني في حفل عام مزدحم بخيرة الرجال اشبه بالانتظام (بسينما عال العال) له ستة ابواب وفيه غرف ومحراب فجرى تشخيص هذه الرواية من قبل نبلاء الرجال » (٢) .

-
- (١) ذكر علي الزبيدي خطأ أنها طبعت عام ١٩٢١ في كتابه (المسرحية العربية في العراق) ص ١٣١ .
- (٢) سليمان فيضي (الرواية الايقاظية) ص ٢ - ٣ .

ويبدو ان الكاتب قصد كتابة مسرحية لا رواية حسب ما جاء في مقدمة الكتاب . الا أن الكاتب لم يلتزم بالبناء المسرحي بل استخدم السرد الى جانب الحوار ، فهو يبدأ هذا العمل على هذا النحو « في صباح يوم من أيام الربيع صفت سماءه وطاب هواءه قام خضر بن المحسن ذلك الصبي الذي في سن الخامسة عشر من عمره من فراشه مسرعاً فتوضأ وصلى الصبح ثم جلس امام مائدة الطعام وتناول فطوره وبعد ان غسل يديه وفمه أخذ كتابه وتنحى عن اخوانه الصغار وجاء يطالع فيه ويتأمل الى أن نشرت الشمس أشعتها الذهبية على أوراق الأشجار . . . وخرج قاصداً المدرسة الالهية . . . » (٦٦) . وليس هذا السرد من نوع التوجيهات المسرحية لأنه يستغرق صفحات عديدة ويأخذ شكل السرد الروائي كما يظهر لنا المقطع السابق والذي يستغرق ست صفحات كاملة على هذا المنوال وغيره كثير في (الرواية الايقاظية) ويغلب على القسم الثاني من (الرواية الايقاظية) عنصر السرد على الحوار ويغلب البناء الروائي عليها ، وتتسع رقعتا الزمان والمكان وتتوالى الأحداث سريعة عنيفة وتكثر مغامرات سعيد ومحاولاته المستميتة لانقاذ صديقه خضر من الموت . وان كان أسلوبه القصصي في هذا القسم يشوبه التفكك لما في الأحداث من افتعال افقدها عنصر الصدق الفني ، أما القسم الاول من الرواية الايقاظية فهو الذي يختلط بالمسرحية النثرية ويأخذ فيه الحوار بين الشخصيات الطابع العام لنسجها لكن الحوار يمتزج بالسرد القصصي وعنصر الحركة مفقود تماماً بسبب دعوته الاصلاحية الوعظية . وأفكار المؤلف التي يطرحها بسيطة ساذجة تدعو الى التعلم والى تجنب العادات القبيحة كلعب الميسر وتناول

المسكرات ومعاشرة البغايا وتناول المخدرات . وتتصل الشخصيات بسلك القصة وحبكتها ولكن المؤلف أعطى للشخصية أهمية أكثر مما أعطى المحدث فالصفات التي تتصف بها الاشخاص تحدد نوع الحدث وليس العكس . وفي الوقت الذي نقرر فيه ان القسم الثاني من الرواية الايقاظية ، قريب الى العمل الروائي ، نجد أن القسم الأول منها ليس رواية بالمفهوم الفني للرواية وليس مسرحية بالمفهوم الفني للمسرحية بل هو مزيج من كلا الفنين .

وقد اختلف الباحثون في طبيعة الرواية الايقاظية ، ولعل التسمية كانت السبب في هذا الاختلاف ، لأن لفظة رواية كانت تطلق في تلك الفترة على الرواية وعلى المسرحية معا . فقد عد حسين الرحال الرواية الايقاظية رواية في المقدمة التي كتبها لرواية (في سبيل الزواج) لمحمود السيد (٦٧) والى هذا الرأي ذهب محمود السيد أيضاً في كتابه (السهام المتقابلة) الصادر عام ١٩٢٢ حيث قال « أما الروايات وهي اهم ما يكتبه الكتاتيون

(٦٧) محمود السيد (في سبيل الزواج) من المقدمة التي كتبها حسين الرحال « وقد ظهر فيهم عدد كثير من الكتاب فتفننوا بالكتابة تفنناً تطرقوا به لكل موضوع عرفوا من ورائه الفائدة للججمهور . . . وأخص بالذكر منهم كتاب الروايات الذين ادبجوا بقصصهم كلما ارادوا نشره من الافكار والعلوم على اختلاف ضروبها . . . مما يؤسف له ان قطرنا - قطر العراق - ليس له نصيب مما ذكرناه أبداً فالمهذبون عندنا يكتبون بقراءة ما يردهم من التأليف والروايات الافرنجية والعربية المصرية والسورية ولم يلتفت احد منهم الى تقليد الافرنج أو المصريين أو السوريين في هذه المسألة الجديرة بالأهمية ولا خطر لأحد منهم ان يتطرق لهذا الموضوع فيكتب أو يؤلف فيه ما استطاع الى ذلك سبيلا ، اللهم الا الرواية الايقاظية التي ألفها في الأيام الأخيرة الكاتب المجيد سليمان فيضي افندي الموصلي وتلك واحدة لم يتبعها ابناء وطننا بأخرى » .

في العصر الحاضر فقد قيل ان بعضهم كتب شيئاً من نوعها بيد أننا لم نر الا الرواية الايقاظية لسليمان فيضي الموصللي التي طبعت اخيراً . وقد جاء ذكر الرواية الايقاظية لأول مرة على أنها مسرحية في كتاب الدكتور جميل سعيد (نظرات في التيارات الأدبية الحديثة في العراق) عام ١٩٥٤ حيث قال « وربما كانت الرواية الايقاظية التي أشرنا اليها الآن اول ما كتب من هذا النمط في هذا العصر الذي نتحدث عنه (٦٨) . وقال أيضاً « ويبدو للمقارئ ان الرواية كتبت لتقرأ ولم تكتب لتمثل لأن المؤلف قسمها الى عشرين فصلاً وليس من السهولة تهيئة المسرح وانتظار النظارة على هذا النحو » (٦٩) . وقد جاره في ذلك كل من علي الزبيدي (٧٠) وجعفر الخليلي (٧١) . ونحن نخالف السادة الباحثين فيما مضوا اليه من ان الرواية الايقاظية مسرحية ، اذ نرى فيها مزيجاً من الفنين الروائي والمسرحي مع غلبة السرد عليها في القسم الثاني منها - كما أسلفنا . كما ونحن نخالف جميل سعيد في رأيه الثاني الذي مضى اليه من ان سليمان فيضي كتب الرواية الايقاظية لتقرأ لا لتمثل فمقدمته تدل على هدفه بوضوح . أما السبب الذي ذكره الباحث وهو تعدد الفصول الى عشرين فصلاً فإنه لا يعد سبباً قاطعاً فقد كان من تقاليد المسرح في بداية دخوله الى البلدان العربية تعدد المناظر في مسرحيات عربية كثيرة (٧٢) كما هو الحال في المسرحيات التي ظهرت قبل الرواية الايقاظية بمدة (٦٨) جميل سعيد (التيارات الأدبية الحديثة في العراق) ص ٥٢ .

(٦٩) المصدر السابق ص ٥٤ .

(٧٠) علي الزبيدي ؛ المصدر السابق ص ١٢١ .

(٧١) جعفر الخليلي ؛ القصة العراقية قديماً وحديثاً ص ١٦٨ .

(٧٢) انظر محمد يوسف نجم ؛ المسرحية في الأدب العراقي الحديث .

طويلة في العراق مثل مسرحيتي (لطيف وخوشابا) ، (البريء
المقتول) . ويعود ذلك الى ان المسرح كان خالياً من الديكور كما هو
الشان في مسرح شكسبير في العصر الاليزابيثي ، ولم يكن تعدد المناظر
في مسرح شكسبير ناتجاً عن تحمل من قيود مفروضة أصلاً بل كان
نتيجة طبيعية لعدم تعدد المكان على مسرح خال من المناظر والستائر
والخلفيات الا في حدود ضيقة (٧٣) وأن السبب الرئيسي في عدم
تمثيلها غلبة السرد عليها واحتواء هذا السرد على أفعال لا يمكن
تمثيلها على المسرح وخاصة في القسم الثاني من الرواية الايقاظية ،
مثل خطف الطائرة من المطار والاحداث التي دارت في بلاد الحبشة .
وقد احتار عبد القادر حسن الامين في كتابه (القصص في الأدب
العراقي الحديث) بشأن الرواية الايقاظية ، فهو يقول تارة « سليمان فيضي
قد اسهم في العمل الأدبي بنصيب غير قليل وتعتبر مسرحيته المسماة
الرواية الايقاظية من اقدم القصص في العراق » (٧٤) ولكنه يعدها
من باب المقامة في نفس الكتاب حيث يقول « اني أرى في الرواية
الايقاظية ما يبرر وصلها بمقامة الألوسي في نواحي الروح والتفكير
والمادة السجعية المتكلفة مع ملاحظة التوسع في اللون المحلي واخضاع
القصة لغرض الاصلاح الاجتماعي » (٧٥) .

ونحن لا نرى أن هذا الرأي صحيح ، لأن الرواية الايقاظية قد
ارتبطت بالمجتمع الذي تدور فيه وهي في ارتباطها بمجتمعنا تكاد تتفق
مع المقامة التي كانت تعني احياناً بوصف الكثير من وجوه الحياة
الاجتماعية في عصرها على نحو ما نرى في مقامة بدیع الزمان البغدادية

(٧٣) فاطمة نرسى (الفنية في مسرح شكسبير) مجلة المسرح العدد ٢٨

أبريل ١٩٦١ .

(٧٤ ، ٧٥) عبد القادر حسن امين : (القصص) ص ٣٧ ، ٢٠٦ .

التي تصور الحياة في بغداد والمقامة النيسابورية التي تقدم صورة دقيقة لفساد القضاء في عصره (٧٦) ، ولكنها تختلف عن المقامة في الهدف ، ففي الوقت الذي كانت المقامة تهدف أولاً الى تعليم اللغة العربية وتقدم صورها الاجتماعية كعامل مساعد ، كان فيضي يهدف في عمله الى النقد الاجتماعي ، ولم يهتم كثيراً باللغة الفصيحة فقدشوها باستخدامه اللهجة العامية على نطاق واسع في الحوار . وقد استطاع المؤلف بفضل طرافة موضوعه واتصاله بالحياة أن يخرج أسلوبه عن السجع البارد المتكلف وان لم يتحمل من العناية بالمحسنات اللفظية وإيقاع النغم ، فخرج عنده السجع القديم في ثوب عصري جديد لا تنفر منه الاذن . وما يبعد (الرواية الايقاظية) عن فن المقامة ايضاً ان الكاتب حاول ايجاد رابطة داخلية بين فصول كتابه ، وهذه الرابطة وان بدت ضعيفة باهتة غير مطردة فانها تميز هذا الاثر عن المقامة التي تعبر عن مجموعة من المواقف المنفصلة التي يرويها عيسى بن هشام عن بطله ابي الفتح الاسكندري ، مثلاً وهذه المواقف لا ارتباط بينها ولا يجمعها الا شخصية الراوي وشخصية البطل .

ولكننا كما في المقامات لا نكاد نقرأ اول صفحاته ونتبين منهجه حتى لا يفيدنا ان نقف عند نهاية الفصل اذ يتم لنا علم بموضوع معين وليس هذا شأن فن القصص كما ورد في الغرب اذ لا بد للأدباء لوصف المجتمع القائم من اقتباس الشكل الجديد والتعبير بأسلوب جديد يلائم الشكل . وان تندفع الشخصيات والحوادث في مجرى معين حتى تبلغ نهايتها . وتكوين الفكرة وتسلسلها تسلسلاً منطقياً طبيعياً يحتاج الى

المهارة فهي لا تكون أخاذة الا اذا كانت كاملة متناسقة الأجزاء (٧٧) .
كما سار فيضي على منوال المقامة في السجع وسائر المحسنات البديعية ،
ولكنه تأنق في اختيار عبارته وألفاظه بما يناسب ذوق العصر ، فلم
يوغل في غريب اللغة والالفاظ كما فعل الهمداني والحريري . كما
ادخل الكاتب العامية في الحوار على لسان شخوص جهال لا يحسنون
الكلام بالفصحى . والعجبه بين اسلوب الكاتب وأسلوب المقامة يتمثل
في العناية بالسجع ، وفي اختيار اللفظ وقصر الجمل وموسيقاها . ولكن
اسلوبه يختلف مع ذلك عن اسلوب المقامة في كونه لا يلجأ الى التقرع
ولا يختار الغريب من الالفاظ ، وذلك لاختلاف هدف الكاتب الذي
كان يهدف الى الاصلاح الاجتماعي عن هدف بعض كتاب المقامة
الذين كانوا يهدفون الى تعليم ألفاظ اللغة .

وقد لجأ الكاتب الى الأسلوب القصصي التصويري الذي يعتمد على
تقديم الصور الحية من ناحية والحوار من ناحية أخرى ، وقد استمد
الكاتب صورة من واقع مجتمعه وتكشف هذه الصور عن حس دقيق
ويقظة .

وقد يجد هذا الحكم من يعارضه (٧٨) على أساس أن الكتاب في
الواقع انما هو مجموعة مواقف اجتماعية تدين لغن المقامة ، وان ما فيه من
قصة وشخصيات هما من الهزال بحيث لا يبرر اعتبار الكتاب رواية
بالمعنى المألوف لهذه الكلمة .

وردي على هذه الاعتراضات -و أنه في الوقت الذي لا سبيل فيه
الى انكار ان الحديث يستند احياناً على فن المقامة ولكن لا يلبث ما
(٧٧) انظر الدكتور عبد المحسن طه بدر - تطور الرواية العربية الحديثة .
(٧٨) عبد القادر حسن امين ، المصدر السابق ص ٢٠٦ .

فيها من حوار وقص ان يتغلبا على المقامة فتجنح الى الاتجاه القصصي بصورة واضحة . وفي كثير من الاحيان يكون هذا العلاج ن القوة بحيث يحطم السجع ويخرج من اساره الى اطلاقة النثر (٧٩) « أمر الوزير بأن يذهب نحو السجن ويفك قيود المسجون ويأتي به الى قصره فقام سعيد على أثر ذلك والتمس من الوزير ان يأذن له بالذهاب برفقة المدير كي يفك قيود أخيه بيده أو يشاهد ذلك فعلا لتقر عينه فأذن له الوزير وخرجا » (٨٠) كما ان الشخصيات جميعها في الرواية الایقازية لا تظهر مرة واحدة وتختفي بل تستمر حتى النهاية عدا شخصية يقظان بما يعطيها سمات الشخصية المألوفة وان كان من الواضح انها شخصيات بدائية غير متطورة .

ويضاف الى ذلك ان الكتاب يعالج قصة واضحة المعالم تبدأ باقناع خضر صديقه باقل دخول المدرسة وتنتهي برد باقل الاحسان الى صديقه خضر الذي كان واسطة لتعليمه ورسم مستقبله بأن يسعى لانتقاذه من الموت .

ونحن لا نميل الى وصل الرواية الایقازية بمقامة الألو سي كما قال (عبد القادر حسن الأمين) (٨١) . ولكننا نميل الى القول بأن الكاتب قد تأثر بحديث عيسى بن هشام للمويلحي ، فثمة جوانب شبه كثيرة بين الكاتبين وهذا الشبه لا ينحصر في استخدام السجع بل يتعداه الى محاولة كل منهما اسباغ طابع الخيال او الحلم على موضوعيهما ،
(٧٩) سليمان فيضي (الرواية الایقازية) ص ٥٤ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٨٩ ، ١٣٠ ، ١٣٠ .

(٨٠) المصدر السابق ص ١٣٠ .

(٨١) عبد القادر حسن امين ، المصدر السابق ص ٢٠٦ .

فالمويلحي يوحى لنا على لسان عيسى بن هشام في الأسطر الأولى بأن الأحداث التي وردت في كتابه كانت حلاًماً ظهر له في نومه ولكن الأحداث تمضي دون أن يظهر عليها أي طابع مما يميز الأحلام في فوضائها وعدم انتظامها . وهذا ما فعله سليمان فيضي أيضاً وإلى جانب ذلك يتشابه الكاتبان في اهتمامهما بالمجتمع وذكر مساوئه ومحاولة إصلاحه .

والرواية الإيقاظية تعليمية يسودها الوعظ من أولها إلى آخرها ، وسليمان فيضي كاتب اجتماعي واعظ في المقام الأول .

وتقوم عقدة الرواية على المفاجآت والصدف ولا يستغل الكاتب ما يتيح له المجال الفني من الدراسة والتحليل والوصف واختراع الحوادث . فحوادثه في القسم الأول من الرواية قليلة ، والحياة عنده ضعيفة تحتاج إلى إبراز جديد يثبت فيها الروح ، والمشكلة التي أثارها هي مشكلة التعليم وبيان أثره على مستقبل المتعلم وما يضيفه العلم على أخلاقه وصفاته وقارنه بالجاهل ورسم للجهال مصائر سيئة أودت بهم إلى التهلكة ولم ينس المؤلف عنصر التشويق في القسم الثاني من الرواية فقد ملأه بالحركة والمغامرات وهو يبطن روايته بالآراء الاجتماعية والأخلاقية متأثراً بدراسته العلمية والاجتماعية :

(أبو سعيد : نعم اليوم وضعناه في المدرسة لأجل أن يتعلم التربية والعلم .

الجماعة : قه قه قه يا للأسف عليك ظلمته للولد ايش مدرسة وايش لزومها ، ليش انت تعلمت في مدرسة ؟ واحنه تعامنا فيها ؟ اشوف خيرنا كثير ومستانيين .

يقظان : جيراننا وهم شر الجوار لنا وصحبنا وهم شر الاصحاب

أبو سعيد : يا جماعة جاءنا رجل وبلشني بلشه ولا جاز حتى اقنعني
واظنه سحرني .

الجماعة : أخطاء ، ولكن أخطاء أكثر حيث ما تشاور أصحابك
وجماعتك الذين هم أعقل منك ، فنأسف عليك .

يقظان : انا لفي زمن ترك القبيح به من أكثر الناس احسان واقبال
سعيد : ارجوك يا والدي لا تتردد اني مستأنس في المدرسة .

الجماعة : هي هي يا مجنون يا هلولد كم شهر وتعلم ؟

يقظان : خلوة الانسان خير من جلوس السوء عنده

وجليس الخير خير من جلوس المرء وحده

سعيد : يا أعمامي لازم اداوم سنين حتى اتعلم) .

وهذا النوع من الروايات كان أسبق الى الظهور في ادبنا الحديث
من غيره من انواع الروايات لظروف سياسية واجتماعية . وتتلخص
الظروف السياسية في نكبة العراق بهزيمة الثورة العربية واحتلال
الانكليز لبلادنا مما دعا مفكرينا الى انعام النظر في الآفات التي كانت
تنخر في حياتنا وتسبب ضعفنا وتخلفنا وهزيمتنا .

واما الظروف الاجتماعية التي دفعت مفكرينا وأدباءنا نحو النقد
الاجتماعي فقد تولدت من احتكاك الحضارتين الغربية والشرقية في
بلادنا . وقد ولد هذا الاحتكاك النقد الاجتماعي في اتجاهين متضاربين
متصارعين ، ففي ضوء حضارة الغرب وروحها الفعلية النقدية أخذ
مفكرونا ينتهبون الى ما كان قد تراكم في حياتنا من تقاليد وعادات وخرافات
طاقت بحياتنا منذ عصور الظلام العثماني ، واما الظروف الثقافية فترجع
هي الأخرى الى اتصالنا بثقافة الغرب وآدابه وتنبهنا الى فنون من

الأدب لم تزدهر في تراثنا العربي القديم مثل في المسرحية والقصة .
والذي لا شك فيه أن دعوة أدبائنا ومفكرينا الى الاستفادة من آداب
الغرب وفنونه قد أثرت في الغالبية العظمى لأدبائنا حتى ولو لم يكونوا
يعرفون لغة أجنبية أو يجيدونها .

وظهر سليمان فيضي في فترة تاريخية مليئة بالأحداث ، وقد أسهم
في العمل الصحفي والادبي ، وأراد في وضع الرواية الايقاظية القضاء على
العادات التي تقف حائلا دون تقدم البلد وأنهى باللائمة على المتزمتين
وقناعتهم بما هم فيه .

وماخص (الرواية الايقاظية) كالآتي : يحبب (خضر) الى صديقه
(باقل) وهو ابن تاجر غني التزود من العلم ولكن اياه يعارض في
ذلك خوفاً على صحة ابنه ان تضنيها القراءة ، وما يابث الوالد ان
يوافق بعد توسط أهل الخير ويستبدل اسم (باقل) باسم آخر وهو
(سعيد) . ويحاول اصدقاء الأب ان يشنوه عن ادخال ابنه المدرسة
ولكن سعيداً يصر على الاستمرار في الدراسة ، ويتم دراسته الثانوية
ثم يذهب الى باريس لدراسة الطب ويعود منها طبيباً ويساعد والده
بعد ان تنهار تجارته ويعلن افلاسه . ثم يعالج سعيد أصدقاء والده
وابناءهم أولئك الذين حالوا بينه وبين التعلم بعد ان أصيبوا بأمراض
مسرية من جراء اقبالهم على الملذات من خمر وميسر وبغايا ومخدرات .
ويتم خضر دراسته في كلية الهندسة ، ويذهب الى الحبشة للبحث عن
المعادن النفيسة ، فيعثر أثناء بحثه على كنز ثمين بما يوقر قلب خادمه
عليه فيطمع بالحصول على الكنز وبعد ان يسرقه يتهمه بمحاولة حرق
قصر الملك ، ويودع خضر السجن ثم يحكم عليه بالاعدام الا ان

صديقه سعيد يسارع لانقاذه ، فيختطف طائرة يطير بها الى الحبشة ويحاول الاتصال بالملك ليخلص صديقه من الموت ولكن دون جدوى ويعلم سعيد بمرض وزير الدفاع الذي يحبه الشعب مرضاً حارث الاطباء في أمره ويعمل سعيد على ابرائه من المرض . ويطلب اليه الملك ان يتمنى ما يشاء فيطلب اليه سعيد ان يطلق سراح صديقه خضر ، ويعود الصديقان الى العراق بعد ان جمع القدر شملهما .

أما شخصيات (الرواية الايقاظية) فهي نماذج مسطحة يلقي المؤلف بواسطتها ما يريد قوله . وقد اختار المؤلف لكل واحد اسماً يتفق مع موقفه الخاص (فباقل) بعد ان يتعلم يصبح (سعيداً) ويقظان ينسحب من الرواية بعد دخول (باقل) المدرسة .

ونجد في الشخوص الخير المطلق كما في شخصية خضر وباقل ويقظان والشخصية الأخيرة شبيهة بشخوص المقامات وهي شخصية وهمية تلازم البطل دائماً وتقف الى جانبه ولا تحس الشخوص الأخرى بها ، دأبها الانتقاد والتعليق على حديث الشخوص ثم تختفي نهائياً من الرواية . او شخصيات تمثل الشر المطلق مثل (أبو جريدة ، أبو زرور ، أبو ذبابة ، أبو عنجور) . أما شخصية باقل فقد رسمها الكاتب بدقة واعتمد في رسمها على سلسلة من الموجات وعديد منها ، وألقى عليها وعلى الأحداث أضواء مختلفة من زوايا مختلفة . كما عني بتحليل مظاهرها وتصوير عالمها الخارجي والملاحم الواضحة دون ان يتعمق الى قرارها يستنبطها ويستخرج مكنوناتها .

والشخصيات في (الرواية الايقاظية) تصور بنزعاتها ضروباً من الصراع كما تشاهد ضروباً من السخرية المستمد من طباع الشخصيات ومن مفارقات الحوادث ومفاجأتها ، وهو في حوارها وشخصياته وحوادثه

يستمد من الواقع المحلي ونظم البيئة العراقية .

وقد قدم المؤلف صوراً حية نابضة تكشف لنا عما في المجتمع من مظاهر الجهل والتخلف والنفاق والفوضى والاستغلال ، هذه الصور هي التي تشعر القارئ بالمتعة عند قراءتها . ومن الملاحظ ان هذه الصور التي يقدمها سليمان فيضي للنماذج البشرية الهامشية في الكتاب اكثر حيوية من شخصية يقظان لأنه شغلها بالتعبير عن افكاره الاصلاحية بما جعل وظيفتها تقتصر على المراقبة والتعليق فأفقدتها الحيوية التي تتمثل في هذه الصور .

وكانت رغبة المؤلف في تقديم هذه الصور الحية هي التي مهدت له السبيل لاستغلال الحوار استغلالاً طيباً فقد أجرى الحوار بما يناسب شخصه فقد اتخذ العامية للشخصية الجاهلة والفصحى للشخصية المتعلمة . (سعيد : انا أظن يا سيدي الوالد ان المدرسة لا تحتاج الى مصاريف زائدة .

أبو سعيد : حالك من حال الناس يا ولدي كل الناس ما يعلمون اولادهم وعایشین عیشة طيبة وایش عليك ؟ عایز انت ؟ خير كثير ، المبلغ الذي تصرفه على الكتب اصرفه على بطنك .

يقظان : لو ان خفة عقله في رجله سبق الغزال ولم يفقه الأرنب ابو عنجور : اسمع جواب والدك يا بني أحسن وشوف انا ابني عنجور مستأنس كثير يلبس طيب ويأكل طيب بالليل يروح الى التياترو والى مجمع (الدوما) واذا صار نصف الليل جاء ونام وبالنهار يدور من چایخانہ الى چایخانہ ، صیر مثله احسن وشوف هو كل يوم یسمن اكثر من الذي قبله .

يقظان : وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه
أبو زرزور : وانا ولدي زرزور أيضاً مستأنس يدور ويلعب واذا
صار الليل يحصل كل ليلة عشرين ثلاثين روبية .
سعيد : من أين يحصل ذلك ؟ .

وفي هذا الحوار الدائر بين الشخصيات يريد المؤلف الكشف عن
طبيعتهم كنماذج بشرية تمثل مظاهر التخلف او الانحلال في المجتمع
- وهذا الحوار اكثر حيوية من الحوار المألوف في المقامة واقرب الى
الوظيفة الأساسية للحوار التي تكشف طبيعة الشخصية من ناحية وتدفع
الحدث الى التطور من ناحية أخرى .

(٥)

وكان محمود احمد السيد (١٩٠٣ - ١٩٣٧) أول من عنى بالرواية
في العراق ، وقد حاول واعاد المحاولة نحو الأحسن فالأحسن وبتأثير
العوامل السابق ذكرها مجتمعة ظهرت الرواية في العراق عند محمود
السيد . وكانت روايته (في سبيل الزواج) أول رواية عراقية وقد
صدرت في مارس ١٩٢١ ثم اعقبها بروايته (مصير الضعفاء) عام ١٩٢٢ ،
واخيرا روايته الشهيرة (جلال خالد) عام ١٩٢٨ .

وقد كان محمود السيد ممثلاً للطبقة الوسطى النامية ، وكانت آراؤه
ومعتقداته السياسية الدافع الأساسي لكتاباتاته ، وحرص في كثير من
الأحيان على أن يمزج الوعظ بالامتناع . وقد وجد أبناء الطبقة
الوسطى صورة صادقة لآمالهم وأفكارهم وظروفهم في أعماله الادبية .
وقد أثرت عقلية هذه الطبقة في رواياته وعاقبتها عن التطور بسرعة ،
فقد كان أبناء هذه الطبقة على استعداد لتقبل اي نوع من النشر

القصصي على شرط ان يقدم لهم في صورة حقائق . وقد استغل السيد هذا الميل ، فجعل هذه الحقائق محوراً لأعماله الروائية . وكان أسلوبه النثري البسيط أسلوب الصحافة والدعاية ، أهم وسيلة للتعبير في كتبه ، وهكذا بدأ النثر الروائي يبتث جذوره في ارض العراق ، ومن بعده استعمله كتاب الرواية في وصف حياة شخوص عادية ووعو الدرس الذي لقنه اياهم (السيد) .

ويتفق الدارسون (٨٢) على ان رواية (في سبيل الزواج) هي فاتحة فن الرواية في الادب العراقي الحديث . فهي علامة تاريخية في تاريخ التطور العام للرواية العراقية ، وقد تأثر الكتاب بمطالعاته الروائية (٨٣) واكتشف نتيجة مطالعته في الادب الروسي نزعة واقعية تصور المجتمع وتسعى الى علاج مشاكله كما اكتشف في الادب التركي نزعة ثائية كان يجد لها صدى عميقاً في نفسه ، وهي نزعة الى الحرية ، الى هدم التقاليد البالية التي كانت تعوق مجتمعه عن التطور ولكنه تأثر

(٨٢) انظر/ علي جواد الطاهر (القصص العراقي المعاصر) ، عبد القادر حسن امين (القصص) جعفر الخليلي (القصة العراقية قديماً وحديثاً) باسم عبد الحميد حمودي (في القصة العراقية) سهيل ادريس (القصة العراقية الحديثة) الآداب العدد ٢ عام ١٩٥٣ .

(٨٣) محمود السيد ، مجلة المعرض ج ٢ عام ١٩٢٦ ص ١١١ (يعتبر تورغنيف ودستوفسكي وتولستوي اقطاب هذا الاتجاه الادبي الذي اطلق عليه اسم الرياليزم - اي الواقعية . . . وان قصة تولستوي البعث تحتوي صوراً من حياة الفلاح عندنا تماثلها او تكاد وواجب علينا ان نتخذها وما اليها من صور ادب الرياليزم الروسي نماذج للادب الشعبي الجديد الذي نرجو ان يتكون في المستقبل القريب عندنا) .

ايضاً بنزعة عاطفية قوامها احساس المراهق وحرارة الشباب والنزعة
العاطفية التي شاعت في كتابات المنفلوطي والنزعة الانسانية التي تلون
الادب التركي عامة (٨٤) وهذا ما جعل روايته تحيطها هالة رومانسية
تقويها عاطفة الذكرى والوان الخيال ، ومفارقات مستمدة من الحياة ،
لاسيما ما يكشف منها عن نواحي الضعف الانساني ، وهي تنكشف
للابصار . فهي تدور حول النفاق الذي يتكشف عند الامتحان ، والشر
الذي يتغلب على الخير ، وعيوب الحسد والتعامي عن فضل الغير وعاقبة
الخداع وعاقبة الغباء والغرور .

ووصف المؤلف روايته الاولى (في سبيل الزواج) بأنها (مسرحية
شرقية هندية) (٨٥) ويبدو لنا ان سبب اختيار السيد الهند مسرحاً لروايته
سبب اجتماعي هو زيارته للهند ، ومشابهة ظروف الهند لظروف العراق
آنذاك ومحاولة السلطات البريطانية المحتملة ربط العراق ادارياً واقتصادياً
بنائب الملك في الهند .

والرواية مليئة بالاحداث المتتابعة والاعمال البطولية الخارقة ،
ينافس البطل في حبه رجلاً شديداً البطش مرهوب الجانب يلقبه الناس
(ببطل الجبل) يتأأس عصابة خفيفة . ولكن البطل مقدم لا يهاب

(٨٤) محمود السيد (نزعة من نزعات الادب القصصي التركي) ،
الاستقلال العدد ١٠٩٥ ، عام ١٩٢٧ (وطبيعي ان تكون الاكثية الى جانب
رشاد نوري لانه نزاع في قصصه الى الحرية معبودة الترك والشعوب الشرقية
الاخرى المتحفزة للمنهوض والى هدم التقاليد البالية ، لقد كنا نرغب في ان
ننقل قصص الكاتب ولكن ...) .

(٨٥) يبدو ان المؤلف لم يكن يفرق في التسمية بين المسرحية والرواية .

الموت فيركب الالهوال حتى يلتقي ببطل الجيل فيصرعه وعصابتة وحين يعود مكلا بالفخار يجد ان حبيبته قد فارقت الحياة حزناً على فراقه .
والرواية تعالج مشكلة الزواج في الشرق . وفيها تضمينات من
الشعر العربي على لسان ابطال الروايه الهنود ، على طريقة حكايات
الف ليلة وليلة ، وفيها اوصاف وتشخيص لمواقع وامكنة في الهند وبخاصة
لمدينة (بمبي) (٨٦) التي سكنها الكاتب بعد هجرته من بغداد ، وفيها
تقليد لما كان يترجم الى العربية من روايات ومغامرات قبل الحرب
العالمية الاولى وبعدها .

وقد خلع السيد على ابطاله صفات البطولة الخارقة التي لا يقف
في سبيلها عائق ، وذلك تعويضاً عن آماله المحطمة بعد ان اصاب
وطنه نكبات متوالية من احتلال انكليزي بعد استعمارعثماني ومن فشل لثورة
العشرين التي ضحى فيها الشعب العراقي بأرواحهم في سبيل التخلص من
السيطرة الاجنبية . والرواية العراقية الاولى تغلب عليها النزعة التعاليمية
المباشرة (٨٧) والولع بالطريف من المفاجآت والنهايات المفتعلة . والآفة

(٨٦) في سبيل الزواج ص ٩ - ١٣ (كانت بمبي في زمن الحكام الهنود
الاصليين عبارة عن سلسلة جزيرات صخرية صغيرة في احد سواحل البحر
الهندي من جهة الشمال . . .) .

(٨٧) السيد (الطائع) ص ٦٨ (وبعد فحسي انني احتذيت اميل زولا ،
والكتبة الروسيين امثال شيكوف وتولستوى . من كتابها وهم ينزلون الى
الدركات السفلى من سلم حياة المجتمع الانساني فيقتطفون منها المواد لقصصهم
بدلاً عن ان يعرجوا الى الدرجات العليا فينثروا للناس الزهور ويخطفوا
الابصار بالالوان الساطعة البهية فيشغلوهم عن معرفة الحقيقة والاهتداء الى
الداء الدفين) .

والآفة الرئيسية لابطال السيد انهم لا يدرسون عبر نفسياتهم ، فهم يدخلون كثيراً من الاحداث ولكننا لا نراهم اطلاقاً وهم في ردود فعلهم الخفية ولا نقرأ ما في اعماق قلوبهم المحرومة . انهم جميعاً يفتقرون الى تلك الحاسة السادسة حاسة الوعي والضمير . وفيهم آفة اخرى ليست اقل خطورة هي انهم يفتقرون الى (الجو) فان المؤلف لا يحيطهم بتلك الظلال من التفاصيل الصغيرة الحية ولا باللمسات الدقيقة المومية . ويمكن ان نقول اجمالاً ان هذا العمل ينقصه كثير من العناصر الفنية للرواية ولعل ذلك راجع الى عدم فهم المؤلف لطبيعة الفن الروائي فهماً حقيقياً والى ميله الواضح الى الايجاز المخل في كثير من الاحيان . وتبدو الرواية وكأنها وضعت لدراسة الزواج دراسة علمية نظرية ، نادى فيها المؤلف بوجود زواج الاكفاء ، واهتم بتبيان اثر التربية في الاخلاق والسلوك . وكأن الكاتب وضعها للموعظ لذا نراه يستطرد احياناً الى ما يعوق السياق ويعطل التطور الطبيعي للاحداث في سيرها نحو النهاية ، ويترك الكاتب القارئ في تيه يضل فيه فيستطرد في نصائح يسوقها ، وتدور في الغالب حول الزواج والتربية (ولم يعلموا ان التحابب بين المرأة والرجل قبل الاقتران هو كتمهيد للسعادة التي ينتظرانها بعد الاقتران وما أحسن ما قال احد علماء الاجتماع . . . وددت لو ان كل الآباء امامي فأعظهم بأن لا يزوجوا بناتهم الا لازواج يجدون في قلوبهم عواطف الحب الخالص الذي هو الحياة كلها) (٨٧) ، متأثراً في ذلك بما شاع على السنة الكتاب من الدعوة الى تحرير

(٨٧) محمود احمد السيد (في سبيل الزواج) ١٦ ، وكذلك في الصفحات

٢٠ - ٣٠ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ .

المرأة وزواج الاكفاء .

وتكثر الاحداث المتكلفة عنده كالاغماء لاتفه الاسباب وبأقل انفعال ، وتكثر عنده المؤثرات والحيل والمبالغات . وتلعب المصادفة دوراً هاماً في احداث الرواية ، بالإضافة الى الحشو والاستطراد « والفيل هذا من غرائب خلقة الخالق جل شأنه وعجائبها » (٨٨) .

وشخصيات الرواية تكاد تكون متقابلة فيما تمثله من نماذج الاخلاق ، فبطل الجليل يقابله بطل الرواية الطيب (وككتور) ، وبطلة الرواية الطيبة تقابل ام بطل الجليل الشريرة .

وقد سلك الكاتب هذا المسلك ليستطيع ان يقارن مقارنة دقيقة بين عناصر الخير والشر واثر كل منهما في حياة المجتمع . وهو يقدم لنا هذه الشخصيات تامة من حيث الصورة والاخلاق ، ثم يأتي بالحوادث برهاناً على ما يقوله . وهو لا يفسح للشخصيات مجال التحدث عن نفسها في حوار او مناجاة بل يقف لها بالمرصاد ، ويصفها وصف الصحفي الماهر مهتماً بعالمها الخارجي دون ان يأبه للتحليل ، ولذا تخرج من تحت قلمه باهتة ليس لها وجود حقيقي في الحياة كأنها ممثلو مسرحية تنتهي حياتهم فيها عند نزول الستارة ولا تمتد ذلك الامتداد الحيوي الخالد الى الحياة الانسانية . اما اسلوبه في عرض مادته القصصية فبالرغم من صفائه وجزالته فانه لا يخلو من اخطاء لغوية (٨٩) واملائية (٩٠) ولا

(٨٨) المصدر السابق ص ٦٠ وكذلك ص ٩ - ١٣ ، ٤٠ .

(٨٩) المصدر السابق ١٥ ، ٣٥ ، ١٦ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ،

٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٢ .

(٩٠) المصدر السابق : ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٤٦ ، ٦٩ ، ٧٢ .

ينسب التمثيل بالاشعار والاستعانة بها في تطوير المواقف والاجواء (٩١) .
وبعد سنة من صدور روايته الاولى صدرت روايته الثانية (مصير
الضعفاء) عام ١٩٢٢ وفيها نجد استجابة ظاهرة للمواقع ، فهي تعطينا
فكرة واضحة عن ظلم العثمانيين وطغيانهم . العثمانيون الذين اذاقوا
العراق الكثير من العسف والهوان قبل احتلال الانكليز للعراق .
وبالرغم من الفجوات الكثيرة من ناحية البناء الروائي فاننا نعدها
تجاوباً فعلياً مع واقع عراقنا حينذاك . ونزع الى هذا الرأي ايضاً
باسم حمودي في كتابه (في القصة العراقية) (٩٢) . وتمثل (مصير
الضعفاء) احدى المحاولات الاولى لموهبة قصصية بيئة تتعثر في ارض
زلقة تنغرز الاقدام ولا تتقدم . ونجد فيها دلائل الاخلاص للعمل وبذل
اقصى الجهود له . واهتماماً ظاهرة بالحبكة القصصية وبوادر صنعة التنقل
بين الحوار والعرض والسرعة واجادة في الوصف . ولكن الى جانب
هذا نراها اذا مالت مرة الى المذهب الواقعي والتزام الصدق مالت
مرات الى الاغراق في الخيال الميلودرامي واثارت الاشجان . وصورها
مستمدة من العراق في الاغلب ، ومن بعض اجواء غريبة عنا بتأثير
الاداب الاوربية . وفي الرواية احداث كثيرة متداخلة تكتنفها الخوارق
والمفاجآت ايضاً كما في روايته الاولى . يحب بطل الرواية (ابراهيم)
وهو ضابط في الجيش العثماني أخت القائد التركي (زهراء) . وفي
ليلة يحب فيها القائد الخمر وينتشي بالقصائد التركية التي يلقيها عليه
ابراهيم ، يوافق على زواج اخته من ابراهيم ، وما ان يفيق من سكره

(٩١) المصدر السابق : ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٨ ، ٥٨ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٣ .

(٩٢) باسم عبد الحميد حمودي (في القصة العراقية) ص ١٢ .

حتى يسجنه ويرفض تزويجه باخته . ثم يترك الكاتب قصة ابراهيم لينتقل الى قصة زميل لابراهيم في المدرسة يدعى (حسن الفراتي) ، وينقل مكان الحدث من الموصل الى بغداد . ونعلم ان حسن الفراتي درس في النجف ثم اشتغل محرراً في الصحف (اول عمل قام به انه جعل يحرق المقالات الطوال في الصحف يحرق فيها الناس على نشر العلم والاكتثار من فتح المدارس) ، ويستطرد الكاتب في اهمية العلم والثقافة (٩٣) . ثم يترك الكاتب حسن الفراتي وينتقل الى صديق آخر لابراهيم يدعى (محمود الكرخي) ، والكرخي هذا مصلح اجتماعي ايضاً يقوم بجمع المال من الاغنياء لينشئ بهذا المال مدارس لتعليم الاولاد . ويزور الكرخي (الحاج علي) وهو من اغنياء بغداد يحثه على التبرع لانشاء مدرسة فيمتنع الحاج علي عن المساعدة ويغفل في القول فيرد عليه الكرخي ويجتمع رجال الحاج علي ويوسعون الكرخي ضرباً . وهنا يأتي الفراتي لزيارة الحاج علي في الموضوع ذاته وحين يجد صديقه يضرب يستخدم طلقاً نارياً فيزج به في السجن هو وصديقه الكرخي . ويلتقيان هناك بابراهيم ويتمنى الثلاثة رؤية صديقهم (عبدان) ثم يقطع الكاتب سرد الرواية ويروي لنا قصة اخرى عن (عبدان) يرويه رجل فقير التقوا به في السجن مفادها ان عبدان طرد من وظيفته بعد ان طالب رئيسه بدين له عليه ، فطرده الرئيس وما كان من عبدان الا ان يشتمه ويضربه فاقبض الى السجن . ثم يتعرف الثلاثة على الراوي فاذا به عبدان نفسه صديقهم القديم . ويعمل الاصدقاء على كسر قيودهم ويهربون من السجن ، ويسكنون البراري والقفار . وعلى حين غرة وبينما هم يضعون الخطط ويدبرون الامر يلتمحون فارساً عن بعد فيرمونه

بالرصاص ويخر صريعاً وإذا بالفارس زهراء حبيبة ابراهيم التي تخبره وهي تلمظ انفاسها بأن اباها قتل امه بالسيف فقتلت هي اباها انتقاماً لأمه . وبعد موت زهراء يحيط الشرطة بهم ويستمر تبادل اطلاق النار بينهم وبين الشرطة حتى يموتوا جميعاً . وينهي الكاتب روايته بنفس الاسلوب التعليمي (قتلوا كسجناء مجرمين ولكن ما هو ذنبهم ! وما جرهم ، الضعف الضعف) .

وتعتمد الرواية كما رأينا على الحوادث الفخمة والمخاطر العجيبة وتقوم على عاملين اساسيين ، هما المصادفة ، والمبالغة . المصادفة التي تجعل حوادثها تتقلب وتتغير دون تمهيد منطقي معقول يقتضيه التطور الطبيعي لها .

والرواية ملأى بالحشو الذي يعترض سبيل السرد ويظهر في صور عديدة فهناك الوعظ والتهذيب « نحن اليوم في عدد غير قليل وبلادنا واسعة كبيرة وارضينا خصبة غنية بمعادنها الكثيرة ولا ينقصنا الا المال الذي لا يحصل عليه بالعلوم ، والفنون » . . (٩٤) .

كما يستخدم الكاتب الشعر (٩٥) والامثال (٩٦) ويلجأ الى الاساليب الخطابية « يا كامل يا كامل انا اقول وقولي الحق انه دنيء وساقط ولو كان له مال قارون ومكانة فرعون . . . لقد آن أن تزبح عن الابصار الحجب الكثيفة التي تمنعها من رؤية هذا الفريق البشري المتظاهر بالعبكبرياء والجبوت . . . (٩٧) .

(٩٤) محمود السيد (مصير الضعفاء) ٣٩ .

(٩٥) المصدر السابق ؛ ٨ ، ١٩ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ .

(٩٦) المصدر السابق ؛ ٢ ، ١٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٦٤ .

(٩٧) المصدر السابق ؛ ص ٥٠ وكذلك ٢١ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٥٩ ، ٦٨ .

- واستخدام حوار لا يخدم الحدث ولا يطوره (- ماذا عندك يا ولدي
 - ليس من شيء . عندي
 - كلا اني استغرب حالتك
 - دعني يا ابي وشأني
 - لا حول ولا . . . قل لي عندك شيء يوجب الاهتمام .
 - كيف لا انا اهتم بك .
 بس انا ؟) (٩٨) .

اما الحوادث فقد سخرها الكاتب لخدمة قيمه الاجتماعية ولم يأت بها للتسلية والتشويق ويهتم الكاتب بالحادثة قبل الشخصية ، وليس للكاتب فلسفة عميقة او ملاحظة دقيقة يحاول ان يبشها من خلال السرد القصصي ، بل كان همه الاول اصلاح المجتمع وتهذيب الاخلاق ونقد العادات المستهجنة وتمجيد العادات السامية . ويظهر في الرواية تأثره بالافكار الغربية كالعدالة والمساواة . وهو كثيراً ما يتحدث عن المساواة بين الكبير والصغير والغني والفقير ، ووجوب تساويهم امام القضاء .

اما شخصيات الرواية فثابتة لا تتطور ولا تنمو ، فنرى مثلاً شخصية ابراهيم بنيت حول فكرة واحدة هي الاخلاص في الحب والتضحية في سبيله . وكذلك شخصية (زهراء) . ومثل هذه الشخصيات تستعمل لتعقيد الحوادث وتكديسها ، وتصلح لقصص الحوادث لتعدها وكثرة اعمالها ليسهل تذكرها ومتابعتها والتعرف عليها اثناء السرد . كما انها تساعد الكاتب على ان يمضي في تكديس الحوادث دون ان يضطر الى

بذل الجهد في بناء الشخصية ، وهو يهتم بحياة شخصياته الخارجية وتصرفاتها دون ان يتعمق الى تسجيل ما يضطرب في العقل الباطن . ولا تحتاج مثل هذه الشخصيات عادة الى ما تحتاجه الشخصيات النامية من متابعة لحياتها وتطوير لاخلاقها وتهيئة الجو المناسب والاحداث الملائمة لها . والكاتب يتورط في تعدد العقد فيدخل بعض الحوادث التي تصلح ان تكون قطعاً مستقلة يمكن فصلها عن جسم الرواية دون ان تشوهه مثل قصة (عبدان) وقصة (الفراني والكرخي) اذ انهما لا تفيدان تطور الرواية في شيء وليس لهما ادنى اثر في حبكة الحوادث حبكة طبيعياً وثيق الاسر .

تلك آثار السيد في طوره الاول (٩٩) ، فصول مفككة واسلوب ضعيف وقصص مليئة بالوعظ والارشاد ، وتشيع فيها الاغلاط الاملائية والمغوية مع ضعف الربط بين العبارة والعبارة والجملة والجملة (١٠٠) وفيها يجمع بالكاتب الخيال ، وخياله ضعيف في هذا الدور من كتاباته فيؤلف الصور ولكن الصور تجيء متنافرة قلقلة . والى هذا الرأي ذهب

(٩٩) محمود السيد (هياكل الماضي) جريدة العراق العدد ١٠٠٨ عام ١٩٢٣ ، (لبث السلطان في الشرق . . . ولا تغضب ايها القارئ . . . بيد اناس ماديين قساة يعملون على كسر قلم كل اديب خيالي او روائي غرامي يدعي العصرية ولكن لافرق بين نفسيته ونفسية ذلك الشاعر القديم القائل احبها ويحب ناقتها بعيري الا بالمظهر الكاذب . آه ليت الظروف كانت تفهم فتكسر يدي قبل ان اكتب تلك الروايات الغرامية الفاسدة الثلاث في سبيل الزواج ومصير الضعفاء والنكبات السخيفة التي اعدتها لطخة عار في حياتي وحياة الادب) .

(١٠٠) محمود السيد (مصير الضعفاء) ٤٣ ، ٤٤ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ .

جميل سعيد ايضاً (١٠١) .

والسيد بما صورنا من ملامحه المستخلصة من ملامح عصره المأزوم وجيله القلق قد بين رأيه في المشاكل والمواقف والازمات الدائرة في محيطه والمائلة امامه . وقد كان الطابع العام للعراق وللبلاذ العربية بين انتهاء الحرب العالمية الاولى والحرب الثانية يمتاز بلون رومانتيكي ، يتغنى بالحرية والانطلاق ويتمشق المثل وتهزه الاخيلة والالوان وتسيره العواطف والاحاسيس . ومن الطبيعي ان يكون البلد بهذا الطابع بعد وقوع الحرب وفشل مزاعم الحلفاء بعد فشل الثورة العراقية وبعد تهديم الآمال الهادة الى تأسيس حكم وطني وقد جعلت هذه الروح الرومانتيكية اوساط الناس من المطالعين ومن المتأدبين يعكفون على قراءة الادب العاطفي الغامض بمداعبته للاحاسيس والاهواء والعواطف والخيالات كقصص مصطفى لطفي المنفلوطي وقصص جبران وشعر المهجر وكنتيجة حتمية لميلاد الواقعية من الرومانتيكية فان الدعوة الى الادب الواقعي بدأت في الظهور في العراق بصورة مبكرة بسبب انتشار المعتنقين للافكار الاجتماعية والمشتغلين في القضايا العامة .

وكان السيد من اول الدعاة الى الواقعية (كفى الجمود كفى الهيام في اودية الخيال اكتبوا لهذه الامة ما يفيدها والا فان بقيتم تمسخون وجه الطبيعة الجميل بأقلامكم وترقصون القمر وتطاردون عطاردها وتثيرون غبار الحقد والحسد والتباغض في وجه الانسانية فعلى نهضتها العفاء) (١٠٢) وقد تفتحت موهبة السيد مع تفتح امل العراقيين بقيام

(١٠١) جميل سعيد (التيارات الادبية الحديثة في العراق) ص ١١ .

(١٠٢) محمود السيد ، مجلة اليقين ١٩٢٣ .

حكم ذاتي ديمقراطي تعود السيادة فيه للشعب الذي اراق دمه في كناحه ضد الاستعمارين العثماني والانكليزي . والواقع ان السيد قد كرس نفسه لانتاج ادب مقاومة ونضال ، وكان مسوقاً الى انتاجه بسبب من اوضاع العراق السياسية والاجتماعية ، ولم يكن بوسعه الا ان يستجيب لحاجات الشعب الاجتماعية ، ومن هنا كان اسهامه في رسم الطريق الجديد . (١٠٣) وتجمعت عوامل عدة لخلق الملكة الادبية عند محمود السيد : كثرة الكتب والمجلات والصحف المصرية الزاخرة بالقصص الموضوع والمترجم في المكتبات العراقية ، واثقائه اللغة التركية ، كما ساعد على تكوينه الادبي سفره الى الهند وتجوّاله في محيط يختلف كل الاختلاف في العادات والاخلاق واسباب المعيشة والوان الحياة واتصاله بكتاب هندي يدعى (سوامي) يشتغل محرراً في احدى الصحف الثورية التي يرعاها الزعيم (تيلاك) استاذ غاندي . وكان سوامي اشتراكياً متحمساً القى دروساً في الوطنية والعمل من اجل الحرية على محمود السيد وعلمه ان الجهاد لا يكون بالخروج من البلاد تخلصاً من وطأة الاحتلال ، وان الوطنية معناها الصمود في ارض الوطن واثارة المواطنين على الغاصبين (١٠٤) .

وقد ظهر اثر ذلك في روايته الثالثة والاخيرة من بين رواياته (جلال خالد) عام ١٩٢٨ ، وفيها يبدأ السيد اديباً قصصياً وطنياً يأخذ

(١٠٣) انظر زهير احمد (جلال خالد) مجلة الفنون العدد ٤ عام ١٩٥٨ وجعفر الخليلي (القصة العراقية قديماً وحديثاً) .
(١٠٤) محمود السيد (جلال خالد) ص ١٠ .

موضوعاته من تجاربه . ويسبغ السيد على بطل الرواية (جلال خالد) صفاته الخاصة وتلتقط مخيلته من مجرى حياته موضوع الرواية وذهب الى هذا الرأي بعض الباحثين مثل جميل سعيد في كتابه (التيارات الادبية الحديثة في العراق) وباسم عبد الحميد في كتابه (في القصة العراقية) ومحمود العبطة في كتابه (محمود السيد) وزهير احمد في مقاله عن (جلال خالد) (١٠٥) فقد كان جلال خالد ، مترفعاً عن الناس منهمكاً في ارتداء الثياب الغالية (١٠٦) ثم انقلب عند تحطم آماله في حبه لساره وحبه لوطنه الى انسان حائر يائس (١٠٧) .

وقد استفاد محمود السيد من اسفاره وغيرت افكاره وخاصة سفرته الى الهند كما بدلت ميوله السياسية فقد كان قومياً متحمساً نصار ينزع الى الاشتراكية . كما فعلت بجلال خالد تماماً . يقول السيد واصفاً (جلال خالد) وانما يصف نفسه (وهو قارئ الان أن الانسانية فكرة جامعة شاملة للأمم كلها . وان القومية فكرة ضيقة النطاق ، الغلو فيها يدفع الامم الى الحرب الطاحنة والدمار وان الدين فكرة واز كانت اوسع من القومية نطاقاً لم تجمع الامم والاقوام تحت لوائها وهو قارئ الآن ان اعطاء المرأة حقوقها لا معنى له ما لم يسبقه التحرر من الاسر ومساواة الرجل والاشترارك معه في العمل والانتاج) (١٠٨) .

(١٠٥) زهير احمد (جلال خالد) مجلة الفنون العدد ٢٤ عام ١٩٥٨ .

(١٠٦) محمود السيد (جلال خالد) ص ١٠ .

(١٠٧) انظر محمود العبطة (محمود السيد) ، زهير احمد المصدر السابق

وجميل سعيد (التيارات الادبية الحديثة في العراق) ص ١٢ وباسم عبد الحميد (في القصة العراقية) ص ١٢ - ١٣ .

(١٠٨) جلال خالد ٦٥ .

ويتحول محمود السيد تحولاً آخر فيرى ان الكتابة لا تجدي نفعاً
وعليه ان يقلع عنها الى العمل يقول في رسالة يرسلها جلال خالد الى
صديقه احمد مجاهد (ألا ما اضعفنا واضعف عقيدتنا ، وما هذا الانزواء
عن العالم والتلهي بالمطالعة في زوايا دورنا . انا كل ونشرب وننام على
وسائد الراحة والنعمة ثم لا نعمل عملاً غير كتابة الرسائل يرسلها
بعضنا الى بعض تحمل الآهات والانات . او هل اصلحت الآهات والانات
شعباً ؟ وهل في رسائلك التي كنت ترسلها الي تصف لي حياة الفلاح
العراقي وشتائه ما يسعده وينجيهِ من عذابه ويحرره من الاسر) (١٠٩) .
يشهد (جلال خالد) احتلال الانكليز لبلاده فتضيّق نفسه ويقرر
السفر الى الحجاز موطن الثورة العربية ، ولكن الظروف تحرمه من
السفر اليها فيتجه الى الهند ، وفي الباخرة التي تقله الى الهند تمتحن
عقيدته القومية ، والدينية هذه التي تجعله (كارهاً كل قوم عدا العرب)
امتحاناً مريراً ، اذ يقع في حب (سارة) وهي غانية يهودية بغدادية
كانت مسافرة مع ابيها وخطيبها داود ، وينشب الحب اظافره في قاب جلال
في عنف وحرقة ، ولكن هذا الحب لم يكن في صميم الرواية بحيث كان
من اليسير جداً اسقاطه بجملة دون ان يؤثر ذلك على مجرى الرواية ،
ويقضي جلال في هذه المدينة سنة وبعض السنة مكرهاً اذ انه اعتزم
السفر الى (سنغافورة) للبحث عن حبيبته ولكنه كان يحجم على الدوام
اذ يتصور سارة حاملاً من زوجها داود - وهي ايماءة رومانتيكية
تتمثل فيها المرأة كائناتاً علوياً لا يتصف بصفات البشر - ثم يرحل الى
كلكتا فيفاجئه حادث اضراب عمالي كبير يترك في نفسه اثراً عميقاً ،

وهناك يتعرف على كاتب هندي يدعى (سوامى) يؤثر فيه تأثيراً كبيراً وتتغير نظراته للحياة ، ويجد ان الرأسمالية هي السبب في كل الولايات التي تصيب العالم ويستمتع الى محاضرات مفكري الهند ويتأثر بهم . ويتسنى له بصحبة سوامى ان يشاهد نماذج عديدة من البشر : طاغية كشخصية (المولوي ابراهيم) الذي يدعو لكفاح المستعمرين بالاكثار من انجاب الاطفال ، وشخصية الصحفي الهندي المؤمن بالجامعة الاسلامية وبزعامة الخليفة العثماني والمنكر حق العرب في الحرية ، وشخصية الشاعر البنغالي الذي يجرح كبرياء جلال القومي بقوله (ان العرب في الهند اثنان لا ثالث لهما : تاجر يجمع المال وشيخ طريقة يستجدي) .

ثم يأتيه نبأ الثورة العراقية فيعود الى العراق ، ولكن امله يخيب عندما تترده انباء فشل الثورة ، وتقترن الفجيعة الوطنية بمأساة عاطفية ، اذ تصله انباء نامية عن محبوبته سارة وقد جن زوجها فتلقفتها دور البغاء . يسقط جلال مريضاً فلم يعد بمقدوره احتمال فاجعته ؛ وطنه وحبيبته . وفي يأس بالغ اضعف ثقته بالحياة وبالناس وبنفسه يفكر بالانتحار ، لكنه يعدل عنه وينصرف الى القراءة والكتابة يدفن فيهما يأسه وخيبته . ويبدأ الجزء الثاني من رواية (جلال خالد) بعد فترة زمنية قدرها سنتان ، ويكون جلال خلالها قد اصبح شخصاً آخر فقد نسى (سارة) واستعاد كل ما اوشك ان يتخلى عنه من المثل التي فتح (سوامى) عينيه عليها في الهند . وتستغرق الصفحات المتبقية من الرواية رسائل متبادلة بين جلال وصديقه احمد مجاهد و (ك . س) وشخصيتا هذين الصديقين باهتتان من غير معالم وبغير اثر ما في البناء العام للرواية ، وفي هذه الفترة يكون أحمد مجاهد المصاب بمرض اليأس القومي

قد آوى مختفياً من مطاردة المحتلين لبلاده الى احدى عشائر الفرات ،
هذه العشائر التي احبها لبطولتها في الثورة ولكنه لا يجد فيها الا الفقر
والقذارة والظلام ، فيعتوره اليأس ولا تعود تهزه رسائل جلال المليئة
بالصبر ، النابضة بالعناد المتمثلة ابدأ بتعاليم سوامي (١١٠) .

اما (ك . س) الحر الفكر فينتهي الى الضياع كإنسان سحقته
الحياة فجرت به الايام كسواه ، فيعلن الى صديقه جلال عزمه على
الزواج ولا يجد جلال سبيلا الا العمل في الصحافة فيتصل ببعض ابناء
(الطبقة المستنيرة المخلصة) لاصدار مجلة تعبر عن رأيهم ولكنه يصطدم
بجمود مقيت اذ يجد فيه اصحابه (متطرفاً اقساموا ان لا يولوه شطراً
من عملهم) (١١١) .

وتعكس هذه الرواية نفسية جيل كامل حين تدرس نفسية جلال
خالد التي اتخذها الكاتب ذريعة لدرس الطبيعة البشرية والتطور
الاجتماعي والاخلاقي وعوامل الحضارة والبيئة . ولهذا اتسمت روايته
بطابع محلي واضح ، وكان اقدر ما يكون على ابراز ذلك السمات والمعالم
في المجتمع العراقي - وخاصة في الجزء الثاني من الرواية - متمسكاً
كل ما يعينه على بلوغ تلك الغاية .

وقد اختلف بناؤه الروائي بين الجزء الاول من الرواية وبين جزئها
الثاني ، فاعتمد على الاسلوب السرد في القسم الاول بينما اعتمد الى
اسلوب الرسائل والوثائق في القسم الثاني ، حتى بدأ القسم الثاني

(١١٠) انظر محمود السيد (جلال خالد) ، زهير احمد (المصدر السابق)

عبد القادر حسن امين (المصدر السابق) .

(١١١) جلال خالد ص ٦٨ .

كان لا علاقة له بالقسم الاول . ولكن المؤلف حاول ان يربط بين القسم الثاني وحوادث القسم الاول برسائل تدور عن (ساره) و (سوامي) وغيرهما من ابطال الرواية الذين نسجوا احداثها في القسم الاول . ولكن هذه الرابطة بدت ضعيفة لا يقرها الفن الروائي .

كما ان خفوت الحوادث في الرواية جعل جواً من الفتور يلزم القارئ منذ الصفحة الاولى حتى يفرغ من قراءتها . وقد كان في امكان القاص ان يوفر عنصر التشويق مستغلاً بعض الحوادث المثيرة التي اشار اليها اشارة عابرة مثل اضراب العمال واصطدامهم بقوى الامن في بومبي واحتراف سارة للبغاء ، اما عناية الكاتب بتصوير الشخصيات فقد كانت كبيرة بالنسبة لجلال خالده فقد حملنا ان نشارك جلال خالده عواطفه الوطنية الرائعة وان نكبر سعيه الصادق في خدمة وطنه (وان كان هذا الشعور قد يمازجه شيء من السخرية والاستخفاف - اخيراً - بهم هذا النفر من الشباب الذي لم يستطع ان يترجم بالعمل تلك الاحاسيس الوطنية الجياشة) (١١٢) .

اما عنايته بالشخصيات الثانوية فكانت ضئيلة لم يبرز لنا بوضوح خصائص هذه الشخصيات مثل (سارة) و (احمد مجاهد) و (ك . س) . اما اسلوبه فمتميز يدل على تمكنه من الوقوف على اصح الاساليب العربية التي تمكن الكاتب من ان ينقل الى قارئه خلاصة افكاره وآرائه دون كبير مشقة . وقد اعتنى باللغة عناية اكبر مما وجدناه من اساليب في روايتيه السابقتين ، ولم يتصنع فيها رغم استعماله مفردات

شاذة مثل (تكأكا ، ينماز) (١١٣) . وقد خطا خطوة موفقة في العدول عن بعض الكلمات العامية واستخدام نظيرها من الفصح . وملاحظاً رقتها ومطاوعتها للتداول والاستعمال - فهو يستعمل كلمة (الخرش) تقريباً لكلمة (خردة) العامية ، وكلمة (المكس) تعريباً لكلمة (الجمرك) الاجنبية .

ويستعمل العامي من اللغة الذي اصله فصيح مثل كلمة (شنف اليه) بمعنى نظر اليه كالمعتز عليه او المتعجب منه .

وقد تمكن الكاتب من تكوين اسلوب خاص به لكثرة قراءته في الثقافة العربية القديمة ، وتمكنه من الاطلاع على الادبين التركي والغربي . وحين كتب رواياته انعكس فيها هذان الاثران مضافاً اليهما استجابة الكاتب للعوامل السياسية والاجتماعية والثقافية المعاصرة ، وفكرة الكاتب الخاصة عن المثل الاعلى الفني وعن الحرية الفكرية (١١٤) .

(١١٣) جلال خالد : ص ١٥ ، ٧ ، ٩ ، السموق معنى العلو ، ٤ ، ٦ ، ١١ ، ٢٥ .
(١١٤) عبد القادر البراك (اعلام من الرق) ص ٨٢ (يصح القول ان اهم عناصر فن السيد منحصرة في توفير شعوره ومقاربة هذا التوفر لآمال أبناء البلاد في فترة الايمان بقيام حكم صالح ديمقراطي في العراق وعلى احاطة واسعة بالافكار التقدمية الحرة التي كانت سائدة في المجتمع الاوربي المتحضر وفي الحماس لاخراج هذه الافكار الى حيز (الواقع العراقي) وفي مكنة الفقيده من اللغة العربية مكنة لم يرق اليها كتاب القصة في العراق) .
لغة العرب (جلال خالد) ج ٢ السنة السادسة ص ١٤٥ (كلنا نعرف محمود احمد افندي وانه شاب متقد الفؤاد يحسن صوغ الروايات ويبرزها في ثوب شفاف عن الحقائق الملموسة التي لا مبالغة فيها وهذه القصة من هذا الطراز فلا عجب اذا قبل العراقيون على مطالعتها) .

قال عنه محمد امين خسونه (ان مؤلفاته القصصية تمتاز بوضوح
الفكرة وسمو الاسلوب ونبالة الغرض الذي ترمي اليه . وهو محدود
في طليعة الشباب العربي الذين أخذوا على عاتقهم تحرير اوطانهم من
ربقة التقاليد الغثة البارزة وتطيعمها بالافكار الحديثة النبيلة) (١١٥) .
ويمكن ان يعد السيد رمزاً لفترة الانتقال من الادب القديم الى
الادب العراقي الحديث ، فقد بدأ رومانسياً ثورياً ثم اصبح رائداً
للمواقعية الجديدة في العراق لا بمستوى اعماله الفنية ولكن بمضامينها
الاجتماعية ، وكانت شخصيته واعماله جسراً بين القيم الخلاقة لثقافة
الطبقة المستنيرة القديمة ، وبين ثقافة الجيل الجديد . وقد يتبادر الى
الذهن ان السيد قد قصر جهوده على كتابة الرواية والقصة وحدهما ،
ولكن الواقع يحتم علينا ان نقول انه كان في طليعة الكتاب الذين
وضعوا في اذهان المثقفين من ابناء البلاد البذور الاولى للدعوة الى
الاشتراكية والى تحرير المرأة والى الاقتصاد الموجه ، وانه كان يستهدي
في دعواته تلك بآثار الكفاح الوطني في مصر والهند .

الاتجاهات الروائية في العراق

للمرواية التعليمية

للمرواية التاريخية

للمرواية الشعبية

للمرواية الرومانسية

الرواية التعليمية

واكبت ثورة الشعب العراقي عام ١٩٢٠ ، ظهور الرواية في العراق ولم تكتب قبل قيام تلك الثورة، غير رواية واحدة، هي (الرواية الايقاظية) لسليمان فيضي عام ١٩١٩ ، تبعتها في العشرينات من هذا القرن روايات الرواد . وقد اثر قيام الثورات الوطنية والفكرية والاجتماعية في الرواية العراقية تأثيراً كبيراً ، ودفع القصاصين - الذين عاشوا هذه الثورات المتوالية - الى التمسك برسالتهم الاجتماعية ، والدعوة الى مجتمع امثل ، وقد رأينا في الفصل السابق المحاولات التي قام بها كتابنا للتعبير عن الشخصية العراقية وتصوير المجتمع العراقي ، فكانت مقامة محمود شكري الآلوسي ومحاولات عطا امين والرواية الايقاظية وروايات محمود احمد السيد .

وقد تمكن الرواد وعلى الاخص محمود احمد السيد ، باتخاذهم الواقعية مذهباً في الكتابة الادبية ، من تصوير المجتمع وابرار الشخصية المحلية . ومن سمات الرواية العراقية الاولى كما قلنا في الفصل السابق ، الميل الى استخلاص العبر من الاحداث ، وبث الدعوات الخلقية والاجتماعية ، مما لازم كتابنا المحدثين ايضاً ، فحرصوا على الهدف الاجتماعي ، على اختلاف في الدرجة وفي المنهج . وكانت الدعوة الى الفن الروائي مقرونة دائماً بما تحققه للمجتمع من فوائد التهذيب والاصلاح . اما التيار التعليمي الخالص ، فيمكن اعتباره اقدم الفنون التي

حاولت ان تتخذ شكلا قصصياً في ادبنا الحديث ، وقد سبق ان رددنا سبب ظهوره المبكر الى احساس رواده الاوائل به . فهؤلاء الرواد لم يدخل في اعتبارهم انهم يقدمون الى قرائهم رواية ، وانما كان هدفهم تعليم هؤلاء القراء وتثقيفهم . وكان هدفهم هذا يتفق وظروف مجتمعهم في اوائل القرن العشرين . وكان من الطبيعي ان تفتقر هذه المحاولات الاولى كمحاولات عطا امين ومن سار على منواله ، والرواية الايقاظية الى الفن القصصي .

وكانت غاية الرواية لدى هؤلاء الرواد ، الوعظ الاجتماعي او السياسي . وكانوا احياناً يرمون الى التعريف بالعادات الغربية كما في (عروس البلدان) ، او الدعوة الى نظام سياسي مثالي كما في (ضحية المكاوند) ، او الى دعوة تربوية في العلاقات الاجتماعية كما فعل مؤلف (غباوة نبيه) . والنقد الاجتماعي هو هدف هؤلاء الكتاب من كتاباتهم ، فالرواية عندهم ليست شعنة ولا قطعة من الحياة ، ولا إنتاجاً فنياً متكاملاً ، ولكنها ، مجموعة مقالات وخطب ومواعظ ، يجري خيط القصة بينها حادثاً بعد حادث وكأنما اوجد ليلصق بعضها ببعض . والقارىء مضطر للموقف مرة لموعظة ، واخرى لنقد ، او لبيت شعر ، وثالثاً للدفاع عن فكرة ، حتى يخلص في النهاية لمغزى لم يكن الكتاب يغفلون الاشارة اليه . ومن الضروري ان يكون هذا الهدف انتصاراً للمخير او لاحدى الفضايل .

ولم يقتصر التيار التعليمي على المحاولات التي ظهرت قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها ، بل امتد اثره في العراق الى ما بعد تلك الفترة ، وظهر ظهوراً واضحاً في رواية (عجائب الزمان في صرح عروس البلدان)

سنة ١٩٣٨ لأكوب كبرائيل ، ورواية (ضحية المكاييد او المصلح
السجين) سنة ١٩٤٩ لنور الدين داود ، ورواية (غباوة نبيه) عام
١٩٥٤ لصاحب الصباغ ، ورواية (مأساة اللطيفية) لابن الفرات عام
١٩٦٤ . ولعل اهم ما يميز التيار التعليمي الذي اتجهت اليه الرواية
التعليمية الخالصة ، هو انه كان نتيجة مباشرة لاحتياجات البيئة وظروفها
وانه لم يتأثر بالقصص الاجنبي ، وذلك لانه لم يقصد ان يقدم رواية
بالمعنى الكامل انما قصد الى التعليم او الى النقد الاجتماعي . ولم يكن
اصحاب هذا الاتجاه ينظرون الى الرواية كفن مستقل جدير بالاهتمام .
وهذا النوع من الروايات مـين للمنهضة الاجتماعية بما تضمنته نهوضه
من الافكار الاجتماعية الجديدة التي كانت تناصر المرأة ، وتمجد الحرية ،
وتقدر الانسان ، وتحمل على البؤس والعادات والتقاليد البالية ، وتهاجم
بعض المظاهر الموروثة ، ولكن بشكل نظري خطابي ، دون عمق في
المعالجة القصصية نفسها ، او في دراسة الاسس الفكرية والاقتصادية التي
تقوم عليها تلك المشكلات .

والفن القصصي في هذه الروايات ، اقرب الى المحاولة البدائية منه
الى الانتاج الفني . فقوام الرواية سلسلة من الحوادث والمقالات ، لا
دراسة الشخصية في تطورها ، وردود فعلها في الحياة ، والشخصية فيها
فكرة لا كائن حي قائم ، تحمل احيانا الاسم الذي يدل على نموذجها
الانساني ولهذا ابحث الشخصيات امام الظلال الاخلاقية والاجتماعية
القوية .

ولا يمكن اعتبار رواية آكوب كبرائيل . (عجائب الزمان في صرح
عروس البلدان) التي أشرت اليها رواية الا على سبيل التساهل . وهي

تعتمد في محورها الاساسي على وصف مظاهر الحياة الاوربية ، وما بلغته من تقدم حضاري في جميع المجالات الحياتية ، وعرض لما يجب ان تكون عليه المرأة العراقية (١) ، والمجتمع العراقي بشكل عام (٢) ، ومقارنة ذلك كله بما عليه الحال في العراق الى جانب دعوة اخرى اساسية ابرزها الكاتب ، هي الدعوة الى الاتحاد والتآخي بين سكان العراق المختلفي القوميات والاديان ، للمتمكن من استثمار ثروات البلاد (ان الله خلق هذا الجمال الطبيعي كله للانسان وسعاده الا ان الانسان تركها للمطيور والبهائم واختار لنفسه الشر والعذاب فأخذ يعيث فساداً او يبطش بابن امه ويقتل ابنا جنسه وقومه . وان لم يكن قتله مادياً فمعنوياً اذ اللسان ارفه من السنان فقتل الانسان بلسان الافتراء وتعديه على شرف القريب ظلاماً وعدواناً لهو اعظم شراً من القتل بعد الحسام فهذا يلتئم جرحه اما ذاك فيوغر قلب الاخ على اخيه عداوة وبغضاء ولا يثمر لنفسه سوى العذاب والتقريع والالم الروحي فيحرمه السعادة ويجعل لديه ولدى قريبه الحياة مرة تعسة . ومادام ميدان الصفع عن ذنب القريب مفقوداً عندنا . . . والتغاضي عن نقائصه غير مراعى بيننا فمن المستحيل ان تقوم المحبة وهي اساس كل عمران ودستور كل نجاح وبدونها لا يمكن الوصول الى الاتحاد وبدون الاتحاد لا يمكن التوفيق بين القلوب) (٣) وربما قصد الكاتب بذلك الى ان تعباً جهود المواطنين لمقاومة الاستعمار .

(١) اكوب كبرائيل (عجائب الزمان) من ٣٩ - ٤٨ .

(٢) المصدر السابق ؛ ٤٨ - ٥٠ - ٥٤ - ٥٥ .

(٣) المصدر السابق من ١٢ - ١٣ .

وتتفق رواية آكوب كبرائيل مع القصص التعليمي في شكلها الظاهري ، فهي على شكل رحلة يقوم بها (سعيد) الذي يؤمن بأن الشرق مصدر الحضارة والالهام والمثل العليا ، مع صديقه (بهلول) الى الغرب ، فيبحثان فيه ويدرسان وينقбан ، ويشاهدان ما توصل اليه الغرب من التقدم والتطور . وتتغير نظرة سعيد نحو الحياة ويحس بأن الشرق متخلف عن الغرب بأشواط بعيدة ، فيعود الى العراق مع صديقه بهلول ويعملان معاً على نشر حضارة الغرب وعلومه وآدابه ، ويبدآن معاً ثورتهم ضد التخلف والجمود .

ولا ترجع أهمية هذه الرواية الى العنصر الفني فيها ، بل الى خطورة الآراء التي قدمتها ، وعرضتها بأسلوب قصصي يدفع القراء الى الاقبال عليها ولكنها لم تحظ بقدر كبير من الاهتمام ، بل ولم يذكرها اي دارس للقصصة العراقية (٤) . وهكذا نجد ان القصة عند آكوب ليست اكثر من دعوات كتبت بأسلوب تعليمي خطابي (اف لك من ولد عقوق ارتضعت حلبي لتظلمني ؟ وتربيت في احضاني لتنكرني ؟ فما حيلتي وتربيتك اصبحت نكبة علي ووجودك سبباً لاعدام حيائي ؟ كيف يستقر قلبك وتلازم منامك وقلبي يتألم بما سببت له من الجروح ؟ بل كيف تأخذ عيناك الوسن والنوم وعيناي مقرحتان بالدموع ونفسي مطعونة بحراب الحزن والالام من جراء مكافأتك اياي بالسوء) (٥) .

وأسلوبها يبتعد عن الاسلوب القصصي في كثير من الاحيان (ماهي

(٤) والقصصة مفقودة في العراق عدا نسخة واحدة موجودة في المكتبة المركزية في بغداد ، ومصنفة في قائمة الادب لافي قائمة الروايات والقصص .
(٥) هروس البلدان ص ٣٣ .

الاسباب المانعة؟ قال سعيد هي : اولاً . . . ثانياً . . . ثالثاً . . . (٦) .
ويستخدم الكاتب الشعر (٧) مستشهداً به لاثبات رأيه ، ولا تخلو
الرواية من اخطاء لغوية واملائية (٨) والرواية تعليمية يجمع فيها
الكاتب ما استطاع من مختلف المعارف ، ويوزعها في ثناياها كما بينا
سابقاً . وهي اخلاقية ، ينتصر فيها الخير والخلق الكريم دائماً ، فبعد ان
كان سعيد ينتقد حضارة الغرب بشدة ، ويردد في كل مناسبة (لقد
طالما جال في مرآة تخيلتي التصور ان لا ديانة ولا ايمان بين اولاد
عروس الغرب) (٩) اذا به يغير رأيه ، بل يخجل منه ، (فخجلت حينئذ
واصلحت ما كنت ارتكبته من الخطأ وزالت عني غياهب الظلال ، اذ
حكمت حكماً وهمياً بعدم التدين على ابناء عروس الغرب ، وشعرت
اذ ذاك بنقص العلم فيّ وفي سائر اخواني) (١٠) . ولكن ليس ثمة
من فلسفة عميقة او وحي اخلاقي من وراء ستار ، ولكنها محاضرات في
الوعظ تصل احياناً الى عدة صفحات ، ومقالات يمكن ان تقوم
بذاتها (١١) دون ان تؤثر على الرواية لو اسقطت منها .
والرواية قبل كل ذلك ذات غاية اجتماعية ، ولهذا فانها تشرّد
على طولها هنا وهناك وراء الملقطات الاجتماعية نقداً او بناءاً ، فمن

(٦) المصدر السابق من ٩٤ - ٩٥ .

(٧) المصدر السابق ٥١ ، ٦٥ ، ٩٣ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٨) المصدر السابق ١٣ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٤٤ ، ٤٦ .

(٩) المصدر السابق ٨٣ .

(١٠) المصدر السابق ٩٠ .

(١١) المصدر السابق ٣٩ - ٤٨ في التعليم والمرأة ، ٥٧ - ٦٢ ، في البناء
الاقتصادي ٦٧ - ٧٣ في المحافظة على الآثار القديمة ، ٧٣ - ٨٣ في الصحة العامة .

حملة على الجهل ، الى دفاع عن المرأة ، الى عناية بالصحة العامة ، الى توجيه البناء الاقتصادي الوطني ، الى تبيان لأسس العدل والقضاء وغير ذلك .

ونستطيع من خلال الاستطرادات الكثيرة والمقالات العديدة ، ان نتبين ان الكاتب يدعو الى عصر جديد ، يحمل قصته كل أفكار العصر المقبل ، فهو يذكر بوضوح تنازع العادات القديمة والجديدة ، ويدافع عن الجديد بحرارة وايمان ، ويسمى هذه الافكار - جميعاً بالتمدن . وروح العصر والمبادئ العصرية ، في مقابل القديم الذي يسميه (بالعوائد القديمة) وقد يضع ذلك كله على لسان ابطاله ينطقهم ما يريد . ويمزق جو الرواية ، فيطل بنفسه من بين الاسطر يتحدث حديثاً مباشراً .

ولم ينقطع التيار التعليمي انقطاعاً كاملاً بعد العشرينات من هذا القرن ، فمن وقت لآخر تظهر بعض الآثار التي تكشف عن ان هذا التيار ما يزال يستهوي بعض المؤلفين ويلائم ثقافتهم واهدافهم ، ومن امثلة هذه الآثار رواية نور الدين داود (ضحية المكائد ، او المصلح السجين) ، سنة ١٩٤٩ وقد اهداها الى (الاحرار البائسين ضحايا الانانيات ونقص مدارك الحاكمين في كل مكان على وجه البسيطة) . والرواية بحث في السياسة واساليب الحكم الديمقراطي ، ودعوة الى التعليم والثقافة لمحاربة الاستعمار بسلاح العلم والحضارة ، وقد اختار لها الكاتب مسرحاً اجنبياً (بلاد النيبال) ليكون بمنجاة من بطش الحكام في العراق . ورغم ذلك يقول في مقدمته (هي مجموعة ذكريات مررت بها ومرت بي منذ الحرب العالمية الاولى حتى اليوم . وهي ذكريات ليست عراقية ولا نيبالية كما أردتها ان تكون . وليست هذه الذكريات من بناء

الخيال . . . ولا اريد ان اقول فيها اكثر من هذا تاركاً الى القارئ
الاهتمام الى الحقائق) .

والكاتب يسدي نصائحه الى القارئ اما بأسلوب مباشر ساخر ،
او عن طريق احاديث شخوصه او تتبعثر تعاليمه في ارجاء الرواية ،
فهي نارة اجتماعية تدعو الشباب المثقف الى الاهتمام بلباب الحضارة
الغربية ، وترك قشورها - تلك التي تخالف عاداتنا وتقاليدنا - « انني
يا بني لا اخشى عليك سوى التأثير بعادات الاجانب الذين يحكمون
الهند ، انني واثق بقدرتك على النجاح في مختلف مراحل الدراسة ولكنني
اوصيك بأن تضع تقاليد بلدك نصب عينيك فلا تغرنك مباهج الحضارة
الأجنبية وملاذها لا تستبدل العمة بالقبعة ولا الشملة بالسترة والبنطلون
ولا تأكل اللحوم المحرمة ولا تشرب الكحول » (١٢) .

ونارة تكون الدعوة سياسية (اركان الدولة الاساسية) هي ! (١) حكم
يختاره الشعب برضاه (٢) حدود دولية غير منازع فيها (٣) اعتراف
دولي . والمفهوم العصري لرضاء الشعب عن الحكم هو وجود دستور
مقرر من قبل ممثلي الامة وسلطات تشريعية وقضائية وتنفيذية منفصلة
عن بعضها تعين حدود واجباتها في الدستور ويتضمن الدستور
عادة (١) حقوق الشعب التي لا تمس (٢) حقوق رئيس الدولة
(٣) الهيئة التشريعية وهي البرلمان (ومجلس الامة) (١٣) .
وتصلح هذه الاستطرادات لان تكون كل واحدة منها مقالا منفصلا

(١٢) ضحية المكائد ص ٢٢ - ٢٣ .

(١٣) المصدر السابق ص ٧٢ - ٨٢ .

مستقلا عن الرواية ، وهي تدور في اساليب الحكم (١٤) - او اصلاح
المساجين (١٥) او تقييم النظام الديمقراطي او مهاجمة النظم الديكتاتورية
كالنازية والشيوعية ، وعنوان هذا الفصل (نازيون وشيوعيون) (١٦) .
او نقد للمستعمرين (١٧) .

وهي ليست رواية بالمعنى الصحيح للرواية ، بل هي بحث سياسي
 واجتماعي ، ربطت فصوله شخصية الفيلسوف (مونك سمبا) بطل
الرواية ، وهو ابن قائد الامير النيبالي ، الذي يقتل في ميدان الشرف
دفاعاً عن بلاده ، ولكن دمائه تذهب هدرأ عندما يفتح الانكليز بلاد
النيبال ، ويحكمونها من وراء ستار . ويتزعزع (سمبا) في دار الامير ،
وحينما يجد الامير فيه الالمعية والذكاء ، يرسله الى الهند ليتم دراسته
فيها . ويعود بعد حصوله على شهادة الدكتوراه في القانون ، ليضع نفسه
في خدمة بلاده ، ولا يسند اليه الامير عملاً مهماً بل يعينه كاتباً لديه ،
بينما يحتل الاميون وصنائع الانكليز المناصب الحساسة في البلاد . ويتقدم
سمبا بنصائحه الى الامير لاصلاح المفاسد الضاربة اطنابها في البلاد ،
فتوقع به حاشية الامير عن طريق خلق الجفوة بينه وبين الامير ، ويدخله
الامير السجن ولكن سمبا يستمر في ارسال نصائحه الى الامير ، كما
يعمل في السجن على اصلاح حال المسجونين وتعليمهم . ويدبر الانكليز
وسيلة لقتله خوفاً منه . وقد استعار الكاتب بلاد النيبال مسرحاً لروايته

(١٤) المصدر السابق ص ٨٣ - ١٠٠ .

(١٥) المصدر السابق ص ٥٢ - ٥٩ ، كذلك نجد الدعوة السياسية في
الصفحات ٢٢ - ٢٣ ، ١٦ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٨٩ ، ٩٠ - ٩٩ - ١٠٠ .

(١٦) المصدر السابق ص ٨٣ - ١٠٠ .

(١٧) المصدر السابق ص ٥٢ - ٥٩ .

كما فعل محمود السيد في روايته (في سبيل الزواج) ، لان ظروف العراق السياسية والاجتماعية مشابهة كل الشبه لظروف الهند (١٨) عندئذ وربط الانكليز العراق عندما احتلوه في بداية الحرب العالمية الاولى ، ادارياً بنائب الملك في الهند وحاولوا ان يلحقوه بالهند اقتصادياً واستعملوا العملة الهندية (الروبية) فيه بدلا من العملة العثمانية . وتتحدد اهمية هذه الرواية في ! الحملة على الاستبداد ، ودعوة الشعب الى الاتحاد واغتراف العلوم ، لطرد المستعمرين من البلاد . وهي سياحة فكرية في مجالات الحياة السياسية والاجتماعية ، ويلمس المؤلف مواضع النقص والخلل ، ويشير بالعلاج الذي يراه ، اما الحدث فليس الا اطاراً خارجياً لهذه الجولة الفكرية .

ونكاد الرواية تفقد عنصر التشويق ، لان الهدف التعليمي يطغى فيها طغياناً كبيراً على العرض القصصي . وبالرغم من ان القصة ترتبط بخيط ظاهري ، يتمثل في سعي سميا الى طلب العلم ، ومحاولاته الاصلاحية ، ثم زجه في السجن ، وقتله من قبل المستعمرين وعمالهم ، فاننا نكاد ننسى هذا الخيط ، في زحام التعاليم الكثيرة ، التي تدفع المؤلف الى افتعال الاحداث ، وقد بدت الرواية لهذا أشبه بمجموعة من المقالات

(١٨) المصدر السابق ص ٣٢ - ٣٣ ، كانت القنصلية البريطانية في الامارة محجج القوم ، يحجج اليها الكبار تزلفاً للمقنصل ويقصدها صغارهم في طلب اجازتهم للمتاجرة او السفر او غير ذلك لانها هي سبيل الاستيزار وتقلد المناصب الكبيرة وهي وسيلة استغلال الارض والسيطرة على الفلاحين وهي مصدر الوكالات التجارية ترفع وتخفض وتغنى وتفقر تقيد وتعتق وتسجن وتطلق فالتزلف الى رجالها ومداهنتهم بحق للمجرم اقصى ما تطمع اليه نفسه ومعاداتهم قد تودي بحياتهم .

المنفصلة مكتوبة بأسلوب تقريرى ابعد ما يكون عن الاسلوب القصصي .
 (وقد توصل الانكليز والوطنيون الى النتائج التالية / الفيلسوف مونك
 في نظر الانكليز ١ - انه رجل مثقف . . . ٢ - انه وطني صلب
 العقيدة . . .) (١٩) ويستمر التنقيط حتى الفقرة العاشرة . وما ان
 ينتهي حتى يبدأ بتنقيط جديد (٢٠) . واستخدم المؤلف بعض الكلمات
 الغريبة التي يعين القارئ على فهمها عن طريق شرحها في الحواشي (٢١) .
 واكثر من الرسائل التي ارسلها سمياً من سجنه الى الامير (٢٢) .
 وقد سار (ابن الفرات) في روايته (مأساة اللطيفية) على نفس
 المنوال ، والرواية أقرب الى البحث الاقتصادي منها الى الفن القصصي ،
 يصف لنا فيها المؤلف منطقة (اللطيفية) (٢٣) وما تحويه من انهار
 وجدول ومزروعات ، ويشرح بأسهاب تاريخ المنطقة (٢٤) ، وكيف
 جرى تقسيم اراضيها (٢٥) ، مع وصف للمتربة وطرق الري والسكان
 والحاصلات ، وكان الكاتب يقدم تقريراً الى جهة مسئولة عن ظروف
 منطقة اللطيفية ، بأسلوب قصصي شارحاً طريقة استيلاء احد الوزراء

(١٩) المصدر السابق ص ٦٠ .

(٢٠) المصدر السابق ص ٦٠ - ٦٢ .

(٢١) المصدر السابق ص ١٢ ، ١٣ ، ١٧ .

(٢٢) المصدر السابق ص ٧٢ - ٨٢ .

(٢٣) منطقة اللطيفية منطقة زراعية واقعة في المنطقة الوسطى من

العراق .

(٢٤) ابن الفرات (مأساة اللطيفية) ص ٩ - ١٠ ، ٥٣ - ٥٤ .

(٢٥) المصدر السابق ص ١١ .

على المنطقة عن طريق الغش والخداع . وقد كتب روايته بأسلوب تقريرى بعيد كل البعد عن الأسلوب القصصى الفنى (وقد تمكنت الاسرة المالكة من الاستيلاء على مساحة شاسعة من الاراضى الملاصقة للعاصمة فى الحارثية والوزيرية والداودية تبلغ مجموع مساحتها ٢٣١٩ مشاركة اى ما يساوي ٥٣ مليون وربع المليون من الامتار المربعة . . .) (٢٦) . وهذا الأسلوب التقريرى يجعلنا نقرر انها اقرب الى المقال . فبدلا من ان يحاول الكاتب تصوير المجتمع ومضاهره وعيوبه ، من خلال سلوك الافراد وحركتهم وتصرفاتهم ، نجده يكتفى باصدار الاحكام على المجتمع ، من خلال المشاكل التى تعرض لها (سمير) بطل الرواية . وهو فى عرضه لهذه المشاكل لا يخضعها لنظام معين ، بل يوردها كيفما اتفق وعرض هذه المشاكل ينحصر فى منطقة اللطيفية ، من حيث سيطرة اصحاب النفوذ والاقطاعيين عليها ، والخطر الذى يكمن فى سيطرة الاقطاع على الاراضى وحرمان الفلاحين الفقراء منها (٢٧) . والسلاح الخطر الذى استخدمه اصحاب النفوذ وهو (قانون تسوية الاراضى العراقى) (٢٨) . ثم يصف العلاج الناجع لحل مشكلة الاقطاع ، والطريقة التى يجب السير عليها فى تطبيق (قانون الاصلاح الزراعى) ، وانشاء الجمعيات التعاونية الزراعية (٢٩) والمزارع النموذجية (٣٠) ، ويقدم المقترحات لاعمار

(٢٦) المصدر السابق ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢٧) المصدر السابق ص ٣٨ - ٤٠ ، ٤١ - ٤٦ .

(٢٨) المصدر السابق ص ٢٩ .

(٢٩) المصدر السابق ص ٣٦ .

(٣٠) المصدر السابق ص ٥١ - ٥٢ .

المنطقة (٣١) كل ذلك يقدمه الكاتب بأسلوب تعليمي مباشر (ولننظر يا اخي الى ما آل اليه الوضع من تفشي ضروب الاستغلال ، وتزايد نفوذ الاقطاعيين ورجال الحكم في البلاد واستخدامهم ذلك النفوذ في تسخير الطبقة العاملة ، ليجمعوا المال من عرقهم ، وينفقونه على ملذاتهم وشهواتهم-م او على موائد الميسر وفي دور الدعارة والعشق) (٣٢) . وتشيع في الرواية النقول من الشعر والحكم والأقوال المأثورة (٣٣) وتكثر فيها الاستطرادات البعيدة عن محور الحدث (٣٤) ، وتكون هذه الاستطرادات مقالات منفصلة .

اما الشكل القصصي فهو مظهر خارجي يضم العديد من المقالات والخطب والاقتراحات والانتقادات والتقارير المسهبة عن منطقة اللطيفية . وتتلخص احداثها القصصية في عودة (سمير) من الخارج بعد اتمام دراسته في الهندسة ، ويعين في مديرية الري ، يرعاه رئيسه في العمل (عبد العزيز) قريب الوزير (فؤاد) ، ذلك الرجل الذي لم يعف عن اخذ الرشوة والسرقه واستخدام ولده اداة للابتزاز واستخدام النفوذ - وكأنه يعني نوري السعيد وولده صباح - . يخدع عبد العزيز سمير او يستغله ، ويجعله اداة طيعة في يده يستولي بواسطته على منطقة اللطيفية . وعندما يفيق سمير من غفلته ، يجد ان الخطة قد تم تنفيذها ، فيثور ويفضح اللعبة ، ولكنه لا يجد صدى لاقواله ، بل يجد البطالة تنتظره بعد ان يفصل من الوظيفة .

(٣١) المصدر السابق ص ٤٩ - ٥٠ .

(٣٢) المصدر السابق ص ٦ وكذلك ص ٧٠ - ٧٣ .

(٣٣) المصدر السابق ص ٧٢ ، ٧٤ - ٧٥ ، ٨٠ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٣ .

(٣٤) المصدر السابق ص ٨٨ - ١١٧ حيث يصف سفرته الى الحجاز .

وبعد قيام ثورة تموز تعود منطقة اللطيفية الى اصحابها الشرعيين الى الفلاحين فتقسم عليهم بعد تطبيق قانون الاصلاح الزراعي .
وقد كتب صاحب الصباغ بأسلوب تعليمي انشائي روايته (غباوة نبيه) عام ٥٤ ، وهي بحث في الاخلاق وفلسفة الكمال . ولا يدرك الكمال في رأيه الا بالعمل في سبيله . وكمال الاخلاق هو مرتبة من الكمال الانساني في النهاية (فاعلم يا صديقي العزيز ان من يضع نفسه دون قدرها عليه ان يتوقى محاذر الناس ، فأحفظ نفسك من محاذر الناس ، وصن كرامتك من المكروه الذي قد يرمونك به ، وفكر يا صاحبي ، فكر جيداً ، واعلم ان اخوف ما اخافه عليك ان تسرف في غيرتك اسرافاً صبيانياً ربما من اجله احتقر (. .) (٣٥) .

ويربط هذا الاسلوب التعليمي حدث بسيط ، يشكل الوعاء الذي ملئ بهذه النصائح والمواعظ الخلقية (٣٦) ، هو انقاذ (نبيه) صديقه من براثن اصحاب السوء ، وفي النهاية يكشف المؤلف السر للمقارئ بأن هذا الصديق ما هو الا انثى (ان شخصية صاحبي هذا لم تكن شخصية رجل بمعنى الكلمة وانما هي امرأة متلبسة بزى الرجال . . .) (٣٧) وتفيد هذه الصديقة من نصائح نبيه ، وتتزوج ابن خالتها وتنجب منه وتعيش في سعادة غامرة ، ما دامت تستمع الى ارشادات صديقتها نبيه .
وتزخر الرواية بالرسائل التوجيهية ، والاشعار (٣٨) والحكم التي

(٣٥) صاحب الصباغ (غباوة نبيه) ص ٤٨ - ٤٩ .

(٣٦) المصدر السابق ص ٢٨ ، ٤٨ - ٤٩ ، ٥٣ ، ٦٠ .

(٣٧) المصدر السابق ص ٥٣ .

(٣٨) المصدر السابق ص ٣٠ ، ٤٠ - ٤٥ .

يستشهد الكاتب بها في كل مناسبة (٣٩) . ولا يخلو اسلوبه من ركاكة
والتواء في التعبير (أنسيت هذا الكلام يا صاحبي ام تناسيته ؟ فتركت
نفسك بهذه الوسوس وشدة البال بعد ما ثبتته معي من صداقتك وركزت
حولي اوتار عزك وودادك أيها العزيز ...) (٤٠) .



(٣٩) المصدر السابق ص ٣١ ، ٣٣ ، ٤٤ .

(٤٠) المصدر السابق ص ٤٠ .

الرواية التاريخية

كتاب الرواية التاريخية في العراق قلة ، ويمكننا ان نقسمهم الى ثلاثة اقسام القسم الأول : منهم اهتم بالحقيقة التاريخية ونقلها في روايته كما وردت في كتب التاريخ ، دون اهتمام بالاختيار والتنسيق ، فابتعد عن الفن القصصي ، واقترب من حقائق التاريخ ، فجاءت روايته تسجيلاً لهذه الحقائق . وهذه الروايات حسب ترتيبها الزمني هي « الفرات الأوسط » لمحمد حسن النمري التي ظهرت عام ١٩٣١ ، و (غادة بابل) ليوسف غنيمه التي ظهرت عام ١٩٣٧ و (سي بابل) لعبد المسيح بلال التي ظهرت عام ١٩٥٥ ، وظهرت في نفس العام الروايات التالية : « ارنب » لعبد الله حسون العلي ، و (صفحة في زوايا النسيان) لتاج الدين العمري ، (وقصة يوسف) لمحمد ظاهر توفيق ، و (ابراهيم) لمحمد مهدي الشيرازي . وظهرت رواية (المسلم الثائر) لطاهر مظفر العميد عام ١٩٥٦ ، و (فتاة العروسة) لعلي اسماعيل الغوار عام ١٩٦٠ ، و (قصة الشاعرة ولادة وابن زيدون) لحسين وره الكافلي عام ١٩٦٣ . وجميعها روايات صغيرة لا تتجاوز صفحاتها المائة صفحة .

اما القسم الثاني من الكتاب فقد جمعوا بين الأسلوب التعليمي التاريخي والفن القصصي ، ويمثل هؤلاء سليمان صايغ في روايته (يزداندوخت) التي ظهرت عام ١٩٣٥ ، وشعبان رجب الشهاب في رواية (سلمى التغلبيّة) التي ظهرت عام ١٩٤٩ .

ورأى كتاب القسم الثالث في الرواية التاريخية تسجيلاً لحياة الإنسان ولعواطفه وانفعالاته في إطار تاريخي ، وتعتمد الرواية التاريخية عندهم على الميل الى التاريخ وتفهم روحه وحقائقه ، وفهم الشخصية الإنسانية وتقدير أهميتها في الحياة . وبناؤثر ثورة الرابع عشر من تموز في العراق تطور مفهوم الرواية التاريخية على يد داود سلوم في (عهد مضى) ١٩٥٨ ، وبهنام وديع في (الايام العمياء والناس الحمقى) ١٩٦٤ ، بتغيير النظرة الى الحياة نتيجة لقيام الثورة في الرابع عشر من تموز وما أحدثت هذه الثورة في العراق من تغيير كبير في مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع ، لهذا نظر هذان الكاتبان الى التاريخ نظرة جديدة ، وصوراه بشكل قصصي لم تعهدهما الرواية التاريخية في العراق من قبل ، ليعكسا أزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة ، ومشكلة الفرد وعلاقته بالمجتمع .

ولم يكن هذا الانتاج الروائي التاريخي مرتبطاً بالقصص التاريخي التقليدي ولم يكن نتيجة تطور فيه ، ولا كان بعثاً له ، فان قصص عنتره وسيف بن ذي يزن وأبي زيد الهلالي لم تستطع ان تكون شيئاً ذا قيمة في اذهان الادباء العراقيين الذين اتجهوا الى القصة الغربية والقصة العربية الحديثة في مصر ولبنان والمتأثرة بالقصة الغربية .

وقد بدأت الروايات التاريخية في العراق متأثرة بالتيار التعليمي وتنضح السمات البارزة للرواية التاريخية التسجيلية في العراق في المقدمة التي كتبها محمد حسن النمرى لروايته (في الفرات الاوسط) ١٩٣١ ، (القصة في نظري جزء من التاريخ وهي ادق وصفاً واعمق بحثاً لأن ذلك التاريخ العام يكاد يكون سجلاً خاصاً لحياة الملوك

والعظماء ومن على شاكلتهم فهو في الغالب وقف على افراد معلومين في عصر يشيد بذكرهم ، أما القصة فهي ملك المجموع تهت عن شؤونه وتعني بقضاياها وتعالج مشكلاته (١) . ومن هذه المقدمة نستطيع ان ندرك ان الرواية التاريخية التسجيلية في العراق كانت تهتم قبل كل شيء بعرض احداث التاريخ ، دون ان تعير العنصر القصصي اهتماماً كبيراً .

وقد برز الهدف القومي الى جانب الهدف التعليمي في هذه الروايات ، فهي مستمدة من التاريخ العربي القديم او الحديث ، عدا قصتي (يوسف) و (ابراهيم) فهما مستمدتان من التاريخ الديني ، وقصتي (سبي بابل) و (غادة بابل) فهما مستمدتان من تاريخ العراق القديم . ويصور هذا المقطع الهدف القومي الذي كانت تهدف هذه الروايات اليه « ويجب الا يأخذنا العجب لنصر العرب الحاسم السريع اذا وضعنا نصب اعيننا وأخذنا بنظر الاعتبار بأن العرب قد كانت تدفعهم العقيدة التي آمنوا بها وهي ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » (٢) . وكانت هذه الدعوة القومية نوعاً من ردة الفعل ضد الحضارة الأوروبية التي غزت واقع العرب المتدهور استعماراً وآلة وفكراً . انه موقف نبيل وعبرة في الوطنية ودرس جدير بالتأمل والاخلاص لنداء الأرض التي تنعم بخيراتنا تناديه هكذا يخف كل مواطن ضارباً بعرض الحائط كل خلاف شخصي أمام نداء الوطن متى تعرض للخطر (٣) .

(١) (في الفرات الأوسط) ص ٤ .

(٢) تاج الدين العمري (صفحة في زوايا النسيان) ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٣ .

وقد تمثل ذلك الهدف أيضاً في الحركة المسرحية التي قامت على يد الجمعيات الأدبية في الموصل وبغداد ، بين عامي ١٩٢٠ - ١٩٢٥ ، حيث مثلت مسرحيات مستوحاة من التاريخ العربي (كفتح عمورية) لعبد المجيد شوقي و (فتح عمر) ليحيى ق العبد الواحد ، كما سنأتي على ذكره في الباب الثاني من هذا البحث .

ولا يعدو الخيال اخبار التاريخ في هذه الروايات التاريخية التسجيلية ، فالحقيقة التاريخية ذاتها تسبق الخيال وتتحداه ، ونجد النصوص التاريخية نفسها تتحدث عن الوقائع ، ونرى المؤلفين يكثرون من الإشارة الى المصادر التاريخية في الهوامش والذيل (٤) .

ومن ذلك ان رواية (أرينب) تحدثنا عن اغتصاب يزيد بن معاوية لأرينب زوجة (عبد الله بن سلام) واتخاذها زوجة له ومحاولة الحسين بن علي اعادتها الى زوجها الذي تبادله حباً بحب ، تماماً ، كما وردت في كتب التاريخ . وحدثتنا قصة (المسلم الثائر) عن فتح مكة من قبل المسلمين وبلاء (ابي نصير) في قتال المشركين بعد ان منحه الاسلام حريته وليس من فضل للمكاتب فيهما الا تسجيل التاريخ . وحدثتنا قصة (صفحة في زوايا النسيان) عن فتح العرب للاندلس ونزول طارق بن زياد في أسبانيا ، وحدثتنا (قصة الشاعرة ولادة وابن زيدون) عن عاطفة الحب العارمة التي نشأت بين ابن زيدون ولادة بنت المستكفي الخليفة الاندلسي ، وقد نقل المؤلف روايته عن كتب

(٤) انظر على سبيل المثال محمد طاهر توفيق (قصة يوسف) ص ١٢ ، ١٣

١٩ ، ٢٢ - ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٨ - ٤٢ .

الأدب كما وردت فيها . اما قصتنا (يوسف) و (ابراهيم) فقد انتزعهما كاتباهما من الكتب الدينية ولم يغيرا فيما ورد فيهما شيئاً .
اما رواية (في الفرات الأوسط) فهي تسرد احداث ثورة العشرين كما راقبها المؤلف ونقل الأحداث كما هي بل ولم يغير حتى في اسماء الشخصيات وكأنه يكتب تاريخاً لا رواية فنية . « ان الكثير منا لا زال ماثلاً في مخيلته شخص الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ويوجد فينا من شاهدها بنفسه واطلع على روحها وكيف رأى ان جنب كل مجاهد صادق عشرة من المطففين » (٥) ومن ذلك قصة (فتاة العروبة) التي تدور حول البطلة الجزائرية (جميلة بوحيرد) . كما أخذت احداث رواية (غادة بابل) من التاريخ العراقي القديم . وقد رأى المؤلف من خلال قصة الحب التاريخية المشهورة بين (شميرام) و (شمسو) تاريخ مدينة بابل والحالة التي كانت عليها في مجال الاقتصاد والسياسة والاجتماع .

وتقف الرغبة في تعليم التاريخ عائقاً في وجه ترابط الحدث القصصي وتسلسله اذ يفتح الكتاب كل رواية بتقديم وصف تاريخي وجغرافي دقيق للمدينة التي تدور فيها الاحداث ، فتصف رواية (غادة بابل) مدينة بابل وما فيها من قصور فخمة تزخر بالجواري والخدم وصفاً دقيقاً كما تصف أسواق بابل ومن بينها سوق الزواج « . . والسوق القائمة في احدى ميادين المدينة كانت تعرض فيها البنات للزواج ، والسمسار يصيح بصوت جهوري واصفاً جمال هذه وحسن تلك . . . ومن وقت

(٥) في الفرات الاوسط : ص ٥٤ وكذلك في الصفحات التالية : من ٥٤ - ٦٢ ، ٨ - ١٤ ، ٤٠ - ٤٥ .

الى آخر كان ينادي معرفاً ثمن السياق - المهر - الذي يجب ان يدفعه الشاب الراغب في تلك الابنة الجميلة أو البائنة التي تدفع عن الأخرى الدميعة الصورة للشاب الراغب في زواجها ، وهناك رجل آخر يقبض مهر الجميلات ويدفع بائنة عن الدميعات » (٤) . وتمضي الرواية في وصف مظاهر الحياة في بابل بصورة مسهبّة ، وكان مؤلفها يكتب بحثاً تاريخياً عن مدينة بابل ، فيصف طريقة استغلال الاراضي الزراعية وطريقة استملاكها - وطريقة المعاملات التجارية فيها ، ويصف الاحتفالات الدينية وغير الدينية وطريقة معالجة المرضى عن طريق الكهنة ، وايمان البابليين بالحرث كما يصف طريقة تجهيز الموتى ودفنهم (٧) . وتصف (قصة الشاعر ولادة ...) مدينة قرطبة كما تصف رواية (سي بابل) مدينة بابل أيضا .

وقد اعتاد هؤلاء الكتاب تصيد الفرص في صلب الرواية ليحدثونا عن معلوماتهم في حضارة العصر الذي تدور فيه الرواية ، فإرضين هذه المعلومات على تطور الأحداث فيها ، فتحدثنا (قصة الشاعرة ولادة ...) مظاهر الحضارة العربية في الاندلس ، وعن النزاعات الشديدة القائمة بين الامارات العربية (٨) كما ينقل الكاتب معظم شعر ابن

(٦) يوسف غنيمة (غادة بابل) ، مجلة لغة العرب ص ٣٥٧ عام ١٩٣٧ .
(٧) المصدر السابق الصفحات على التوالي ٣٧ - ٣٨ ، ٥٤٤ - ٥٤٦ ، ٤٨١ - ٤٨٤ ، ٤٧٩ - ٤٨٠ ، ١٢٤ ، ١٢٣ ، ٢٠٨ - ٢١٢ مجلة لغة العرب المجلد الخامس عام ١٩٣٧ .

(٨) (قصة الشاعرة ولادة وابن زيدون) ص ٤١ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦٠ - ٦١ ، ٦٤ - ٦٦ ، ٩٧ - ١٠٠ .

زيدون ، ومثل هذا الاستطراد نجده في باقي روايات هؤلاء الكتاب (٩) .
وحق عناوين الفصول في هذه الروايات تدل على المعلومات التاريخية ،
وهي على سبيل المثال تسير على هذا النحو في رواية (سبي بابل)
(أينانا - لكلامش - زيبار - فوجل شراصر - نيادا - نبوزردان -
انكيدو - نبوخذ نصر - فتح أورشليم) . ويربط الكتاب بين هذه
الفصول المفككة بأن يتجهوا مباشرة الى القارئ ، وهي صورة من الصور
التي يتكرر ظهورها في الأدب الشعبي « لنترك الفونس ومحاولة اليهود
لجعله المطاية الذلول لتحقيق اغراضهم ونعود الى فلورندا - ونحن الآن
في غمرة ونشوة لنعود قليلا لنرى ماذا جرى لفلورندا - نعود الى روايتنا
لنسدل الستار بعد ما رأينا ابطالها يمرون على مسرحها ويغيبون في
ظلام الاجيال الواحد بعد الآخر » (١٠) ويضاف الى ذلك ان عناوين
هذه الروايات تكشف عن الهدف التعليمي فيها ، فمن الكتاب من
اختار العناوين التي تشير الى التاريخ (أرنب - ابراهيم - قصة يوسف -
سبي بابل - قصة الشاعرة ولادة وابن زيدون - في الفرات الأوسط)
ومنهم من ابرز الهدف القومي في العنوان (فتاة العروبة - صفحة في
زوايا النسيان) ، واذا كانت رغبتهم في تعليم التاريخ أو في إثارة الوعي
القومي قد اثرت في اختيارهم لموضوعات رواياتهم ، فانها قد اثرت في
تطور الحدث كذلك وفي رسم الشخصيات ، فهم يختارون فترة تاريخية

(٩) انظر (فتاة العروبة) ص ١٣ ، ٥١ - ٥٢ ، ٧٢ ، (صفحة في زوايا
النسيان) ص ١٤ ، ٢٣ ، ٣٤ ، ٣٥ (في الفرات الأوسط) ص ٥٤ - ٦٢ ، ٨ -
١٤ ، ٤٠ - ٤٥ .

(١٠) (صفحة في زوايا النسيان) ص ١٤ ، ٣٣ ، (فتاة العروبة) ص ٥٢ .

معينة ولكنها مضغوطة في حيز ليس واسعاً ، ونلمس في الاحداث المنقولة عن كتب التاريخ ضعف الخيال او كفته ، وكثيراً ما تكون وحدة التأثير مفقودة ، والنسيج مغلخلاً لتوزع الحوادث واختلاف البيئات ، وقلة العناية بابرار الحوادث المهمة ، وتنسيق الأحداث الصغيرة الى جانبها تنسيقاً فنياً بحيث يتدرج التأثير في شعور القارئ ، فيتابع العمل القصصي في صعوده نحو الذروة ، وفي انحداره منها الى الحل أو الى النهاية . ثم يختار الكاتب الحبكة وهي في الغالب واقعة غرام ، تاريخية مثل ولادة وابن زيدون ، وشميرام وشمسو ، وكلكامش ونيبارا ، وعبد الله بن سلام وارينب ، ويوسف وزليخة .

ولا يعتمد المؤلفون على المصادفة والمغامرة في هذا الجانب ، لأن الشخصيات التي تمثل الجانب الغرامي شخصيات تاريخية ، ولأنهم يكونون في هذه الحالة محكومين بالاحداث التاريخية ، ولا يستطيعون تجاوزها .

ويبني هؤلاء الكتاب العقدة في رواياتهم على الأساس التاريخي الذي ورد في كتب التاريخ ، وقد يلجأ بعضهم الى السر في تعقيد الحدث ، وهو عنصر هام من عناصر التشويق ، فيأتون بمسألة خفية أو شخصية غامضة ويماطلون القارئ ويشوقونه الى اكتشاف الحقيقة والبحث عن السر . فكلكامش لا يعرف انه ابن الكاهن الاعظم الذي يقف في طريقه الا في نهاية الرواية ، وولادة لا تعرف أن ابن زيدون ما زال يحبها حتى يخبرها ابن عبدوس بمؤامراته لتفريق الحبيبين في نهاية الرواية ايضاً (١١) . اما شخصياتهم ، فشخص تاريخية في الغالب ، وهذا يعني ان لها قبل ان

(١١) انظر (سي بابل) و (قصة الشاعرة ولادة وابن زيدون) .

يختاروها ويصوروا ملاحظها لدى الناس ، ولهذا فهم لا يجدون الحاجة لبنائها داخل الحدث القصصي . وتنطلق ظلالها التي رسمها التاريخ في الأذهان في حنايا الرواية بمجرد ذكر اسمها ، مثل شخصية ولادة وابن زيدون ، ويوسف وزليخة ، وإبراهيم وهاجر ، وكلكامش . وانكيدو ، ونبوخذ نصر والحسين ، ويزيد ، وطارق بن زياد . فإذا ما اضطر الكتاب الى تكوين بعض الشخص لضعف شهرتها التاريخية ، لم يخلقهوا من الخيال ، بل يعمدون الى صفاتها المشهورة والى نصوص التاريخ فيضفونها عليها مثل : عبد الله بن سلام ، وابن عبدوس ، وأبي نصير (١٢) .

ان امانة الصور في هذه القصص تكاد تجعلها شيئاً من التاريخ ، أما الخيال فيظل ابعد من أن يعمس الحقيقة التاريخية . وعمل الكتاب هنا يتمثل في أن يهيئوا الجو وينسقوا الحوار ، أما الشخصية والحدث التاريخي فهما فوق الخيال . لذا نجد شخصياتهم تعرف ادوارها ، وهي مجبرة على القيام بها ، غير معني بها العناية الكافية ، فلا تشعر انها مخلوقات حية تتحرك على الورق كما تتحرك في واقع الحياة . وهم يميلون الى النماذج الثابتة التي تمثل صفة انسانية واحدة كالشجاعة والاخلاص ، والخبث ، والكرم او الجبن او البخل .

واذا كانت شخصيات هؤلاء الكتاب تتشابه في خطوطها العريضة ، وفي قشرتها الخارجية ، وتصرفاتها ، فانها تتشابه أيضاً في اخلاقها ، فشجاعة أبي نصير هي نفس شجاعة طارق بن زياد ، وخبث ابن عبدوس هو نفس خبث الكاهن الأكبر . واخلاص أرينب لزوجها عبد الله بن سلام

(١٢) انظر الروايات التالية : أرينب ، قصة الشاعرة ولادة ، المسلم الشاعر .

هو نفس اخلاص فلورندا المفونس ونيبارا الكلكامش .
 ومؤلفو هذه الروايات يقدمون الشخصية للمقارئ كاملة أو شبه
 كاملة عند ظهورها على مسرح الرواية لأول مرة ، فيضعون قشورها الخارجية
 واخلاقها ويسردون أعمالها ويرددون اقوالها وقل " ان يعودوا الى رسمها
 بعد ذلك » خرج ذات يوم ابراهيم من مخبئه وعمره آنذاك ثلاث عشرة
 سنة ، فنظر الى آثار قدرة الله تعالى في السماوات والأرض ، وشاء الله ان
 يلفت نظر ابراهيم الى آيات الكون ، ليكون من المؤمنين وهكذا كان
 ينظر الى آيات الله تعالى حتى قربت الشمس الافول ، فلما جن عليه الليل
 رأى كوكباً في السماء وكان كوكب الزهرة ورأى ان جماعة من الناس
 يعبدونه ويخضعون له فتعجب من فعلهم هذا وقال مستنكراً عبادتهم
 للكوكب : - هذا ربي ، ونظر اليهم في صمت - لكن كان يتحين الفرصة
 للرد عليهم ، فلما غرب الكوكب واختفى عن الابصار ، توجه الى
 اولئك الذين كانوا يعبدون الكوكب وقال لهم : لا احب الآفلين (١٣)
 ولعلمهم تأثروا في ذلك بروايات جرجي زيدان التاريخية .
 ويختلف أسلوب هؤلاء الكتاب باختلاف الكتاب ومقدرتهم اللغوية
 فمنهم من كتب بأسلوب ضعيف ركيك كما لاحظنا في المقطع السابق ،
 ومنهم من كتب روايته بأسلوب رصين قوي وهي اشبه شيء بنجم
 الصباح المتلألئ في الافق : ربعة القوام ، عبلة الساعدين ، رخصة
 الجسد ، لدنة المعاطف ، حوراء البشرة ، دعجاء وطفاء ، شعرها أسود حالك
 مثل . . (١٤) .

(١٣) (ابراهيم) ص ٢ - ٣ .

(١٤) (المسلم الثائر) ص ٧ - ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ - ١٨ ، ٢١ ، ٢٥ ،

٣٠ ، ٤٤ - ٤٦ ، ٥٠ .

ولكن الأسلوب الصحفي البسيط يغلب عليهم ويكثر في كتاباتهم
تضمنينهم لآيات من القرآن الكريم (١٥) او آيات من الشعر (١٦) كما
يكثر من الاوصاف والذمات عند وصفهم لشخصياتهم « الما جن الخليع
الملعوب ، المتهتك الخليع ، الملعب المتهتك ، وعلى الخسة والوضاعة في
النفس والعمل (١٧) .. على سبيل المثال .. او يلجأون الى اوصاف في
غير محلها (وشعر اسيل فاحم) ليرقصا امام اصبع شروق الشمس الوردية ،
تنهب الخطى بسيرها السهمي (١٨) ولا يخلو أسلوبهم من ركافة واخطاء
لغوية (١٩) . من شفتيها المحمراتين (٢٠) .

واذا كانت نزعة هؤلاء الكتاب التعليمية قد أثرت في الحدث وفي
تطور الشخصية وفي الأسلوب ، فانها قد اثرت في الحوار أيضاً ، فمادام
اهتمامهم موجهاً اولاً الى تعليم التاريخ ، أو استنهاض الهمم ، أو نشر
الروح القومي وليس الى الكشف عن طبيعة الشخصية ، أو ربط الاحداث

(قصة يوسف) ص ١٢ - ١٣ ، ١٩ ، ٢٢ - ٢٥ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٨ ..
٤٢ . (ابراهيم) جميع صفحات القصة .

(١٥) (غادة بابل) بجملة لغة العرب ص ٢٥١ المجلد الخامس عام ١٩٣٧ .
(١٦) (قصة الشاعرة ولادة) ص ١٨ - ٢٠ ، ٢٦ ، ٢٢ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ - ٣٣ .
٣٦ - ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٤ - ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٢ - ٦٦ ، ٧١ ، ٧٣ ،
٧٦ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ٩٧ ، ١٠٢ - ١٠٣ ، ١٠٨ - ١١١ ، ١١٤ ، ١١٦ - ١١٧ .
(أرينب) ص ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٤ .

(غادة بابل) ص ٢٨٧ .

(١٧) (في الفرات الأوسط) ص ٣٠ .

(١٨) (أرينب) ص ١٦ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٦١ .

(١٩) (في الفرات الأوسط) ص ٢٣ ، ٢٤ (ابراهيم) ص ١٢ .

(٢٠) (في الفرات الأوسط) ص ٢٣ .

بعضها ببعض ، فأنهم لذلك يفضلون استخدام الحوار ، ويعمدون الى السرد في اسلوب سهل مبسط ، أقرب الى الأسلوب العلمي ، الذي يفيد القارئ ويوصل اليه معلوماته ، كما بينا سابقاً .

وحين يلجأون الى الحوار ، فان الشخصيات في رواياتهم لا تعبر بالحوار عن نفسها ، وانما تنقل عن طريق المعلومات التاريخية . وحين تختلف طبيعة الحوار ، فان هذا الاختلاف ينبع من طبيعة المصادر التاريخية التي يستمد الكتاب منها معلوماتهم ، فقد جعل محمد حسن النمرى في روايته (في الفرات الاوسط) شخصياته تتكلم العامية عندما تكون هذه الشخصيات امية ، مثل الحوار الدائر بين المضابط الانجليزي و (الشيخ باهظ) ، عميل الانكليز ضد بني قومه في ثورة العشرين في العراق ، لأنه اراد ان يصور الواقع كما هو :

« انا يريد اسألك يا شيخ باهظ .

- تفضل مولانا .

- أشلون الشيخ محمد نزال .

- والله شكوكك يا حضرة الحاكم .

- هذا شلون ما يواجه حكومة ولا يجاوب على مكاتيب مال

حكومة » (٢١) .

بينما ينزع غيره الى الاسلوب الفصيح في الحوار ، ومنهم من يستعين بالشعر (٢٢) ، مثل حسين دوره الكافلي في (قصة الشاعرة ولادة وابن زيدون) .



(٢١) (في الفرات الأوسط) ١٨ - ١٩ .

(٢٢) (قصة الشاعرة ولادة) ص ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧ - ٣٠ ، ٣٢ -

اما كتاب القسم الثاني للرواية التاريخية في العراق وهما سليمان صائغ في روايته (يزداندوخت) وشعبان رجب الشهاب في روايته (سلمى التغلبية) فقد عنيا بالعنصر القصصي عنايتهما بالعنصر التعليمي ، وغدا العنصر القصصي خادماً للعنصر التعليمي . وهذا المقطع من المقدمة الطويلة التي قدمها الصائغ للرواية تدل على ذلك « حقائق تاريخية ، قد كشفت عن أساليب لطيف جذاب فسدت بمثل ذلك فراغاً واسعاً وسهلت لمسيحيي هذه الأزمان معرفة ماضي أجدادهم الدينية علمهم يندفعون بذلك الى احياء معالم مجيدة دثرتها حدثان الزمان وصروفه فيما سلف . . وهي في الوقت عينه نظرة في تاريخ تأسيس النصرانية وجهادات في تلك الأوضاع مع وصف لأحوال العراق وشعوبه . . . وهي كتاب تاريخي أخلاقي اجتماعي يتناول حوادث ما بين النهرين وتاريخها . . . وقد سدت هذه الرواية بل هذا التاريخ ثلثة في تاريخ العراق عن العصر الذي سبق الاسلام ، ويقرأ مطالعها اخلاقاً وأدباً سامية ووصفاً للمدن وأفراد التاريخ والعادات في تلك الأيام مما لا يجده في كتب أخرى وبأسلوب شيق جذاب أزر الخيال فيه التاريخ » (٢٣) .

ويلتقي هذان الكاتبان في ذلك ويختلفان عن كتاب الرواية التاريخية في الغرب الذين يرون ان التاريخ خادم للفن ، أما هما فيجعلان الفن خادماً للتاريخ .

٣٣ ، ٣٦ - ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٥ - ٤٦ ، ٥٤ - ٥٦ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ٦٢ - ٦٦ ، ٧١ - ٧٣ ، ٧٦ ، ٨٠ - ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٩ - ٩٧ ، ١٠٢ - ١٠٣ ، ١٠٨ - ١١١ ، ١١٤ ، ١١٦ - ١١٧ .

(٢٣) سليمان صائغ (يزداندوخت) المقدمة أ ، ب ، ت .

وكان هدف الكاتبين من كتابة روايتيهما ، الى جانب الهدف التعليمي ، الدعوة الى عقيدة دينية . فقد دعا سليمان صانغ الى المسيحية بينما دعا شعبان رجب الى الاسلام والى احياء عصور الادب العربي والابحار عن طريق التاريخ المعزة القومية .

وقوام رواية سليمان صانغ (يزدان دوخت) صراع واسع النطاق بين المسيحية والوثنية . وقد وضع المؤلف هالات مثالية حول الأديرة والرهبة . بينما وضع الساسانيين في اطار القساسة الظالمين ، كان الملوك يخاصمون الأمراء الذين يظهرون عليهم العصيان بالسجل فينزعون بعالية نقشور منها الأبدان بصب الزيت المغلى في العينين أو بادخال ابرة كبيرة محمية بالنار في زاويتي العين (٢٤) .

وقد كتب المؤلف في نفس الموضوع ، ولغرض تعليمي هو الدعوة الى العقيدة المسيحية ، قصته الاولى (على عهد طيباريوس) ونشرها في مجلة النجم التي أصدرها في الموصل عام ١٩٣٠ ، وهي قصة دينية ، كما كتب قصة (الثبات حتى الموت) عام ١٩٣٢ ونشرها في المجلة نفسها . وهي تدور في نفس الاطار الديني أيضاً . تروي القصة الاولى انبثاق فجر المسيحية في اورشليم ، بظهور المسيح وانتشار دعوته في ارجاء الامبراطورية الرومانية ، أما القصة الثانية فتروي انتشار الدعوة المسيحية في ارجاء بلاد فارس ، والصراع الشديد بينها وبين الوثنية . وقد تأثر المؤلف في خلق الموضوع الغرامي بين (يزدان دوخت) و (ساسان) في روايته بالقصص الشعبي التقليدي والقصص المترجم ، من مغامرات خيالية ينتقل البطل خلالها من مكان الى مكان آخر وراء صاحبه حتى يشرف الموضوع

التاريخي على غايته فيلقاها ، وكأن المؤلف اراد أن يقدم للمقارئ التاريخ من ناحية والقصة الغرامية التي تسليه وتجذبه الى قراءة التاريخ من ناحية أخرى ، فلم يتجه الى التعليم الخالص ، وجعل التسلية في خدمة العلم . ولعل اهتمامه بالقصة التاريخية يرجع الى دراسته الدينية ، فقد كان آنذاك قسيساً ، وكتابه عدة مسرحيات تاريخية (يوسف الصديق - الزباء - الامير الحمداني - يمامة نينوى وسميراميس) يرجع الى اهتمامه بالتاريخ ، ونألفه كتاب (تاريخ الموصل) وتأثره بقصص جرجي زيدان التعليمية قد دفعه الى تقليدها .

وقد ساعده اختياره هذا الموضوع - موضوع الصراع بين العقيدة المسيحية والوثنية الفارسية - وسهل مهمته في الجانب القصصي لعمله ، لأنه قدم له الحوادث المتنوعة والمغامرات ، كما قدم له الشخصيات الخيرة والشريرة التي استغلها في روايته الغرامية . والرواية مزيج من المخاطر والمغامرات ، والوصف الواقعي وغير الواقعي للأخلاق والعادات والمواقف العاطفية ، في اطار تاريخي . وهي تصور لنا مجتمعاً خاصاً ، في فترة من فترات التاريخ ، وأشخاصاً لهم وجودهم الحقيقي (يزداندوخت - ساسان - مارشمعون - طيماي - افرام النصيفي - مارميلس) وأشخاصاً آخرين من نسج الخيال ؛ (منسي - باعوت - الموبيد - بهمان) . ونجد في هذه القصة خروجاً على اصول السرد القصصي في مواضع كثيرة ، لأن الكاتب يهتم ايراد التفاصيل التاريخية والدعائية للعقيدة المسيحية اكثر مما يهتم احكام الخيال في خلق صور حية لذلك المجتمع ، وتكاد الرواية تخرج من بين يديه عرضاً تاريخياً جافاً ، وكأن رسالة الصحافة (٢٥) في حرصها على

(٢٥) كان رئيساً لتحرير مجلة النجم التي صدرت في الموصل في أواخر

الإصلاح الاجتماعي ، ومهنته ككاهن تملك عليه قلمه ، حتى في هذا الفن فزاه يحشو الرواية بالمواعظ (٢٦) والنصائح . كما انه يسرف في ايراد التفاصيل التاريخية والجغرافية (٢٧) . وكثيراً ما يشير في هوامش الصفحات الى المصادر التي اخذ منها احداثه (٢٨) ويعتمد المؤلف على العنصر الغيبي أو عالم وراء الطبيعة (اشفاء مارميا لسان من مرضه الخطير - معجزات القديس افرام النصيبني ومارشعون) ولكنه في غير أعمال القديسين ، يلتزم بالواقع ويرسم في روايته التاريخ في صورة مكبرة ، تجمع اهم المظاهر يوشيهها بما يشوق القارئ الى مطالعة التاريخ ، واستطلاع أحوال الفترة ، أو التعرف على عادات الأمة وتقاليدها التي تحيط بالوقائع .

ويستعين بالمصادفة لكي تعينه على ربط المواقف أو حل العقد العشرينات واستمرت في الصدور حتى الحرب العالمية الثانية ثم توقفت عن الصدور في الخمسينات ثم توقفت بعد سنة من صدورها .

(١٦) (يزدان دوخت) ٣ - ٤ ، ٥١ ، ٦٣ ، ٦٩ - ٨٠ ، ١٠٩ ، ١١٢ - ١١٤ ، ١١٨ ، ١٢١ - ١٢٣ ، ١٤٠ - ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٥ - ١٦٨ ، ١٧٩ - ١٨٠ ، ١٨٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ - ٢٢٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ - ٢٤٦ ، ٢٦٤ - ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٣٠٠ - ٣٢٠ ، ٣٢٢ - ٣٢٤ ، ٣٨٨ - ٣٨٩ ، ٤٠٦ - ٤٠٨ ، ٤٤٩ - ٤٥٢ ، ٤٦٢ - ٤٦٩ ، ٤٧٤ - ٤٧٦ ، ٤٨٤ ، ٥٠٠ - ٥٠٧ .

(٢٧) المصدر السابق ص ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٤٣ ، ٨٩ - ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٨٦ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٣٢٤ ، ٣٣٥ ، ٣٤٣ ، ٤٦٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ .

(٢٨) المصدر السابق ص ٧٣ ، ١٠٤ ، ١٦٠ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٦٣ ، ٢٤٥ ، ٣٤٩ ، ٣٩٢ ، ٤٠٢ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٧٦ ، ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، ٥٠٦ .

(اكتشاف جان ان بتاوفيل اخوها - اكتشاف ساسان ان جان أم
يزداندوخت - اكتشاف يزداندوخت ان امها على قيد الحياة - اكتشاف
يزداندوخت ان باعوث صديقة امها) وهذا الاعتماد يضعف جانب
الابداع في الرواية ويدل على ضعف الحاسة الفنية عند الكاتب ، فتهافت ،
وتبرد حرارتها ، وتبرز الصنعة المهلهلة فيها . وتأرجح عناوين الفصول
في روايته بين دلالتها على المعلومات التاريخية والدلالة على الحدث القصصي ،
وهي تسير على هذا النحو « تحت أسوار العاصمة - السيف - كنيسة
كوخي - البطولة الانجيلية - المرزبان المسيحي - فندق اربل » .
ويربط بين فصول روايته ، بأن يتجه مباشرة الى القارئ على هذا
النحو « لا يخفى على القارئ اللبيب انه في الأجيال الأولى للكنيسة -
نعود الى روايتنا لنسدل عليها الستار بعد ما رأينا أبطالها يمرون على
مسرحها ويفغيون في ظلام الأجيال الواحد بعد الآخر » (٢٩) .
أما شخصياته التاريخية والموضوعة فيعرضها بطريق الوصف والتحليل ،
ولكن الوصف والتحليل لا يبعثان فيها الحياة حتى تحيي في الرواية ،
ولا ينجح الحوار في اكسابها أبعاد الحياة ، لأن الكاتب يريد الوصف
وسرد التاريخ ، دون ان يسعى الى التحليل الكامن وراء التاريخ .
وشخصياته تكاد تكون نماذج في الجمال أو العقل أو الرجولة أو الاخلاص ،
أو ما هو مناقض لهذه الصفات . وهذه الشخصيات لم تتطور عنده ، بل
ظلت طوال الرواية كما عرفناها منذ البداية ، عدا شخصيتي (يزداندوخت
وساسان) فقد كانت الحوادث المتعاقبة عليهما تلقي أضواء على جوانبهما
المختلفة .

أما أسلوبه فهو أسلوب بسيط خال من الشاعرية والجمال ، ولكنه خال من الأخطاء اللغوية او الاملائية في الوقت نفسه ، وهو يهمل وصف المناظر والاحداث ، واذا اضطر الى شيء من ذلك ، فانه يوجزه ويمر به مروراً سريعاً ، واذا أطلّ فيه بهتت ألوانه . ولا يستغرب ذلك من الصائغ وهو عالم مؤرخ يهتم بالحقائق ولا يؤمن بالخيال .

وحين تقدم شخصياته في حوارها شيئاً آخر غير المعلومات التاريخية ، فانها تعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ، فالخادمة المسيحية تجيب يزندان دوخت - وقد أدركت انها وثنية « حورب المجد سيدنا يسوع المسيح اله السلام والمحبة ، نعم لم يكن يسوع المسيح اخوه لكنه لما أراد ان ينتشل البشرية من شقاءها السحيق شاء أن يستنخص بؤساء الارض وان يؤثرهم على اغنياء العالم وعظمائه وأن يسميهم اخوته فأوصى بهم وانذر بعذاب اليم لمن امسك عنهم حنانه فقال مكنياً اياهم بشخصه : كنت مريضاً فلم تعودوني وغريباً فلم تأوونني ومحبوساً فلم تزوروني وعرياناً فلم تكسوني وجائعاً فلم تطعموني وعطشاناً فلم تسقوني . وللتصريح بهذه الكناية كان الجواب : يا رب متى كنت مريضاً او غريباً او محبوساً او عرياناً او جائعاً او عطشاناً ولم نخدمك ؟ فيجيب مؤكداً القول : الحق اقول لكم بما انكم لم تفعلوا هذا بأحد اخوتي هؤلاء الصغار فلا بي فعلتموه اذهبوا الى النار المؤبدة » .

ونحن لا نرى فارقاً بين مثل هذا الحوار الذي يأتي على لسان الشخصية ، وبين تعبير (سليمان صائغ) عن آرائه على لسانه شخصياً « فبينما كانت الوثنية تستخدم القوة والقسوة للقضاء على مزاحمتها المسيحية كانت هذه الاخيرة قد اكتفت بشباتها قوة وسلاحاً ، وماذا يقوى

على الثببات اذا سائده الحق ؟ وزادت على الثببات فضائلها التي سحرت
 الألباب واصطادت العقول من بين بجاهل الخرافات القاصية حتى اضطر
 ابن الوثنية في نهاية هذا الصراع ان يحني رأسه اجلالا لديانة ساوت
 بين ضعيف وقوي وعبد وسيد ونادت بشريعة محبة سامية ورفعت من
 معجم الاجتماع كلمات الشحنة والعداء والبغضاء والحسد والاثرة ...» (٣٠) .
 وتدل رواية (سلمى التغلبيية) أو قصة (الفتح الاسلامي لتكريت)
 ١٩٤٩ ، من اسمها على أن موضوعها يدور حول فتح المسلمين لمدينة
 تكريت ، والحالة التي كانت عليها المدينة قبل الفتح الاسلامي (٣١)
 وقد استغرق وصف تكريت ، وانتشار المسيحية فيها ، أكبر جزء منها ،
 ولم يترك الكاتب لاحداث الفتح الاسلامي الا الثلث الأخير فقط (٣٢) .
 يبدأ المؤلف روايته بالحديث عن (ماروتا) الذي ينزح من قريته
 في شمال العراق بعد ان فقد والديه ، ليضرب في الارض ، وقادته المطاف
 الى دير قرب الموصل فانضم الى رجاله ، وبرز في مجال العلم والفلسفة ،
 مما دفع رئاسة الكنيسة الهرقية الى جعله رئيساً للكنيسة الخضراء في
 تكريت ، فسمى وجد في نشر الديانة المسيحية في ارجاء العراق وسجستان ،
 ساعده في ذلك أمراء تكريت (عامر) أمير تغلب (وسطيح) أمير
 أباد . ويخلق الكاتب من هذين الشخصين ندين متنافسين على الامارة ،
 والحصول على اللقب والاستيلاء على قلب (سلمى التغلبيية) التي تزف
 الى (عامر) ، مما يوغر قلب سطيح عليه ، فيكيد له ، ويعمل على قتله

(٣٠) المصدر السابق ص ١٩٤ ، ٥٠٦ .

(٣١) (سلمى التغلبيية) ص ١ - ١٦٨ .

(٣٢) المصدر السابق : ١٨٦ - ٢٤١ .

أثناء نهريه للديانة المسيحية في أرجاء سجنستان باثارة (النساطرة) اعداء الكنيسة الشرقية ضده ، ولكن عامري سخر من محاولاته ، ويحبط بمؤامراته ، ويكشف دسائسه ، وينتصر في النهاية ويقربه (ماروتا) اليه ، بما يدفع سطيح الى الاستعانة (بالكاهن مارين) الذي يحقد شديد الحقد على ماروتا ، ويظهر له غير ما يبطن ، ويستطيع سطيح بفضل دسائسه ومكره ويساعده مارين ان يحصل على لقب (حامي الكنيسة) بما يوغر صدر (عامر) فيميل الى الانهزال عن مجتمع تكريت وينصرف عن الكنيسة رغم لوم زوجته سلمى له .

وعندما يحاصر المسلمون تكريت بقيادة (عمرو بن جنيد) يدخل الايمان في قلب (عامر) بعد رؤيته حلماً يدعو فيه المسلمون الى الاسلام ، ولما يشاهده من صدق العرب واخلاصهم في دعوتهم . وعندما يجتمع القائد العربي بماروتا ، يخيره بين الاسلام أو دفع الجزية . ويتعاون عامر مع المسلمين على وقف اراقة الدماء ، ويفتح لهم ابواب المدينة ، بعد أن يتسلم قيادة الجيش في تكريت . وينصبه المسلمون حاكماً على المدينة ، بعد أن يعلن اسلامه . أما غريمه سطيح فيختطف سلمى بعد أن يقتل والدها ، ثم يعثر عليها عامر بعد مغامرات طويلة ويعيدها الى حضيرته ، وتعلن هي الاخرى اسلامها ، ويعلن اكثر سكان تكريت اسلامهم ويدفع الآخرون الجزية ، ويبقى ماروتا رئيساً للكنيسة الخضراء .

ينفذ الكاتب من خلال هذه الاحداث الى رسم صورة للمجتمع تتضح من خطوطها ملامح الحياة الاجتماعية في (الجزيرة) في ذلك الحين ، فالصراع قوي بين الكنيسة الشرقية والنساطرة ، والتعصب الطائفي وسوء الادارة سائدان . ولا تسلم هذه الصورة من المبالغات والالوان الفاقعة

والمواعظ الطويلة (٣٣) « لعدم اعترافي بما يقر به الناس ويعترفون من وجود الحواجز بين ناس دون آخرين تلك الحواجز هي حواجز الأفضلية بالرتب والمنازل والالقباب التي خلعتها المادة وتبعتها الفطرية فوهبتها الانانية وحب الذات وأكملت نضجها ونموها الاغراض والمقاصد الشخصية التي ترمي الى الحكم في رقاب العباد والتصرف بأموالهم وحریاتهم ويا لبت انها ألقاب ورتب وأفضليات تنال عن كفاءة ومقدرة . . » (٣٤) والاطار العام الذي يضم الحوادث هو الاطار الرومانسي القائم على المخاطرات ، والهدف في الرواية وصف للمعمارك والبطولات العربية ، وتشجيع فيها روح البطولة منذ البداية ، ثم تزداد اتساعاً وانتشاراً حتى تملأ الجو كله ، واذا بنا نعيش في بيئة يمتاز اهلها عن الناس الذين نعيش معهم .

وتمزج الرواية بين الحياة العربية الحاضرة والحياة الفارسية ، ثم هي تصور للمثل الاعلى من التقاء العقيدة المسيحية بالعقيدة الاسلامية . وقد اضطر اتساع رقعة الرواية الكاتب الى الاسراع في عرض الحوادث ، والى التلخيص والحذف في بعض الاحيان ، بما أفقدها تناسقها وانسجامها ، ولا سيما في الثلث الاخير منها وهو الخاص بالفتح العربي لتكريت . ولا يجد المؤلف من ضرورة لوصف أو تحليل ، الا ان كان ذلك للتاريخ - فالمناظر عنده اطارات تاريخية تصف المدن والآثار (٣٥) ، وتحليل الشخصيات لا يعدو أن يكون تاريخاً لحوادثها ، فاذا وقف عند

(٣٣) سلمى التغلبية ٨٩ - ٩٠ ، ١٧١ ، ٩٦ ، ١١٣ - ١٢٠ - ١١١ .

(٣٤) المصدر السابق ٨٩ - ٩٠ .

(٣٥) سلمى التغلبية : ٣٧ - ٤٦ ، ٩٦ - ٩٧ .

أمر ، فليقدم درساً في التاريخ (٣٦) . ولهذا السبب كانت الصدفة تلعب دوراً هاماً في روايته وتقدم لنا عدداً من المواقف « حلم ماروتا أثناء خروجه من قريته بعد وفاة والديه - لقاء سطيج لسلمى في الكنيسة - اجتماع عامر ويمبلوس - حلم عامر بفتح العرب لتكريت - حصار تكريت مباشرة بعد رؤية عامر الحلم » . ولهذا ايضاً كان الكثير من احداث الرواية مفككا ، لان المؤلف أراد ان يجمع في روايته كل المعلومات التي أخرجها من بطون كتب التاريخ وقد استطاع المؤلف ان يتحدى الوقوع في الخطأ الذي وقع فيه اكثر الروائيين العراقيين ، كما رأينا على سبيل المثال في (قصة الشاعرة ولادة وابن زيدون) وهو جعل الشخصيات التاريخية الشهيرة الابطال الرئيسيين في الرواية ، وبهذا تمكن المؤلف من ان يستعمل التاريخ من غير ان يحمله اكثر مما يحتمل . ولم يعن المؤلف بشخصياته ، لذلك ظلت رغم ما ألقى عليها من ظلال التاريخ والحوادث ، دمي لا شخصيات حية . (فسلمى) بطلة الرواية تشبه في حبها وشكواها اي انثى أخرى تحب وتشكو ، و (سطيج) في حقه يشبه اي عزول آخر ، و (عامر) الذي حاول ان يجعل منه المؤلف بطلا قومياً ظلت بطولته سطحية لا تتعدى نشر الدين المسيحي ، وقاتل اللصوص ثم فتح أسوار المدينة للمعدو وانقاذ الحبيسة .

وقدم لنا الشخصيات جاهزة ، توجز صفاتها في بضعة سطور ، وتستمر على هذه الصفات أثناء وجودها في العمل القصصي . والتفاعل بينهما وبين الحوادث فاتر ضعيف ، كأنها تسير وحدها مستقلة لا تلتفت يميناً

(٣٦) المصدر السابق ؛ ١٩٥ - ١٩٦ ، ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٩ ،

٢٣٠ ، ٢٣٩ - ٢٤٠ .

ولا شمالا ، ولا تتأثر بالأحداث أو تؤثر فيها . رعلى الاخص شخصيتي
(سلمى وماروتا) .

ويسوق المؤلف روايته هذه بأسلوب بسيط سليم خال من الأخطاء
اللغوية ، وبالرغم من أنه يعطي الرواية طابع الحديث والوصف والحوادث
الجارية ، الا انه يحرص دوماً على ان تأتى روايته بحثاً تاريخياً ايضاً ،
فهو يفي للتاريخ كل الوفاء ، ولهذا تنشر الحواشي في ذيول الصفحات ،
مشيرة الى المصادر التي استعان بها في استخلاص أحداث روايته أو
أوصافها (٣٧) . وقد يلجأ الى النبرة الخطابية في سرده الرواية اذا ما
اعترضه موقف حاسم ، أو اذا ما أبدى فكرة أو أراد الدعوة الى عقيدة
معينة (٣٨) ، أو لغاية تعليمية (٣٩) « يا حمّة القلعة ؛ لا تكونوا
مكابرين في قتالكم فتطرحوا بحياتكم وتلقوا بأنفسكم في مهاوي الهلاك
والدمار فان كنتم تحرسون على حياتكم وسلام قلعتهكم واموالكم وعقيدتكم
فاقبلوا بعد الاستسلام احد الأمرين اللذين بهما سلامتكم وحريةكم
الاسلام أو الجزية » (٤٠) .

ووجه الشبه بين الكاتبين في روايتيهما تصوير انتشار المسيحية في
العراق كما اسلفنا عند كلامنا عن الروايتين ، وفي أن الحقيقة التاريخية
في حد ذاتها تسبق عندهما الخيال ، ويأتي التخيّل في طريقة العرض

(٣٧) سلمى التغلبيّة : ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٦٢ ، ٦٨ ،

٨٨ ، ١١٥ ، ١٥٣ ، ١٦٠ ، ٢٠٠ ، ٢١٨ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٣٨) المصدر السابق : ١١٤ - ١٢٠ ، ١٤٧ - ١٤٨ ، ١٧٨ - ١٧٩ ، ٢٢٦ .

(٣٩) المصدر السابق : ١٩٢ - ١٩٣ ، ١٩٧ - ٢٠١ .

(٤٠) المصدر السابق : ٢٢٦ .

وتصوير واقع الماضي البعيد . اما الوقائع فكثيرا ماتا في النصوص التاريخية نفسها ، لتتحدث بها الرواية وتثبت المراجع في الهوامش والذيل (٤١) ، وليس التاريخ فيها اطاراً تصب فيه الحياة الدافقة كما هو الامر عند ديماس ، ولكنه النسيج الحي العميق ، كما تتأثر هـ في رسم المكان والجو القصصي « على بعد ثلاثة وأربعين فرسخاً من الموصل الى الجنوب تقع مدينة تكريت وهي تطل على نهر دجلة من الجهة اليمنى من فوق جبل لايتجاوز الخمسين متراً في الارتفاع مشادة على بضعة تلال تتخللها وديان منخفضة تنحدر نحو النهر بصورة تدريجية وبيوتها متلاصقة الى بعضها مما ادى الى ضيق الشوارع » (٤٢) . وقد وصف الصائغ كذلك مدينة (المدائن) التي تقع فيها احداث روايته جنوبي بغداد عاصمة العراق على مسافة عشرين ميلاً بناء ضخم يشغل مكاناً فوق الرمال نحو ٣١٢ قدماً ويبلغ ارتفاعه نحو مئة قدم ويمر في وسطه ممشى فسيح يبلغ عرضه ٣٨ قدماً . ذاك (طاق كسرى) او بقية المدائن الذي شهد جيوش الاسكندر وعظمة الغربيين ولبت شاهداً جامداً يدل بصمته المتوحش على ابهة الدول الساسانية (٤٣) .

(٤١) (يزد اندوخت) الهوامش ص : ٧٣ ، ١٠٤ ، ١٦٠ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٦٣ ، ٣٤٥ ، ٢٤٨ ، ٣٩٢ ، ٤٠٢ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣١ ، ٤٦٠ ، ٤٧٦ ، ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، ٥٠٦ .

(سلمى التغلبيّة) ص ٢٨ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ٨٨ ، ١١٥ ، ١٥٣ ، ١٤٠ ، ٢٠٠ ، ٢١٨ ، ٢٢٩ ، ٢٢٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٤٢) (سلمى التغلبيّة) ص ٥

(٤٣) يزد اندوخت ص ١١ - ١٥ .

وقد تحدث الكاتبان عن أكثر من مدينة ، لأن أحداث روايتهما تدوران في أكثر من مدينة . فقد تحدث شعبان رجب عن مدينة (شوزرق) (٤٤) ثم تحدث عن (تكریت) بعد أن انتقل إليها (ماروتا) أحد أبطال الرواية كما تحدث عن (سجستان) . وتحدث الصائغ في أول الأمر عن (المدائن) ثم حدثنا عن مدينة (أربل) كما حدثنا عن (نصيبين) بعد أن أسرف فيها (ساسان) بطل الرواية . ويعترض الكاتبان أحداث الرواية ليحدثانا عن معلوماتهما في حضارة العصور التي تدور فيها روايتهما (٤٥) ؛ وقال هذا واطرق برأسه المكمل بالشيب والجميع في هيبة وسكوت ، ولا بد لنا أن نعرف القارئ بأردشير .

إن الدولة الساسانية كانت في العصر الذي نحن فيه تنقسم إلى أقطاعات يحكم كل أقطاعية شطر دار - أمير الدولة - ويدعى عندهم صاحب الأقطاعية أو الملك ، وهذا هو السبب في تسمية العاهل الساساني بملك الملوك (٤٦) .

ويقوم الجانب القصصي في روايتي الكاتبين على علاقة غرامية بين بطل خير بصورة مطلقة وبطلة خيرة يحبها وتقوم العقبات والدسائس والمؤامرات بينهما ، فيقف الموييد بمكره وحيله حائلا بين يزداندوخت

(٤٤) وصف للمدائن : مدينة دهوك الحالية في شمال العراق .

(٤٥) انظر (سلمى التغلبيّة) ص ٢٧-٤٦ ، ٥١-٥٢ ، ٩٦ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٩٥

١٩٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٣١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ (يزداندوخت)

ص ٢٩ ، ٨٩-٩٢ ، ٩٤-٩٥ ، ٩٦ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٨٦ .

(٤٦) يزداندوخت ص ٦٩

وساسان ، كما يقف سطيج تغلبية حائلا بين سعادة عامر وسلمى التغلبية .
وحين ينتهي المؤلفان من الاحداث التاريخية يكونان قد انتهيا أيضاً من
هذه العلاقة الغرامية .

وتتجه روايتنا صائغ والشهاب الى تشويق القارئ واثارة فضوله
ليتتبع الحوادث التاريخية بادخال المفاجآت والمصادفات التي تؤدي الى
تعقيد الحادثة الرئيسية ثم حلها . وذلك مثل تخلص (عامر) وخادمه
عن عصابة المصوص في جبال حميرين وهما في طريقهما الى سجستان (٧٤)
وقدرة (بهمان) الجسدية الخارقة على قتل ثلثة من الجنود
أو المصوص ، واحباطه جميع المؤامرات والمكائد التي تحاك للايقاع
بيزد اندوخت وساسان .

وتعمل المصادفة عملها الكبير في تطور الحوادث عند الكاتبين ، ومن
ذلك كشف (بتاوفيل) وهو يعالج سكرات الموت من ان ام
يزد اندوخت على قيد الحياة في مدينة (الخيرة) ، وكشف (جانا) عن
حقيقتها لساسان الذي كانت تعني به بعد اصابته واسره بأنها ام
يزد اندوخت ، واكتشاف جانا كذلك ان الضابط بتاوفيل اخوها عندما
عثر وهي تغسل ملابسه على اوراق نسيها في جيبه ، وكذلك حب
سطيج وسلمى التغلبية عندما رآها صدفة في احتفالات الكنيسة ، ذلك
الحب الذي كان المحرك الأول للرواية .

وقد بنى الكاتبان التعقيد على الفراق بين الحبيب وحبيبته ثم عودته
سالمًا ، كما لجأ الى السر وماطلا القارئ وشوقه الى اكتشاف الحقيقة ،
والبحث عنهما ، اذ لا تعرف يزد اندوخت أن امها على قيد الحياة الا

في نهاية الرواية عندما يخبرها حبيبها ساسان بذلك . وكذلك تعرف
يزد اندوخت أن بتاموفيل اخوها الا بعد أن تكشف الأبراق في جيبه
ولا تعرف يزد اندوخت أن ساسان على قيد الحياة الا في آخر الرواية
أيضاً ، ولا يعرف عامر أن (الكاهن مارين) يكيد له الا في نهاية
الرواية بعد ان يخطف سلمى التغلبية ويهرب بها مع سطيج . وقد
استعان الكاتبان بالشخصيات الثانوية لخلق التعقيد بجعلهم من الأعوان
المخلصين ، يساعدون عنصر الخير في اعماله او عنصر الشر على تحقيق
مآربه الشريرة مثل (بهمان وباعوث ومنسى) في رواية (يزدا ندوخت)
و (جرير وزوبعة) في رواية (سلمى التغلبية) . أما عنصر الشر
عندهما فيتمثل غالباً في خصم البطل في الحب مثل سطيج ، في (سلمى
التغلبية) والموبيد في (يزدا ندوخت) ، أو يتمثل في شيخ من
داهية مثل (الكاهن مارين) في (سلمى التغلبية) والموبيد أيضاً في
(يزدا ندوخت) .

وتتشابه شخصيات الكاتبين في خطوطها العريضة ، وفي قشورتها
الخارجية او تصرفها ، كما مر بنا ، كما تتشابه أيضاً في نفسياتها .
فهي حين تعبر عن حبها أو عن قلقها ، تعبر بصورة تكاد تتشابه ،
فجهاد (مار شمعون) وقلقه على العقيدة المسيحية في (يزدا ندوخت)
هو نفس قلق (ماروتا) وجهاده في سبيل العقيدة المسيحية أيضاً في
(سلمى التغلبية) . وشجاعة ساسان في الرواية الاولى هي نفس شجاعة
عامر في الرواية الثانية ، وخبت الموبيد في الاولى هو خبت الكاهن
مارين في الثانية واخلاص يزدا ندوخت وساسان في حبهما هو نفس
اخلاص سلمى التغلبية وعامر ، وكره الموبيد للمعاشقين الأولين ووقوفه

في سبيلهما هو نفس ما فعل سطيج بالنسبة لعامر وسلمى . واخلاص
(بهمان) لسيدته يزد اندوخت وتضحيته في سبيلها هو نفس اخلاص
(جرير) لسيدة عامر في (سلمى التغلبية) .

ولم يتقيد الكاتبان بالدراسات النفسية الحديثة ، التي اوضحت ان
الشخصية الانسانية مزيج من المشاعر والاحاسيس والدوافع الخيرة
والشريرة ، والعناصر الوضيعة والرفيعة ، وأنه ليس في عالم النفس
خير خالص او شر خالص ، وهما بالتالى لا يعنيان بالتحليل النفسي
ولا يطأنا على اعماق النفوس ، ولا يستبطن الدخائل .

وحين يحاولان التحليل ، يلجآن في احيان كثيرة الى التحول بالقضية
من تحليل لشخصية معينة الى قضية عامة تنطبق على جماعة كبيرة من
الناس ، فحين يتحدث (شعبان رجب) عن حب سطيج من النظرة
الاولى لسلمى في رواية (سلمى التغلبية) ، لا يتحدث عن حب بعينه ،
لكه يتحدث عن عاطفة الحب الصادق عموماً ، فيقول «الحب سلطان
السلطين ومملك الملوك تذل له التيجان وتخضع لأوامره العروش يغزو
القلوب لا لينذلها ويستعبدوها بل ليملاً فراغها فيصقل العواصف ويهذب
الشعور ويرهف الاحساس ، لكنه يزيد الاضطراب المحبب الى الحبيب
رغم ما يخلعه عليه من اردية الضعف والسم والنفى » (٤٨)

ويصف (سليمان صائغ) قلق يزد اندوخت امام سرير حبيبها
ساسان المريض « لبثت الفتاة امام سرير المريض وقد شعرت بوجودها
قريباً من ساسان بسعادة مشوبة بمرارة وتمنت لو انه فتح عينيه
ورآها تسهر عليه . وتسمع منه كلمة تنم عما يشعر في نفسه

نحوها (٤٩) .

ويصف الكاتب نفسية يزد اندوخت فيقول « كانت يزد اندوخت طيبة القلب كريمة السجايا رقيقة الشعور شكورة لمن يقوم بخدمة كبيرة ام صغيرة وبهذا الشعور الرقيق تراها شديدة الاهتمام بامسان بعد الذي ابداه نحوها من الشهامة في بيت كوتستاي حينما قدم لها ذراعه وسيفه للدفاع عنها» (٥٠) .

ويتخلصان بهذه الصورة من تحليل الشخصية ، فبدلاً من ان يحاولا تحليل نفسية فرد معين في ظرف معين ، يعلمان الموقف ليتحدثا عن مجموعة من البشر ، وتصبح شخصياتهما في هذه الحالة نماذج عامة كما بينا سابقاً .

ويمتاز اسلوبهما العام بالوضوح والسهولة ، فهما يخاطبان الناس بلغتهم التي يفهمونها ويتفاهمون بها في صحفهم وكتاباتهم ، لا بتلك اللغة الخاصة التي يلجأ اليها كتاب النثر الغني . وهم يكتبون دون عناء او كلفة ، يرسلان قلمهما حراً طليقاً لا يقيدانه بقيود قيود الدقة والافهام ، ولا يقصدان تجميل الاساليب وتفخيمها لأن الهدف من كتاباتهما هدف تعليمي بالدرجة الاولى (٥١) . والاسلوب التعليمي

(٤٩) سليمان صايغ (يزد اندوخت) ص ٤٩ .

(٥٠) المصدر السابق ص ٤٧ .

(٥١) (يزد اندوخت) ٣-٤ ، ٥١ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٨٠ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٤ ،

١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ،

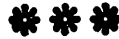
١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٥٦ ،

٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٠٦ -

٤٠٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، وكلها دعوة للعقيدة المسيحية .

لا يميل الى الزر كشة البيانىة ، والابداع الفنى ، لأنه يهتم بالمضمون قبل اهتمامه بالشكل . ولا يخلو اسلوبهما من نبرة خطابىة عندما يأخذهما الحماس فى الدعوة الى عقيدة او فى موقف حماسى يستنهض به همه القارى . (٥٢) .

ويكثر تضمين الصايغ لفقرات من الانجيل فى كتاباته وقد استخدم شعبان رجب ذلك بصورة اقل ، كما يكثر ان من الاوصاف والنعوت عند وصفهم لشخصياتهم « سيدة العتل ، كالثور الهائج ، ثم كشر شابور عن نابيه و قهقهه قهقهة القروء » (٥٣) . قلق الافكار ولا يزال فى الدور المي تا فزيقى (٥٤) .



وبعد ان عرفنا محاولات كتابنا فى الرواية التاريخىة ، وهى محاولات لم ترق فى احسنها الى منزلة الرواية التاريخىة العالمىة ، فقد كانت فى الاكثر تجارب فى كتابة التاريخ ، الغرض الأول منها تعليم هذا الموضوع للقارىء المتوسط بأسلوب سهل مستساغ ، فهى الى التاريخ القصصى ، اقرب منها الى القصة التاريخىة ، وقد ظا هذا الفن متخلفاً

(٥٢) (يزد اندوخت) ٦٣ ، ٦٩ - ٧٠ ، ١٢٧ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٤ ،

٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٠٧ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ .

(سلمى التغلبىة) ١١٤ - ١٢٠ ، ١٤٧ - ١٤٨ ، ١٧٨ - ١٧٩ ، ٢٧٦ .

(٥٣) (يزد اندوخت) ١٩٧ ، ٢١٨ ، ٢٩١ .

٥٤ سلمى التغلبىة ص ١١١ .

في ادبنا ، وكانت الصعوبات والاشواك التي اعترضت طريق الرواد الأوائل ، ومحاولتهم 'سراخ' الاشواك التي اعترضت طريق كتاب الرواية التاريخية في العراق هو ما دفع جيل ما بعد ثورة تموز ، ليصبحوا اكثر احساساً بالواقع ، وتفهما له وقرباً منه ، واكثر كتابنا تعبيراً عن هذا الاتجاه ، داود سلوم الذي حاول في رواية (عهد مضى) ١٩٥٨ تحليل الواقع على ضوء فروض استمدها من علم النفس وعلم الاجتماع ليقدم لنا صورة هذا الواقع بكل تفاصيله وآلامه ومشاكله . وقد ادار داود سلوم مرآته نحو الماضي البعيد - العصر البابلي - وخلق من العظام الجافة شيئاً ينبض بالحياة والجمال ، وقد حاد سلوم عن التتابع الزمني للاحداث احياناً واختلق مواقف جديدة ، واعطى لنفسه الحرية في خلق ثياب شخصياته وتطوير عاداتهم واذواقهم وتغييرها ، وبالرغم من كل هذا ، فقد احب التاريخ وكانت محاولة رائعة ، فقد وجد التاريخ كمجموعة من الصور في فانوس سحري بأشخاصه وحوادثه واضفى عليها روح الاستمرار والحركة من عنده ، ولهذا نقول ان نظراته للتاريخ كانت نظرة رومانسية ، وليست نظرة تسجيلية دقيقة وهو يعد الحوادث الجسام نتيجة وتعبيراً عن سير الانسان ، وحظه من الخير والشر ، وليست تسجيلاً للحوادث التاريخية ، وهو يسخر من الالتزام الحرفي للتاريخ ، على لسان يونس بطل روايته ، « ثم اشماز من نفسه وتخيل انه مخدوع من نفسه مأخوذ بسحر كاهن لا يعرفه اراد شراً فصرفه عن حاضره وحاضر بلاده الى الماضي السحيق ينبش القبور

ويتنسم الروائح النتنة من عظام موتى التاريخ ماله ومالهم » (٥٥) .

(٥٥) داود سلوم (عهد مضى) ص ٣٣٥ .

وقد ابتغى المؤلف الى تحليل المشاكل ، وبحث في مشكلة لها صداها ومداها البعيد في العصر الحاضر في العراق . يضاف الى ذلك العرض الفني الذي يرعى فنية الرواية حيث هي وحدة فنية حية تتطور فيها الشخصيات تطوراً مماثلاً للتطور في مظاهر السلوك البشري . وتطلعنا الصورة الفنية على ما يسترعي اهتمام الناس ، معتمدة على منطق الحياة ، وعلى صورة صراعها ومفارقاتها وسخرياتها وما تفاجيء به الانسان « ان اول كاهن على الارض كان اذكى أهل قريته آنذاك ، فهو الذي عرف كيف يتستر بأوراق الأشجار وهو الذي عرف كيف يوقد النار كما انه هو الذي آوى الشيطان عندما طردته السماء من حديقته اعترافاً بالفضل له ، أوجد الشيطان له هذه اللعبة - مرآة المعرفة - فصنعها من تراب الارض ووضعها في معبد وقال ادع الناس فسيكون لك بها مجد وثروة وسلطان ، كل هذا جزاء الذي صنعت معي » (٥٦) .

كما ابتكر الكاتب في العرض الفني ، فهو يأخذ الفترة بجمالها وشخصياتها ، ويحرك روايته فيها ، بحيث يبرز طابع الجمال قوياً في تحريك الحدث والشخصيات ، ويسعى خلال ذلك الى تكامل التأثير الفني لعالم الرواية البين المجال ، والحوادث والشخصيات على ان تنبض بالحياة بطريق الحوار والتحليل المباشر ، مع خضوع تطور الموضوع نحو الذروة والنهاية ، وما به من صور السخرية والتهكم والتحليل للدوافع الانسانية للشخصيات ، والتطور الفني الدقيق النابع من الطبائع ومن السلوك « ولعل من أشهر نواذر المدرسين التي حفظها التاريخ البابلي ورواها للأجيال الصاعدة هو ان مدرساً من انذين قدرت معلوماتهم بطريقة الوزن على الحشبة

المسطحة (. . .) وجد ينهش بأسنانه أوراقاً من البردى الثمين في مكتبة أحد الآلهة فلما سأله الخازن ماذا يعمل ؟ قال أهضم المادة جيداً لأدرسها لطلابي (. . .) يجوز أن المدرس قد اكل أوراق البردى حقيقة لأنه جائع ولأن أجور المدرسين قليلة في كل عصور التاريخ » (٥٧) . ان هذا التحليل للطبائع الانسانية ، وما يتلون به صورته وطبيعته وراه اطار التاريخ ، لما يميز فن الكاتب ، ويفتح امامه مجال الابتكار الفني حتى يكسب الرواية طولاً ، وعرضاً وعمقاً يبرز خلال الصور ، يهبها قيماً انسانية فذة ، يصف الكاتب يونس بطل الرواية فيقول : « لقد كان من عامة الناس وكان من فقراء الناس واشدهم فقراً واكثرهم املاقاً لقد يرى نفسه كأنه الشعب في تلك المدينة الضائعة (. . .) وحين ينظر حواليه لا يرى الا نفساً واحدة حائرة مستعبدة في اجساد متفرقة » (٥٨) . وكان الكاتب في هذا الوصف ليونس ، يصف كل مواطن عراقي . وتدور احداث الرواية في بابل القديمة ، بطلها فرد ما من عامة الشعب (يونس) يؤخذ من وسط الشوب في طرقاته ، ليجن عتياً له على عدم سجوده للآلهة . ويعرض المؤلف هذه الصيرة ببساطة عذبة محببة « وضائق نفس الغلام وشعر ان والده الأمي سوف يهديه للمعبودية الى سبيل الكاهن الأكبر فوقف وأثبت قدميه في الارض ورفع قامته مستقيمة وصرخ بأعلى صوته : لماذا ؟ فارتفعت الوجوه اليه وارتجف أبوه وماتت امه من هول الصدمة ثم قال : لماذا نعطي لك ؟ لماذا يبيع الآباء بناتهم في سبيلكم ؟ لماذا

(٥٧) داود سلوم ص ١٩ .

(٥٨) المصدر السابق ص ٩ .

تستحبون نساء الناس وتأخذوهن لآلهة من صخر؟ وهل الصخر يسمع أو يتكلم وهل يأكل الصخر؟ لماذا تكذب على الناس فان لحيتك تكسبك وقاراً وإن زيك يدل على انك غني مترف ، فضربه الكاهن الاكبر بالسوط ولم ير الغلام له ذنباً يعاقب عليه فصرخ لماذا ؟ . وهنا فقط يتحرك جماعة من اللصوص الشجعان في المدينة وقالوا لماذا ؟ فهم كذلك لا يؤمنون بما يقول الكهنة . فخاف الكاهن الاكبر على حياته الغالية فابتسم في وجوهمهم وأشار الى حراسه وقال خذوا الصبي فهو يستحق ان يكون كاهناً أطعموه وأطعموهم ، وأشار الى اللصوص الثلاثة وقال لحراسه : اكرموا اخوانكم على احتجاجهم للمضعفاء ، ضعوه في فراشهم حتى أتى .

أما الطفل يونس فقد سجن في معبد الاله الصخري ، وأما اللصوص فقد قيدوا ووضعوا معه (. . .) ولم يعرف أحد ما صنع بهم ويظن أنهم قتلوا في ذلك الحين (. . .) عاش الطفل في المعبد ولم يسمح له بالخروج منه وأريد به ان يكون كاهناً من طبقة الكهان فمن الخطر على نظام الكنيسة وحكم السلطان ان يترك اطفال الفقراء الأذكياء بدون رقابة خوف ان يثيروا العامة ويلهبونهم بأسواط النقد فيثوروا ، فان ثقفوا ثقافة كهنية عادوا أنصاراً للآلهة الصخرية ولطبقة الملوك والحكام وكبار ذوي النفوذ « (٥٩) . ويشب يونس عن الطوق في المعبد الكبير كما أراد الكهان ، ويمر في مشاكل نفسية ، فهو يكره العلوم التي يدرسها له القاضي الأكبر ، بل يكره الكهنة وحياتهم المنعزلة عن حيز المعرفة ، وعن تفهم الشعب الذي يقودونه الى حجر أصم « لماذا لا يسجد فلاحو القرية

لأبي وعمي (...) لا يعرف بعد الى اي اله يتجه ولأبي اله ينادي
فكل آلهة المدينة صماء اذ انها نحتت من صخر كأجسادها » (٦٠) . ويهرب
يونس من المعبد الكبير ، ويهيم على وجهه في البراري ، ويحاول الوصول
الى معرفة الحقيقة . وعند شاطئ النهر يخرج اليه (الاله الاصم) .
الذي ألقى في النهر في موكب حافل ، ليوفر الخصب والخير لأهل بابل .
ويطلب اليه يونس ان يحوله الى رجل شرير ، ظناً منه ان الشر يقوده
الى المعرفة ، بعد ان عجز الخير عن ذلك ، فيجيبه الاله الى طلبه . ويضرب
يونس في الارض ، حتى يصل مدينة تابعة لبابل ، ويلتقي هناك بفيلسوف
يحاول أن يكشف له سر الحياة ، ويستطيع يونس بواسطة (مرآة المعرفة)
التي يمتلكها الفيلسوف ، أن يكتشف خبايا الناس وأسرارهم ، وما
يضمرون من شر بعضهم للبعض الآخر . ويجد ان اسوأ الناس نفساً
في المدينة هم كهنتها وقادتها وملوكها . ويحب يونس زوجة الفيلسوف
بعد ان يكتشف بواسطة المرأة أنها الوحيدة التي تحمل نفساً طيبة في
طبقتها ، وينعم معها بالحياة . وبعد ان يقتل الشعب الفيلسوف ، بتحريض
من الكهنة لانه لا يؤمن بالآلهة الصخرية ، يفاجأ بأنها تفضل عليه الملك
والشهرة ، فيسأم الناس ويترك بابل الى جزيرة نائية (جزيرة قبرص)
وينصرف في منفا الى الدرس والبحث للتوصل الى سر الحياة . ولكن
المرض لم يمهل طويلاً ، فيموت مسلولاً .

وقد تأثر المؤلف بالأدب الشعبي ، ويبدو ذلك واضحاً في اكتشاف
مرآة المعرفة ، التي تستطيع الكشف عن خبايا النفوس . ويونس رب
فلسفة ، وصاحب رسالة جادة حزينة ، يؤديها كما يؤديها كبار المصلحين

ويعرض المؤلف الفكرة التي تدعو للمحبة بين الناس ، في اطار التطور القصصي للكاتب . ففي الفصول الاولى يظهر يونس الصبي ثائراً ناقماً على المستغلين من كهنة وملوك ، يتحداهم بصلابة الرجال وبراعة الاطفال ، وعندما يقاد الى المعبد الكبير خشية من ذكائه المفرط ، يتأكد له اعتقاده بفساد هذه الطبقة (طبقة الكهنة) وجشعها ، فيترك بابل الى مدينة أخرى لعله يجد فيها ملاذاً لنفسه القلقة وفي البلد الجديد يرى طبقات جديدة ، لا تقوم على الكفاءة والعلم والمعرفة والفضل ، وانما تقوم على أساس المادة والمال ويبشر يونس برسالاته في عالمه الجديد وبمساعدة أستاذه الفيلسوف ، ولكن الكهنة تقف لهما بالمرصاد ، فيهرب من بطشهم ويلقى الفيلسوف حتفه على ايديهم وهو سعيد ، لأنه يموت من اجل رسالته « ولما سألهم لماذا ترجموني ؟ قالوا : وكيف تقول هذا ؟ نحن لا نرضى أن نرى انفسنا مساوين لحاكمينا ، نحن نريد ان نكون عبيداً ونحن يجب ان نسجد للحجارة ونحن يجب ان نحج للنخيل التي لا عقول لها ، انك لن تخلد ، ان فلسفتك هي التي تفسد العقول وهي تقطع ارزاق الكهنة وهي التي تخلص الى عقول البسطاء فيتركون مزارعهم وطواحينهم ومعاصرهم ومراعيتهم ويشورون فيهدمون المعابد وينهبون الذهب ، انك ملحد ايها الفيلسوف . . » (٦١) وعندما يعتزل يونس في جزيرته النائية ، يائساً من يقظة الشعب ، تكون تعاليم استاذ الفيلسوف قد نفذت الى عقولهم وقلوبهم وبدأوا يتحركون ضد مستغليهم .

ولسلوم فنية واضحة في العرض ، فهو يتفنن في التقاط الزاوية التي يدخل منها الى الرواية ويبدأ بوصف المكان ، والتقاط لحظة مأزومة

(وصف احتفالات العيد والسجود للآلهة ورفض يونس السجود لها) ، ولكنه لا يفتح الكوة مرة واحدة . انه يطلق خيوط الرواية خيطاً خيطاً ، لكنه يحتفظ بالخيط الذي يحل كل عقدها في يده ، وتتابع الرواية ، وقفاً بعد موقف ، فيما يشبه الصور المتتالية ، والمؤلف يعرف كيف يسوق روايته في تشويق وملح وإحكام بنيان الى النهاية . ويعتمد بناؤه القصصي على التطور الخارجي الذي يجمع الحوادث والشخصيات في اطار مبسط ، يقوم على عاطفة الحب للناس والمعرفة ، وكره المكتب القديمة والمكهنة ، بالاضافة الى تطور داخلي نفسي ، ينتج عنه التطور الخارجي للشخصيات وهو تطور متأثر بالحبكة المسرحية (٦٢) ويتستر وراء قيم بعيدة دقيقة مبتكرة ، لا تكتفي بالشائع المعروف ، بل كثيراً ما تعارضه (٦٣) ، وتسعى الى تصوير الحياة بتعقيدها وبمعانيها المركبة : « وارتجف يونس رهباً ، وعلم ان مدرس الفضيلة - يقصد الكاهن الاعظم - يخون صديقه - المخلص - الملك - في أهله ، ويكاد يونس يبكي وكاد ان يرفع المرأة - مرآة المعرفة - ليعظمها ولكنه انتظر ليرى نهاية قصة والده - الكاهن الاعظم - المتعفف المتنزّه التقى الصالح كما دعاه البابليون » (٦٤) . وتكتسب الشخصيات عنده درجة أقوى من الحياة حين تحمل نزعاتها الطارئة في اطار عواطفها وتحت تأثير الظروف الخارجية فتبرز آمالها وآلامها

(٦٢) للمؤلف عدة مسرحيات ناجحة سنأتي على ذكرها في الباب الثاني من هذا البحث ، وهي - اسكندر ذو القرنين - حين ينخسف القمر .

- سيرة غير تاريخية - أحلام يقظة .

(٦٣) انظر الفقرات المارة الذكر التي انتزعناها من الرواية .

(٦٤) المصدر السابق ص ٥٠ .

فيصبح يونس في وجه الحكام والكهنة بعد ان يكتشف دخائل أنفسهم وبمساعدة المرأة « سأعرفكم على ذات أنفسكم لأريكم ان الذين يحكمون على الأبرياء بالموت والسجن هم أنفسهم ليسوا بخير منهم » (٦٥) . وشخصياته وليدة الطبيعة التي تعيش فيها ، فهي تتأثر بها وتستجيب لها ، ولكن تبرز ذواتها خلال اللون العام ، فتبرز الشخصية مستقلة واضحة المعالم ، وبواعث سلوكها مبسطة في وضوح ، أما الحوار فلا يعرض عرضاً وصفاً تركيبياً ، وانما هو لون كامن وراء الصورة ، يحس بوجوده ولا يقف في طريق حركة الرواية ، وانما يكمن وراءها ليعطيها لونها العام . ولذلك يخضع الحوار خضوعاً تاماً للحركة النفسية والمادية في الرواية ، فهو وسيلة للمعرض والتحليل والتصوير ، واكتساب الحوادث أبعاد الحياة النابضة .

بقيت الفكرة والفلسفة التي تبرز من وراء الرواية ، ف وراء العوامل الاجتماعية والاقتصادية التي تدير المجتمع الخاص ، عوامل انسانية عامة ، وقيم نفسية وخلقية تدير البشرية منذ وجدت ، تبرز في القصة الطبيعية لم تفرض عليها فرضاً .

أما رواية بهنام وديع (الايام العمياء والناس الحمقى) ١٩٦١ ، فتصور لنا المجتمع العراقي - الموصل - ابان الحرب العالمية الاولى ، وتقدم لنا اشخاصاً لهم وجودهم الحقيقي في ذلك المجتمع مثل (القواس وحماته) ، وتجعل كل شيء خاصاً ونسبياً وتاريخياً « وارتباط الرواية بفترة ما ، يحط من قيمتها الفنية ، ويفقدها صفة العالمية ، في حين انه يتيح لكتابها ايراد التفاصيل المعاصرة التي تصرف خياله عن الابداع

الذي يقتضيه العمل الفني» (٦٦) ، وكان همّ المؤلف أن يجمع المعلومات الصحيحة المثبتة ، والاحصاءات الدقيقة ، فخرجت الرواية من بين يديه ، وكأنها عرض مجرد للمجتمع فلم يكن عمله عمل الفنان الخالق ، وإنما عمل المقرر الذي يحاول وصف المجتمع ، وتوضيح جوانبه المختلفة ، وإعطاء فكرته الخاصة في تلك الفترة من الزمن . وقد اضطرته الامانة التاريخية الى أن يتطرق الى بعض التفاصيل التي تعوق السياق ، وتفسد التسلسل القصصي (٦٧) ، وحديثه عن اسباب قيام الحرب العالمية الاولى - وصف هذه الحرب في صحراء سيناء - ، ووصف ما ارتكبه الاتراك من مجازر في منطقة الشرق الاوسط ، - وصف المؤتمر الصهيوني المعقود في مدينة (بال) في سويسرة عام ١٨٩٧ ، والمجاعة التي حدثت في الموصل عام ١٩١٧ - وكثيراً ما يتدخل الكاتب لربط الشتات المبعثرة بين سرده التاريخي وبين أحداث روايته بقوله « عشرون سنة كاملة مرت على هذه الحوادث وهانحن الآن في سنة ١٩١٤ ، وفي الفصل الاول تركنا المحترم المنصور ، لا يخفى على القارئ اللبيب ، تصور عزيزي القارئ (٦٨) ولم يكن تعرضه للمحب من اجل كتابة رواية عاطفية ، بل كانت غايته التي رمى اليها تهذيبية في المقام الاول ، اذ يظهر في أسلوبه الهدف التعليمي واضحاً « الحلم من شيم النفوس الكبيرة والعفو عند المقدرة فضيلة يسبغها الله نعمة على نفوس اتقياء القلوب والذين هم كالزجاج

(٦٦) محمد يوسف نجم (القصة في الادب العربي الحديث) .

(٦٧) الابام العمياء والناس الحمقى ١٢٩ - ١٣٦ ، ١٢٩ - ١٤٤ ، ١٦٨ -

١٧٢ ، ١٩٣ - ١٩٥ ، ١٩٨ - ١٩٩ على التوالي .

(٦٨) المصدر السابق ٨١ ، ١٨٦ ، ٧٨ وكذلك ١٦٤ ، ٢١٢ .

الصقيل فتخترقه النعمة وتملأ قلوبهم رحمة موقدة فيها نيران حب يتغلغل في السويداء ليغدو منبعاً لا ينضب معينه أبداً يتدفق رحمة وحباً ليبين للآخرين ان المشاعر الانسانية لا يمكن ان تمحي من قلب بني آدم لانه خليفة الاله وروحه المتفوضة فيه منبثقة من منابع الرحمة الازلية والحب الكامل وأنها تحمل بين طياتها نسماتها المباركة وأريجها المعطر» (٦٩) .

ومنهج المؤلف في هذه الرواية طبيعي في التحليل والتصوير ، يمثل مقومات الشخصية المحلية ، ويسعى نحو قيمة انسانية ، فهو يدرس الانسان المحلي وراء قناع التاريخ ، وفي فترة عصيبة من تاريخ العراق الحديث ، ليستطيع ان يكشف في خضم هذه الظروف أغوار نفسه ، وفي فن يتسم بالطبيعية والتحليل واتخاذ نماذج متباينة للانسان العراقي منها ما يمثل الخير المطلق (ناصيف ، أبو فريد ، نجمة) ومنها ما يمثل الشر المطلق بأشكاله المختلفة مثل (منصور) الذي يمثل رجل الدين الجشع البخيل ، الذي يستر آثامه وراء مسرح الدين ، و (أبي جورج) السكير العربيذ الأناني ، الذي لا يتوانى عن سرقة صناديق الموتى ، ليعود فيبيعها من جديد و (الغواس) الذي لا يتوانى عن قتل الاطفال وبيع لحومهم اثناء المجاعة التي حلت في الموصل عام ١٩١٧ ، وشخصيته حقيقية لا أثر للخيال فيها ، و (رحيم) اليهودي الذي يقترف جميع الآثام ، ويتجسس لحساب الانجليز في سبيل انشاء وطن قومي لليهود و (حفار القبور) الذي يسرق الموتى بعد دفنهم ، ويبيع أكفانهم والصناديق التي يوضعون فيها بمساعدة ابنه (منحوس) المشوه الذي يحقد على العالم أجمع ، بسبب احتقار الناس وخوفهم منه ، لقبحه الشديد المخيف . وقد استعار له

الكاتب صورة (أحدب نوتردام) لفكتور هيجو (وكان رأسه شيئاً بالغ التشويه، غابة من الشعر الأسود كسواد الفار وفتحتان صغيرتان هما العينان وشق يمتد من اذن الى أخرى هو الفم . . . فيظهر تقوس العمود الفقري و بروز الصدر واختلاطه مع البطن ينتهي برجلين ضخمتين بالغتي التقوس تنتهي كل منهما بقدم شديد التقوس بارز العظام في نهايته سبعة اصابع متساوية الطول كأصابع الضبع ، وبجمل القول كان . . . الأحدب شيئاً قريباً من الانسان ولكنه ليس بالانسان» (٧٠) وكما كان أحدب نوتردام يعيش متنقلاً في ارجاء الكنيسة الكبيرة ، كذلك كان (منحوس) ، فهو يقضي طوال وقته في مقبرة الكنيسة . « وبمرور الزمن تعود هذا البائس المسكين ألا يرى في العالم شيئاً وراء ساحة المقبرة التي تأويه الشطر الأكبر من النهار (. . .) فكنت تراه يجر قدميه بسرعة عجيبة بينها ويقفز بخفة الفهود ومهارة القروود من قبر الى آخر ووجهه مضاء بابتسامة بلهاء» (٧١) .

وروايته مفعمة باللمحظات والعواطف المواتية ، وهو يحاول دوماً النفوذ الى هواجس النفس المتقلبة ، والى نجواها في الاغوار . ولكن فنه يعتمد على دراسة الحياة المباشرة بتمعنهما بالدرجة الأولى (٧٢) . وتدور أحداث الرواية في مدينة الموصل ، قبيل الحرب العالمية الأولى ، وتقع في حي - الميدان « - وقد انتزع شخصياتها من النماذج البشرية التي تعايش

(٧٠) المصدر السابق ص ٣٤ .

(٧١) المصدر السابق ص ٩٥ - ٩٦ .

(٧٢) المصدر السابق يصور المجتمع تصويراً دقيقاً : ٩٥ ، ٩٦ - ١٠٦ .

١٠٧ ، ٨٦ ، ٣٢ - ٢٧ ، ٥٤ - ٥٦ ، ٥٨ - ٦١ ، ٧٩ - ٨٦ ، ٧٧ - ٧٨ .

« الميدان حي المنصاري في الموصل .

ذلك الحي . (فمَنْصُور) خادِم الكَنيسة نَهْم شره ، يأكل دون ان يدفع ثمن ما يأكل الى (مطرود الغواس) ويخلصه ذلك من شراء اللحم من (ابي ابراهيم) ، فهو يفضل ان تعيش (نجمة) زوجة اخيه المرحوم (ناصيف) هلى كسرة من الخبز فقط ، لأنه مولى باكتناز المال ، وهو لا يريد طرد زوجة اخيه لأنها ترعى شؤونه ، ولا تكلفه مالا كثيراً ، ولكن مَنْصُور لا يتخلص هذه المرة من مطالبة (مطرود الغواس) بالدين الذي له عليه .

ويسعى المؤلف الى أن يحدثنا في فصول متفرقة عن كل شخصية من شخصيات روايته حديثاً مسهباً ، واعطائنا وصفاً خارجياً دقيقاً لها ، وكأنه يسعى الى كتابة طويغرافية لسكان هذا الحي ينثر لنا فصولاً عن (مَنْصُور - نجمة وزوجها ناصيف - مطرود الغواس - نجية وزوجها حفار القبور - منحوس ابن حفار القبور - رحيم الاسكافي - ابو جورج صانع التوابيت السكير الذي يسرق صناديق الموتى - أبو فريد منافسه في العمل والنسخة المعاكسة له في الشهامة والطيب وحسن الخلق - سلمى ابنة ابي جورج وفريد - وقد استعار لهما حباً شبيهاً بحب روميو وجوليت) .

كما عقد في الرواية فصولاً خاصة عن (أسباب قيام الحرب العالمية الأولى ، أحداث الحرب في الشرق الأوسط ، أحداث المجاعة في مدينة الموصل عام ١٩١٧) . بالإضافة الى تسجيله صور (فولكلورية) عن المجتمع العراقي آنذاك (أسلوب التربية ، لجوء الابوين الى الغيبيات ، اعتقاد الناس بوجود الشاطين والجان ، طريقة الخطبة ومراسيم الزواج واحتفالات الزواج ، التعميد ،

مراسيم الجنائز ودفن الموتى (٧٣) .

وبعد أن تتداخل الاحداث وتمشاك ، يتغلب الشر على الخير وتعلن الحرب ، وتبرز العناصر الشريرة في الرواية ، وكأنه يريدنا ان نحيا بعز وجاه ، وسط شرور الحرب ، فيتشارك (رحيم ، أبوجورج ، منحوس ، منصور ، مطرود) في تجارة القمح ويثرون ، بينما تموت العناصر الخيرة حزناً وجوعاً ، (ناصيف ، نجمة ، فريد ، أم فريد ، سلمى ، أم سلمى) ويقف القدر بالمرصاد للأشرار فيشي أبو جورج برحيم اليهودي ، ويساق الى السجن هو وابنه ، ويقبض على مطرود وحماته وهما يذبحان الاطفال ويصنعان من لحومهم طعاماً يبيعهان الى الجنود ، ويساق كل من منصور وأبي جورج ومنحوس الى السجن بتهمة التجارة غير المشروعة واحتكار المواد الغذائية .

ويسرق المؤلف روايته ضمن اطار الزمن وتسلسله ، وقد يلجأ الى سوق احداث وقعت في الماضي بأسلوب تقريرى سردي لا عن طريق التداعي والمونولوج كما فعل في الفصلين الثاني والثالث (٧٤) ، اللذين سرد فيهما حياة نجمة مع زوجها المرحوم ناصيف . وكل ما يلجأ اليه من فن ، انما هو في التقاط الرواية عند مطلعها ، في لحظة من لحظاتها . ويدخل عليها ليلقى القارئ لقاءً مباشراً في جوها وبين ابطالها . وهكذا بدأت عنده بمشهد معين ، ظهر فيه بعض الشخصوص في موقف معين ، وفي مكان وزمان معين ، وانطلقت الرواية بعد ذلك الموقف حتى

(٧٣) المصدر السابق : ٣٢ - ٣٧ ، ٥٤ - ٥٦ ، ٥٨ - ٦١ ، ٧٩ ، ٨٦

على التوالي .

(٧٤) المصدر السابق ص ٢٩ ، ٦٢ .

نهايتها (٧٥) وعند احتياجه العودة الى الماضي - كما ذكرنا قبل قليل - أو ايجاد التوقيت بين حدثين من احداث الرواية ، عند الجمع بين سير الحدث وذكر الاحداث التاريخية التي كثيراً ما يسردها سرداً أشبه بأسلوب المقال منه بأسلوب القصصي ، يلجأ الى السبيل الأسهل ، بتقسيم الفصول في الرواية حيث يتيح له ذلك باقامة ما يشاء من التواقت ان كان ثمة ضرورة له . يذهب مع الحدث الأول الى نهايته ويقف ، ثم يبدأ الفصل الذي يليه من مكان آخر او زمان بعيد يصله بالفصل السابق ، والقفزة في الزمان ليست مهمة لديه كما فعل بين الفصل الاول والثاني وبين الفصل الثالث والرابع (٧٦) ، كما لا تهتمه القفزة في المكان ، فمن مدينة الموصل الى صحراء سيناء وبالعكس ، ومن الموصل الى سيرا جوفو وبالعكس (٧٧) . ويمثل الرواية اشخاص مختلفون ، كل منهم رمز لنموذج انساني ، أو لمشكلة خلقية ، أو لقضية اجتماعية ، وتغدو الرواية في بعض فصولها مقالة اجتماعية ، يبيح الكاتب لنفسه فيها نقد بعض العادات والاخلاق والتحدث عن احداث المجتمع ، ومعالجة

(٧٥) وهو المشهد الذي فتح فيه (ابو ابراهيم) دكانه لبيع اللحم لربائمه عندما مر منصور يريد شراء اللحم ولكنه عدل عن الشراء لارتفاع سعر اللحم وفضل ان يأكل (باجه) - وهي اكلة عراقية شعبية - عند مطرود الغواس الذي طالبه بالدين الذي عليه وتردد منصور في ذلك واستعمل معه مطرود اساليب شتى حتى الجأ الى التهديد . والزمان بين الخيط الابيض من الخيط الاسود بانبلاج الصباح ، ص ٤ قبيل الحرب العالمية الاولى . والمكان : الموصل حي الميدان .

(٧٦) المصدر السابق ص ٢٩ - ٦٢ .

(٧٧) المصدر السابق ١٢٧ - ١٣٢ ، ١٣٨ - ١٤٥ ، ١٦٨ - ١٧٢ .

للقضايا العامة ولا يهمه بعد ذلك تسلسل السرد بقدر ما تهمله تجلية افكاره وآرائه (٧٨) .

ويغفر للمؤلف هناته هذه عندنا ، أنه كان بارعاً في كثير من الأحيان في جمع الافكار والاحداث ، وقيادتها لتؤدي ما يريد من جو تاريخي ومن قصص . ان تشتت الاخبار والحوادث من جهة ، وتنوع الشخصيات من مبتكرة وتاريخية ، لم يمنعه من النجاح ، لأنه تنبه بحاسته الفنية الى أثر اللقطات الجانبية والمناظر الاضافية في اثناء الرواية اكسبها عمقاً . وبالرغم من انه لم يصطنعها كثيراً ، فانه كان يعرف حين يصطنعها كيف يعطي الرواية كثيراً من الحياة والارهاف . وقد أراد ان يعكس حقد (منحوسر) على العالم فأدخله عالم المقابر ، وجعله يرقص فوق القبور رقصات جنونية ، ويصيح في الميت الذي اوري التراب « ويحك أتهين مليكك يا كلب بني آدم . . سأنزل عليك صواعق غضي سأضحك عليك حينما أراهم يخرجونك الى الخارج لينزعوا عنك اكفانك ويبيعونها بثمان صغير الى بائع العتق ناحوم ومن ثم يقلعون لك اسنانك السليمة لتمتد اليها يد طبيب الاسنان ابن رحيم الاسكافي هذا الشاب المتأنق . . » (٧٩) . ويريد المؤلف ان يعكس أثر التربية القديمة السيئة ، حيث كان الأبوان يخوفان أولادهما بالشياطين ، فيجعل الصغيرة نجمة تتحدث عن رؤيتها للشياطين في ليلة مقمرة « وتلفظات الصغيرة بصوت متدهج وشفيتين مرتجفتين وقلب وجيب . . طول أطولهم لا يتعدى

(٧٨) المصدر السابق ص ١٢٩ - ١٣٦ ، ١٣٩ - ١٤٤ ، ١٦٨ - ١٧٢ ، ١٩٣ -

١٩٥ ، ١٦٨ - ١٧٢ .

(٧٩) المصدر السابق ص ٩٥ - ٩٦ .

الشبر وعرضه بطول خنصر اليد غير أنهم سريعو الحركة . . فقد رأيت جماعة كبيرة يعلمو أحدهم رقبة الآخر . حتى غدو أشبه بعملاق يشبه العمود طولاً ولا يتعدى ساعد اليد عرضاً » (٨٠) .

ولم يوفق الكاتب في النهاية لأنه قطعها قطعاً متعجلاً ولجأ الى حل سريع اقتضته ضرورة الاختصار ، وهو انتهاء الشخصيات الشريرة الى السجن ، وانتهاء الشخصيات الخيرة الى الموت جوعاً بسبب المجاعة . ونسجل للمؤلف نجاحه في تصوير الجوالقاريخي ، ورسم البيئة الاجتماعية ، وخاصة الصور الفولكلورية التي سجلها لبعض العادات والاحتفالات المتبعة في العراق آنذاك ، والتي لا زالت تتبع الى الآن (وادى اقتراب موكب العريس اقفل باب العروس حسب العادة فبقى اصحاب العريس في الخارج يطرقون الباب بشدة حتى كادوا ان يحطموا الواحه وهم يصيحون :

- افتحوا الباب فيرد عليهم الخواجه - والد العروس من ورائه :

- ما نفتحه وازدادت الطرقات وكيلت الرقصات حتى اذا

ما قعبت الأيدي وقد قاربت التمثيلية على نهايتها خاطب المحترم منصور (أخ العريس) الخواجه عبد الكريم قائلاً :

- خواجه عبد الكريم هلا فتحت الباب لقد قدمنا لأخذ محروستك .

وسمع صوت المزلاج واذا بالباب يفتح على مصراعيه ويظهر الخواجه

تعلو محياه ابتسامة محبة مرحباً بالقوم .

واندفع القوم داخل البيت وازداد الضجيج والصخب وعلا صوت

(النقارة «) والدف وكادت اوتار العود تتقطع تحت ضربات أبي

خليل وقد هلت اصوات الشوباشي والفردحافات («) (٨١) .
كما نجح في جعل الفكرة العامة والوحدة الفنية معنى انسانياً عاماً
وبذلك تحرك فنه من المحلية الى الانسانية ، وبرزاللون الشخصي في قصته ،
من تحليل لصور نفسية ، وحوادث تاريخية ، تحليلاً حديثاً وراء علم
النفس وعلوم الاجتماع والتاريخ والسياسة والصور المحلية التي تحل
مؤخرة الضور ، وتوجه منها الكاتب الى بيان أثر العيوب الفردية في
الاحداث التاريخية الهامة ، ووراء الرواية فلسفة شخصية بدأت في التكون
في معاني التاريخ وحوادثه ، واخذت تنمو حتى وصلت الى هذه الفكرة
النهائية « أيهما اجدى على الانسانية الصراع في سبيل شهوة صراعاً قد
يؤدي الى الحرب والدمار أم الايمان برسالة المحبة التي يجب ان
تقوم عليها العلاقات بين الافراد ؟ » وقد اهتم المؤلف ببعض شخصياته ،
وخدمها خدمة صحيحة وتعمق في قراراتها واجاد في تحليلها ، وخير مثل
على ذلك (منحوس) الذي صور الدوافع الخلقية والنفسية والاجتماعية
التي ساعدت على تكوينه العدائي المائل الى الشر ضد الانسانية جمعاء .
كما اجاد في تصوير شخصيتي (منصور وابي جورج) فهي لا تعيش
وتتكلم فحسب ، بل تنمو وتتطور . وهي وليدة البيئة التي يعيشان فيها وهما
يتأثران بها ويستجيبان لها ، ولكن تبرز ذواتهم خلال اللون العام ،
فتبرز الشخصية واضحة المعالم ، وبواعث سلوكها مبسطة بوضوح .
والشخصيات شخصيات آلام وكوارث ، معظمها تحمل اقدارها الفاجعة
كخشبة الصلب على عوائقها ، وبالرغم من مرح بعضها كئيبة متجهة
تلفها جهامة الالم والجد واحدة واحدة . كأبطال أساطير الاغريق .

(٨١) المصدر السابق ص ٥٨ - ٦١ .

« اصوات يخرجهما اصدقاء العريس ابتهاجاً فرحاً .

وقد ساعد الحوار على تطور الموضوع ، وعبر عن انفعالات الشخصية في مواقفها المختلفة ، كما اتسم بالبساطة . فهو وسيلة للمعرض والتحليل ، واكساب الحوادث ابعاد الحياة النابضة ، وبذلك ساعد على تمثيل الحركة القصصية تمثيلاً حياً ، كما يمثل الحوار اللون العام لأسلوب الكاتب السهل فلا تألق فيه ولا تكلف وان كان لا يميل الى الدقة او العناية بالشكل فتشيع الاخطاء اللغوية في الحوار كما تشيع في أسلوبه السردي (٨٢) . وقد يمزج احياناً بين اللهجة المحلية واللغة الفصحى (٨٣) . فتدخل ناحوم محاولاً تهـدئة أبي ابراهيم - اتفل على الشيطان يا اسطى ابراهيم الدنى ما تسوا افدا لك الخوجة رحيم رجل طيب فهو لم يتقاض منك ماتقاضى الا لايماناه بمساواة المعاملة انه رجل صريح لا يخفى باطنه عن ظاهره الكل امامه سواسية الصديق والعدو الداني والقاصي (٨٤) كما يكثر من استخدام الامثال المحلية بعد صوغها بالفصحى في الحوار (٨٥) . فأكمل ابو جورج كلامه - سمعت المحترم مرة يقول من حافظ على البارة حافظت المجيدة على نفسها ومن بذر البارة حكم على المجيدة بالبوار .

اما أسلوبه فتقريرى بسيط غير ايجائى فهو لا يترك للمقارىء ما يكتشفه بنفسه بل يقول كل شىء باسمه ، وهو لا يأبه لتجميله

(٨٢) أخطاؤه كثيرة ولا تكاد صفحة واحدة تخلو منها ولعل السبب يرجع الى عملية الطبع .

(٨٣) المصدر السابق ص ٦٧ ، ١٥١ ، ١٨٢ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٧ .

(٨٤) المصدر السابق ص ٨٥ .

(٨٥) المصدر السابق ص ٦٧ ، ١٥١ ، ١٨٢ ، ١٩٢ ، ٢٠٧ .

او زخرفته وحسبه منه ان يعبر عما يريده المؤلف ، ولم يكن اسلوبها قوياً فنيا بل ضعيفاً غير محبوبك الجمل والعبارات ركيكا (٨٦) تشيع فيه الاخطاء اللغويه وتجييء عبارات عامية في السرد (٨٧) أحياناً ، «بانتصاف الليل ازداد الضجيج وعلا صوت الصراخ وقد اشتدت عريدة المعربين وامتزج الغناء بزغردة المزغردين وصوت النقارة والدف والعود مع هذيان السكرى وثرثرتهم وتصفيق المنشعين ، والحق يقال لم يبق بين القوم صاحب فقد لعبت بنت الحان الساحرة بالرؤوس فأدارتها وبالعقول فخمرتها وبالنفوس فحورتها والأجساد فأظلماتها لتزيد للحاحاً طلباً الى المزيد من المدام دونما ارتواء» (٨٨) كما اكثر من استعمال الصفات : المحترم ، السارق الجشع ، مكشر الانياب كحمار خائر ، حماته الشريرة ، البالغ ادنى غايته من الاسفاف والانحطاط (٨٩) ، واستخدم التشبيهات غير المناسبة : ويزعق كنبيح كلب ، وهديره كقوقعة (٩٠) وقد يميل الى الاسلوب الخطابي في المواقف (٩١) التعليمية التي يقف فيها المؤلف وراء الشخصية يزجي بواسطتها النصائح والارشادات الى القارئ .

(٨٦) المصدر السابق ١٥٩ ، ١٧٨ ، ٥٧ .

(٨٧) المصدر السابق ٥٧ .

(٨٨) المصدر السابق ١٠ ، ١١ ، ٣٩ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٨٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ .

(٨٩) المصدر السابق ٧٣ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ١٢٨ .

(٩٠) المصدر السابق ٨٥ ، ١١٨ ، ١٢ .

الرواية الشعبية

ويظهر الأدب الشعبي في بعض الروايات العراقية الحديثة مثل رواية (في قرى الجن) ١٩٤٤ لجعفر الخليلي ورواية (رجل الاسوار) ١٩٤٨ لمبد الكريم عباس ، ورواية (شيخ القيلة) لحمدى على و (ابن الناطور) ١٩٣٠ لفهمي مصطفى .

وقد جعل الادب الشعبي للمعشوق بين الجن والانس سبيلا ، فما من اكثر مايحب رجال الجن نساء الانس ورجال الانس نساء الجن ، وربما احب الانسان جنية ، وتجشم في سببها! الاهوال ، كما نرى في قصة حسن البصري ، من قصص الف ليلة وليلة . وما اكثر ماكان العرب القدماء يتحدثون عن اولئك الجن الذين كانوا يتصلون بالكهان من رجال الانس ونسائهم ، ويتحدثون اليهم بأنباء الغيب . ومنذ عرف الناس في الديانات السماوية امر الشيطان ، وما كان من معصيته لله ، وطرده من جنته ، تأثروا بهذا الشيطان في آدابهم وفنونهم على اختلافها(١).

وقد تأثر جعفر الخليلي في روايته (في قرى الجن) بكل ذلك ، واستعار لها جواً غير واقعي تتحرك فيه شخصيات كأجواء الف ليلة وليلة ، حيث تعج بالسكر والبخور والدرأيش والعفريت الذي يصيح

(١) سمير قلماوي (ألف ليلة وليلة) ص ١٣٧ .

(لبيك لبيك) . وقد امكن الكتاب فيها في الحديث عن نقائص الحياة الحاضرة ، وحاول ان يرسم مثلاً أعلى للحياة في السياسة والعمل والحب والقضاء ، وكأنه يتحدث عن مدينة فاضلة يصورها في قري الجن (٢) .

وتدور عقدة الرواية حول حب الجنية لانسي وخطفه ليلة زفافه ، وهو موضوع يتكرر في الليالي كثريراً في قصة التاجر والعفريت (٣) . « فلما استيقظت زوجتي انتفضت فصارت عفريتة فحملتني وأطلعتني على جزيرة . . . » (٤) ، وفي قصة انس الوجود وحبيبته (٥) . وكانت من جن الصين وقد احبت انساناً وخافت على نفسها وعليه من اهلها ٠٠٠٠ (٦) ، وقد تكرر في الف ليلة وليلة خطف العفريت للانسية في ليلة زفافها ، ففي الصفحات الأولى منها جاء « فلما نظر اليها الجنني قال : يا سيدة الحرائر التي اختطفتها ليلة عرسها أريد ان انام قليلاً » (٧) وفي حكاية الحمال والسبع بنات ، وقصة الصعلوك الثاني (٨) وحكاية هارون الرشيد والكسلان (٩) ، وفي حكاية سيف الملوك وبديعة الجمال (١٠) .

(٢) انظر جميل سعيد (المصدر السابق) ص ٤٧ .

(٣) - الف ليلة وليلة الجزء الأول ص ٣٠ - ٣٢ طبعة دارالاهلال .

(٤) المصدر السابق ص ٣١ .

(٥) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٢٤ - ٢٤٦ .

(٦) المصدر السابق ص ٢٤٢ .

(٧) المصدر السابق ج ١ ص ١٧ .

(٨) المصدر السابق ج ١ ص ٨٣ - ٨٧ ، ٩٢ - ٩٣ .

(٩) المصدر السابق ج ٣ ص ١٥٠ .

(١٠) المصدر السابق ج ٥ ص ١٤١ .

وتعد هذه الرواية وثيقة احتجاج أدبية على نظام حكم فاسد ، يعيشه مجتمع مطعون لمجموعة من الحكام البعيدين عن احلامه وأمانيه ، وقد استعار المؤلف الجو من الف ليلة وليلة ، ليتخلص من بطش الحكام وعقابهم ، ف وراء البناء القصصي (في قرى الجن) نقد ودعاية وعرض لمشاكل العصر الانسانية من ناحية ولجميع مظاهر الحياة في العراق من ناحية اخرى مقارناً ايها بما هو شائع ومتبع في قرى الجن ، وقد خلق المؤلف من هذه القرى مدينة فاضلة ، وضع لها اسما كما فعل افلاطون في الجمهورية وتوماس مور في (اليتوبيا) .

ومن ناحية أخرى جعل موضوعه قصة اسطورية ذات مجال يتسع للمخوارق والرمز ، فبنيت (الملك الأزرق) ملك الجن تخطف (طاهر السامي) ليلة زفافه لتزويجه ، بعد ان هامت به حباً لملاحته وقوته . ويستطيع صديقه (كريم الغرباوي) ان يسخر الجن بعد فشل ام طاهر ، ومساعدة (الملا مهدي) ويصبح العفريت (مروان) خادماً له ، حتى يميته من كثرة طلباته . ويستطيع الغرباوي بمساعدة صديقه وخادمه مروان الحصول على الخاتم المسحور ، والنظارة السحرية والقلم السحري ، ثم ينتقل الى عالم الجن على ظهر عفريت ، وفي هذا العالم السحري ينقلب الى نملة ثم الى كلب حتى يعود الى صورته الطبيعية ، ويعيش سعيداً مع سكان العالم السفلي (١١) .

(١١) الخليلي (في قرى الجن) ص ٧٢ - ٧٧ ، ٨٠ - ٨١ ، ٩٨ - ٩٩ ، ١٧٨

١٨٩ ، ١٢٢ ، ١٧٥ ، ١٥٤ - ١٦٠ ، ١٧٢ ، ١٠ ، ١٠٤ ، ١٢٥ - ١٢٧ ، ١٣٨ - ١٤٦ ، ١٥١ - ١٥٢ .

ولا يكتفي المؤلف بهذه الصورة العامة المنتشرة في الف ليلة ، بل يلجأ الى نقل موقف كامل ليضعه صلب روايته « . . . وانتصف الليل وبأشرت ام طاهر عملها . . . ثم تكاثف الدخان وسط سماء الغرفة حتى كان في حجم اشبه بالقمقم او الجرة وما كادت توالى القراءة حتى انفجر هذا القمقم المملق في السقف ، فخرج منه ديك كبير اسود اللون واسع العينين . . . وانشق على اثرها سقف الغرفة ، وخرجت منه افعى ذات ستة قرون واربعة عيون وهي في سمك قد يزيد على سمك الشجرة المتوسطة من اشجار التوت ، ولها فحيح مرعب ، وقد اندلعت النار من فيها . . . واذا بيد غريبة مرئية تحمل ام طاهر من محلها ، وترفعها الى سقف الغرفة ، وتلقي بها من هناك محاولة اخراجها من الخطة » (١٢) . وجاء في الف ليلة وليلة « ثم ان بنت الملك اخذت بيدها سكيناً مكتوباً عليها اسماء عبرانية وخطت بها دائرة في وسط القمر وكتبت فيها اسماء وطلاسم وعزمت بكلام لا يفهم تماماً كما فعلت ام طاهر في قرى الجن - وبعد ساعة اظلمت علينا جمادات القصر حتى ظننا ان الدنيا انطبقت علينا واذا بالعفريت قد تدلى علينا في اقبح صفة (. . .) ثم انقلب اسد وفتح فاه وهجم على الصبية (. . .) فصار راسه عقربة (. . .) ثم انقلب عقاباً » (١٣) . وتتكرر امثال هذه المواقف المستعارة من الف ليلة (١٤) .

(١٢) في قرى الجن .

(١٣) الف ليلة وليلة ج ١ ص ٩٢ - ٩٣ ،

(١٤) في قرى الجن : ١٦ - ١٧ ، ٢٥ - ٢٨ ، ٣١ - ٣٤ ، ٤٠ - ٤١ ، ٤٢ -

٤٦ ، ٤٥ - ٥٤ ، ٨٠ ، ١٤٦ - ١٤٧ ، ١٤٨ - ١٥٣ .

ووراء كل ذلك رسالة الكاتب الأدبية في ابراز ما في القصص الشعبي من ممكنات قصصية ، تتكيف مع مقومات العصر وتياراته الفكرية المختلفة ، ولا تقف هذه الممكنات عند حد المستوى القومي المحلي ، وانما ترمي الى بلوغ المستوى الانساني الرفيع بما لها من رسالة انسانية ، ووراءها رسالة الكاتب السياسية العامة التي تعكس مجال الحرب العالمية الثانية ، ووراءها رسالة الكاتب الاجتماعية ، من حيث معنى الخير والشر ، ومشكلات السياسة والحرب ومعنى الديمقراطية ونظام الطبقات والحقوق الدستورية . وقد تفاعلت هذه العوامل مع مقومات فن الكاتب العامة الاولى من نزعة للعناية بالعرض اللغوي الجمالي الذي تكثر فيه المترادفات اللفظية والمعنوية والتصوير الحسي للمعنويات .

وعمد الكاتب الى استعمال طريقتين في السرد : اولاهما طريقة السرد المباشر والثانية طريقة الوثائق او الرسائل المتبادلة . وتميزت الطريقة الاولى بالحركة والتشويق . فالرواية حلقات متتابعة من الحوادث والاخبار المشوقة ، التي تستأثر بلب القارئ بما ساقه من غرائب عالم الجن ، في حين انعدمت الحركة في الطريقة الثانية ، وحل محلها سرد تقريرى تناول اراء المؤلف الخاصة في الاصلاح والتهديب كما ذكرنا سابقاً . والأسلوب السردى هو احسن ما يستطاع من اساليب ادبية مع الرمز ، فالراوي في الرواية يمنع القارئ من ان يتمثل نفسه في شخصياتها ويباعد بينه وبين الحديث مما يجعل ملكة النقد مستيقظة دائماً لدى القارئ ، بحيث ينفذ اليه الرمز مباشرة ويطفح على سطحه الواعي اثناء عملية القراءة ، وبذلك ينتقل القارئ من الظاهر الى

الباطن ، او من المستوى الحرفي للرواية الى المستوى الاستعماري بسهولة دون ان يفقد الرمز عمقه . ولو اتبع الخليلي اسلوباً غير الاسلوب السردى ما احتفظ بعمق الرمز ، ولما ظهر فيه المستوى الشخصي والمستوى السياسي والمستوى الميتافيزيقي ، ولما اتحدت المجالات الثلاث الانسانية - الشخصي والاجتماعي والتأملي - في رمز الرواية ، ولما تواصل الخليلي من خلالها مع التجربة الانسانية . وقد امتاز قلمه بالسخرية اللاذعة التي لم تكن تنبع من اصطدام شخصه ، وليست فكاهة مفارقات ، اي الفكاهة التي تنتج تلقائياً من عمليات اصطدام او مقارنة او تفاوت بين مواقف ووجهات نظر مختلفة ، بل هي فكاهة انتقادية مفكرة هادفة في تعمق طبائع الناس وتفهم الدوافع التي تدفعهم الى التصرف « وما اسرع ما وضع الشيخ كريم النظارة على عينيه - النظارة السحرية فألقى امه العجوز تجمع فضلات الطعام وما تبقى من الخبز لتقدمها للمسائل . . . وما كاد يلقي بنظرة عليه من وراء النظارة حتى وجده يحمل احد عشر مجيدياً فضياً ورأى من بعيد من وراء حجب الجدران احدى غرف الخان الذي يسكنه هذا الشحاذ وقد دفنت في زاويتها مئات من العملة الذهبية التركية وهنا وقف وقفه حائر ايهجم على هذا الشحاذ ويسلمه ما يحمل من دراهم ام يترث قليلاً ويرجى الأمر الى وقت آخر ، ثم رأى اخيراً ان من الافضل ان يؤجل الانتقام من هذا المشرى على حساب الاستعطاف والمروءة الى ساعة غير هذه الساعة وبدا له ان يستكشف من يراهم من هؤلاء الشحاذين الذين غصت بهم هذه المدينة وسائر المدن العراقية » (١٥) .

وتقوم روح الفكاهة فيها بوظيفة فنية ، فهي ترسم جزءاً هاماً من الروح العراقية ، يتمثل في حب المرح والدعابة ويستخدم الكاتب الفكاهة في انتقاد المجتمع انتقاداً لاذعاً ، لنواحي عديدة من مظاهر الحياة في العراق (١٦) . وهذه كلها نواح تفيد الرواية فنياً وتزيد من ربط القارئ بها .

والاسلوب في الرواية جميل متقن ويستعين الكاتب بالشعر في بعض الاحيان (١٧) مع اهتمام بتصوير البيئة والجو العام للمحادثات ، ويعتمد احياناً على الحوار لاهياء الشخصيات وبث النشاط في الحوادث .

وقد يحدد ملامح شخصياته وعلى الاخص شخصيتي (طاهر الساعي وكريم الغرباوي) واهتم بوصفها وصفاً خارجياً « الشيخ طاهر فني وحيد امه وابيه حباه الله بشيء غير قليل من الملاحه والوجاهة ورزقه قامة معتدلة واعضاء متناسبة » (١٨) ، كما اهتم بتحليل عواطفها ، وحاول تصوير الصراع الداخلي والحياة الداخلية لهما . وقد وفق في معالجة العواطف العنيفة التي ظهرت في حب (طاهر الساعي) للجنينة وتردده بين حياة الجن المثالية وشوقه لأسرته والصراع الذي وفق المؤلف في اظهاره عندما اشتاق (كريم الغرباوي) الى الاستقرار في عالم الجن ، واشفاقه على امه التي بقيت وحيدة من بعده ، وانفعالاته عندما حول في عالم الجن الى نملة ثم الى كلب .

(١٦) انظر صفحة ٦٩ ، ١٠٦ ، ١٧٥ .

(١٧) في قرى الجن ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(١٨) المصدر السابق ص ٥ .

أما الشخصيات الثانوية فقد لفت بالغموض واختفت آثارها من مسرح الرواية واطفى عليها سبل المعلومات التي يكتبها (طاهر الساعى) عن عالم الجن ، ملبياً رغبة صديقه المطلعة الذي يلحف بالسؤال عن كل شيء . ولولا ان هاتين الشخصيتين ترددان تلك الاسماء لما عرفنا لها وجوداً او شعرنا بأهميتها .

وقد يلجأ بعض المؤلفين الى خلق قوى غيبية تتدخل في كثير من المواقف تدخلا مباشراً ، وكأنه يرفع المؤلف بهذه القوى المشكلة من مجال المناقشة الى مجال المسلمات ، اذ تتمتع هذه القوى بنفوذ اكيد خطير يرتبط بالدين كما يرتبط بالمعجزة ، ومن هذه القوى الشخصيات الأسطورية (كالخضر) عليه السلام ، الذي تبدو شخصيته كالروح الخفية المسيطرة الذي تحمى ابناءها ، وتؤكد لهم النصر وتخرجهم من المأزق وهذا الدور الغيبي الذي تلعبه هذه القوى ، يرمز الى القوى العميقة التي تربط ابناء هذا الشعب وتسير مصائرهم نحو هدف مشترك واحد لا بد من اجل تحقيقه ان تصفو نفوسهم بعضهم لبعض وان يتآخوا أخوة الصداقة وأخوة الصلاح تلك الاخوة التي تجمع بينهم في كفاح مشترك يحقق لهم النصر ، بل يمكن ان نقول ان هذه القوى الغيبية برموزها المتعددة وحركاتها الخفية وراء الاحداث ثم اهميتها في سير الاحداث يمكننا ان نعتبرها رمزاً للاساس الفني الهام الذي تقوم عليه وحدة بين شعوب المنطقة ، اذ تشعر بوحدتها وارتباطها بنوع من العلاقة الخفية التي تعمل دون ان تظهر ظهوراً حقيقياً وانما تظهر آثارها دالة عليها (١٩) .

(١٩) فاروق خورشيد (اضاء على السير الشعبية) ص ١٠١ - ١٠٢ .

وقد اعتمد كاتب عراقي هو (عبد الكريم عباس) على هذه القوى في روايته (رجل الاسرار) ، التي يحدثننا فيها عن ذهاب بطل الرواية (عامر) عبر الصحراء الغربية في شمال افريقيا الى (معبد داود) وتعرفه على الكاهن الذي يثق بعامر ويريه عجائب الوجود وسيطرة الانسان على الشياطين والحيوانات ، وبعد ان يجتاز عامر الامتحان الذي يعقده له الكاهن بنجاح ، يهبه خاتماً يسيطر به على الشياطين ، وشمعة تنير له الحياة ويتغلب بواسطتها على صعاب الحياة (٢٠) « رأى ذلك الشيخ الهادي الوادع يسلط على الأفعى عينين فيهما من النفاذ ما لم يكن ينتظره عامر (. . .) فاذا بها تجمد في مكانها وكأنها اصابتها صاعقة والتفت الشيخ الى عامر قائلاً في صوت هامس : انها الحارس الامين لباب حجرة سليمان فما يستطيع ان يقترب من الحجرة انسان ما لم تكن لديه القوة التي تؤثر فيها (. . .) وقاده الى منضدة من المرمر وعليها لوحة من المرمر أيضاً وأشار الراهب الى كتابة عجيبة على سطحها وقال : هذا امر من سليمان عليه السلام وهذا ختمه في نهايته . . . ثم يقوده العفريت الذي يطير به الى مسافات شاسعة حتى يوصله الى (صومعة الصحراء) فاذا بالباب يفتح على مصراعيه وما ان يدخل حتى يسمع صوتاً قوياً خفياً يأمره بالتقدم وتعتقد له الاصوات اختبارات عديدة مفرزة يفوز بعد ان يجتازها بنجاح ، مر عامر خلال خمس وستين وثلاثمائة قاعة كانت تتشابه جميعها وكان يدخل كل قاعة بعد مشكلة ليخرج منها وفي اليوم الأخير انتهى الدهليز وظهر له نور النهار بهيجته وبهائه (. . .) وفي نهاية الصفيين رأى منبراً من الذهب يجلس

فوقه شيخ وقور (. . .) وسمع صوتاً يقول : تقدم يا عامر وحيى سيدنا الخضر (ع) الجالس على المنبر (٢١) وبعد ان يتحدّثا يقوم القوم للصلاة ويدعو سيدنا (الخضر) الى ربه المسلمين العرب دعاء طويلاً يستغرق أربع صفحات ويمكنك جنة (صومعة الصحراء) ، ويشاهد فيها من الأعاجيب ما يحبه اعاجيب الف ليلة ويطلعه (الخضر) على سر الحياة وكيف تنفصل الروح عن الجسد « ولقد تجزأت يا بني كما قلنا الى جزأين الروح والجسد بعد ان اشعلت قطعت الرق فجاءت روحك لصومعة الصحراء لكي تترى وتقوى وأما جسمك فيأتي في غرفة سليمان وقد نقله اليها كهنة معبد داود ولكي تشع عليه سحابة الغيب المقدسة من ينابيعها الالهية القوة والمقدرة » (٢٢) . ويستطيع عامر بفضل هذه القوة التي منحه اياها (سيدنا الخضر) ان يعالج المرضى المشرفين على الموت ويشفيهم .

ويسلمنا المؤلف من قصة الى قصة ، يسرد الاحداث ويسوق الانباء ، فمن العراق الى استنبول ومنها الى مصر ومن الازهر الى معبد داود ومن معبد داود الى صومعة الصحراء ومنها الى تونس ومنها الى الصحراء الكبرى ومنها الى مصر ثانية ، كل قصة تتشابه مع الاخرى ، فتشابهك مع حكايات المكر الذي يدبرها (زياد) ، والشجاعة التي يقوم بها (عامر) بمساعدة الجن من ناحية والرجال الصالحين من ناحية أخرى . والقاص الذي يقفز من حركة الى حركة ، ومن حادث الى حادث ومن موقف الى موقف دون استخراج للبواعث ويعمل

(٢١) المصدر السابق ص ١٠٩ - ١٤٢ .

(٢٢) المصدر السابق ١٣٦ - ١٣٧ .

التصرفات ، أقرب شياً بمن يسجل انباء موقعة يتخيل أبطالها في معترك فيعز من يشاء ويذل من يشاء ، وبذلك تخلو القصص من تلك المقومات التي تصلها بالاعراق الانسانية في حقائقها الثابتة وجوهرها الصميم (٢٣) .

والرواية مليئة بالحشو والاستطراد، فقد شرح المؤلف نظريات فلسفية ونظريات في التنويم المغناطيسي « ومن فلسفته ايضاً انه ليس للروح المقدرة على الظهور والقيام بفعل يؤثر على الجهاد فهي مجردة من المعاد والاعضاء وكان يتلقى هذا الامر بوصفه وسيطاً يجرده من ارادته بالتنويم المغناطيسي لتحل الروح المطلوبة في جسمه وتتكلم على لسانه . وفي بعض الاحايين كانت الارواح تظهر له دون وسيط فكان يعمل هذه الظاهرة بأن الكون ذرات حية نتيجة لتحلل اجسام الموتى من البشر والحيوان فمجال الروح المغناطيسي يجمع هذه الذرات فتظهر بها المادة ويكون ظهورها مصحوباً بهالة من النور، وذلك للتماثلات المغناطيسية الروحية مع الخلايا الحية . . . » ويتحدث حديثاً مسبباً عن كيفية تحريك اليد وما يحدث للعضلة من انكمـاش وانبساط ، وتأثير (السعال) الذي يسري عن طريق الاعصاب الى الدماغ (٢٤) . ولكنه لم يوفق في شيء من ذلك ، واصبح هدفه جذب القارئ ، والتأثير عليه . ويكاد المؤلف يخضع لنفس الصفات التي يصف بها الدكتور عبد الحميد يونس سيرة الظاهر بيبرس في قوله « وليس من اليسير أن تلخص هذه السيرة الشعبية كما تلخص بعض الحكايات

(٢٣) محمود تيمور (دراسات في القصة والمسرح) ص ٩٥ .

(٢٤) المصدر السابق ص ٦٣ .

والقصص والمسرحيات لأنها حلقات كثيرة فيها الوقائع والاحداث وتزدحم بالرجال والنساء وتتسع رقعة الارض التي كانت مسرحاً لما عجت به القصة من وقائع وحروب وهي تشبه الى حد كبير الروايات المسلسلة المعروفة في ايامنا : كالقصص البوليسي الذي لا تكاد تعرف له نهاية ولا يكاد يجمعها خط عريض واحد يضبط سير الحوادث فيها ويحدد ما بين احداثها من علاقات بارزة » (٢٥) .

ويبرز تأثير الف ليلة وليلة وسيف بن ذي يزن من القصص الشعبي في هذه الرواية فمساعدة الخضر لعامر تشبه الى حد كبير مساعدة الخضر لسيف بن ذي يزن ، وهو في طريقه الى جزيرة (واق الواق) لانقاذ زوجته (منية النفوس) وولده (مصر) (٢٦) ، وعند عودته من الجزيرة وقد اصطحب معه زوجته وابنه (٢٧) ، كما يظهر تأثير الف ليلة وليلة وقصة سيف بن ذي يزن معا في دور العفاريت التي تحمل البطل الى مسافات بعيدة ، او الى بلاد لا يستطيع ان يصل اليها انس ويبدو هذا التأثير كذلك في الاشارة الى معبد داود المتوارث عن سيدنا سليمان ، واللوح الذي ختمه بخاتمه ، والعجائب التي رآها عامر في كل من معبد داود وصومعة الصحراء . ولا يظهر تأثير القصص الشعبي في الموضوع فقط بل يتعداه الى الشكل ايضاً ، فمؤلفها يعلق على الاحداث (٢٨) بالشعر ويربط بين الفصول بنفس الطريقة التي يربطها بها راوى السيرة

(٢٥) انظر عبد الحميد يونس (الظاهر بيبرس) .

(٢٦) فاروق خورشيد (مغامرات سيف بن ذي يزن) العدد ١٩١ روايات الهلال ص ٤٥ - ٤٦ ج ١ .

(٢٧) المصدر السابق العدد ١٩٢ ج ٢ ص ٥٧ ، ٨١ .

(٢٨) رجل الأسرار ١٤٤ - ١٤٥ .

الشعبية (٢٩) » ويعجز القلم ان يرسم صورة لشعور عامر وهو يجابه هذه المعضلات فلمترك القارئ ان يتصور بنفسه ونعود فنقول انه برغم كل ذلك استجمع عامر شجاعته وتقدم الدهليز راکماً (٣٠) ومرة اخرى نرجوالمعذرة من القارئ اذا مررنا مر الكرام على ذكر رحلة عامر من مصر الى العراق ، ويكفى ان نقول انه استقل سفينة الى بيروت ثم اجتاز الشام الى العراق « (٣١) .

وترجع حاجة المؤلف الى مثل هذه الروابط الى انعدام الحتمية والسببية في تسلسل هذه الاحداث في الرواية ، مما يجعل نهايتها لا ترجع الى التسلسل المنطقي للاحداث ، وانما ترجع الى ان المؤلف قد استنزف كل ما لديه من حيل والاعيب .

ولا تختلف الروايات التي تأثرت تأثيراً مباشراً بالقصص الشعبي عن هذه الرواية الا اختلافاً نسبياً ، فقد علق حمدي على احداث رواية (شيخ القبيلة) ١٩٥٢ بالشعر (٣٢) ، وربط بين فصوله بنفس الطريقة التي استخدمها عبدالكريم عباس ، وتشبه روايته رواية عبد الكريم عباس في الاحداث الخيالية ، وتقديم سلسلة من الاحداث العجيبة ، والمغامرات التي لا ارتباط بينها وفي الربط التعسفي للفصول واستخدام الشعر والحكم والامثال ، وتكديس الاحداث دون تقييد بالزمان والمكان . كل ذلك المتأثير في القارئ وتسليته ، كما انها تستجيب لذوق جماهير الشعب . ومن الطبيعي ان تنعكس الظروف

(٢٩) المصدر السابق ٤٥ ، ٧٧ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٦٦ ، ١٧١ ، ١٩١ ، ١٩٦

(٣٠) المصدر السابق ص ١٢٤ .

(٣١) المصدر السابق ص ١٦٦ .

(٣٢) حمدي على (شيخ القبيلة) ص ١٩ ، ٢١ - ٢٧ . الخ .

والمؤثرات التي اثرت على الحدث وبناء العقدة ، في هذا النوع من الروايات على اختيار شخصياتهم .

ونجد في شجاعة (على) الذي انكرته قبيلته ، شجاعة (عنتره) ونكران قبيلته له وشجاعة ابي زيد الهلالي (٣٣) ، ونجد في بداية الرواية لمحات عن (الأميرة ذات الهمه) عندما تخرج ام علي هاربة بعد ان ذاقت الهوان على يد شيخ القبيلة المغتصب للمشيخة .

وفي سيرة على الرماح تعريض بالحالة الاجتماعية ، ونقد للفساد المستشري في نظام الحكم - نظام المشيخة . حتى ضاع الأمن ، واصبحت ايد العليا للبطش والقوة ، لا للقانون والنظام . كما تمثل الرواية في احداثها هجوماً مباشراً على اصحاب السلطة انفسهم ، فتصورهم بصورة مجموعة من اللصوص والقتلة وقطاع الطرق ، وصلوا الى السلطان عن طريق التفوق في السرقة ، والامعان في البطش والغدر والمهارة في اللصوصية .

وفي هذا الاتجاه تسير رواية (ابن الناطور) ١٩٣٠ لفهمى مصطفى . وربما كان هذا تعريضاً بالقائمين على الحكم في العراق آنذاك . ونجد اثرأ لسيرة على الزئبق في اتجاه الكتابين من هذه الناحية بالذات . كما يطفى جو الف ليلة على رواية (ابن الناطور) في مواقف اللصوص ، وحياتهم في مغاورهم النائية ، والتجارب التي يجرونها على من ينضم الى زمريتهم « أنرى هذا الكهف ؟ الحيوانات الوحشية على اختلاف انواعها تسكن فيه فادخله وامشي الى الامام حتى تصل منتهى المغارة وهناك

(٣٣) عبد الحميد يونس (الهلالية في التاريخ والادب الشعبي)

١٠١ - ١١٦ الباب الأول .

نجد جمجمة بشرية على الطريق وربما عثرت بها فعليك ان تسحقها
بصخرة تجدها هناك في داخل هذه المغارة كثيراً من الشياطين والمردة
والارواح الخبيثة ، وان كثيراً ممن ارادوا الدخول الى عصابةتنا جنوا عند
دخولهم هذه المغارة . . » (٣٤) .

وقد كتبت هذه الرواية بأسلوب نثري بسيط ، مع الاستعانة بالسجع ،
عند تصوير العواطف المتأججة او الحوادث المثيرة ، ويكثر في هذه الروايات
التمثيل بالاشعار ، ولا تخلو من ضعف في التركيب وضآلة الاوصاف
الجميلة الملهمة ، باستثناء (حمدي علي) فقد كانت لغته سليمة بصفة
عامة ، الا ان القاص جشم نفسه عناء انتقاء بعض الكلمات ليكسب
اسلوبه قوة ، فبدت كرقع مستعارة لثوب خلق . اما شخصياتهم فبسيطة ،
وتكاد تكون نماذج ثابتة فهي اما خيرة مثل (علي الرماح - ابن الناطور)
او شريرة مثل (موسى الفاضل - قرة عثمان) ، ولا وسط بين الحالين ،
بالاضافة الى أنها لا تعني باحيائها بل تتركها باهتة الالوان ضعيفة
النبضات ، وكأنها دمي خشبية تحركها يد المؤلف في هذا الزخم الحاشد
من الاحداث .

الرواية الرومانسية

تأثر العراق بالحضارة الاوربية، وقلدها في اساليب الحكم والادارة والتربية والسياسة والاجتماع، وأخذ منها ما انتجته صناعاتها كما اسلفنا في الباب الاول، ولكن نتائج هذا التأثير لم تظهر بوضوح الا بعد الاحتلال البريطاني للعراق، وخاصة في الثلاثينات وفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، فانقلب المجتمع العراقي نتيجة هذا التأثير الى مجتمع معقد مضطرب، تصارعت فيه القيم واختل التوازن بين حاجات العقل وحاجات الجسد. والسبب في ذلك ان التقدم الحضاري الذي حققه المجتمع العراقي، لم يكن مصحوباً بتقدم ثقافي اصيل، يعين على الف الحياة الجديدة، وقد سبق ان بينا ان المستعمرين العثمانيين والانكليز، لم يلتفتوا الى تشجيع التعليم في العراق، بل كانت سياستاهما في التعليم تنجهان الى مقاومة التعليم بعاملته والتعليم العالي بصفة خاصة. وذلك لخلق نموذج من القادرين على القراءة لا يتمتع باستقلال الشخصية، ولا القدرة على التفكير الحر المستقل. وامتدت مقاومة المعتلين من التعليم العالي الى المعلمين الثانوي والابتدائي. وان كانا قد شجعا نسبياً، التعليم الاولى لتخريج جيش من الموظفين الذين يقومون بتنفيذ الاوامر الادارية، التي يصدرها رؤساء الدوائر الاتراك او الانكليز في العراق.

وقد ساعدت هذه السياسة على ايجاد طائفة كبيرة من العراقيين يستطيعون القراءة والكتابة ، ولكنهم لا يتمتعون بقدر مناسب من الوعي ، يدفعهم الى التنبيه للمشاكل الحقيقية في بلادهم .

فنشأ تباين بين مطالب الحضارة ومطالب الثقافة ، وعانى الوطن من ازمة نمو حادة لسرعة تبدلاته المادية ، وبطء تبدلاته الروحية ، حتى اختل التوازن بين قواه الفاعلة والقوة المنفعلة . وكثرت البعثات الى الغرب بعد قيام الحكم الوطني لتلقي العلم هناك ، كما جاءت الثقافة الغربية تسمى بين الناس بصورة اوسع مما كانت عليها قبل الحرب العالمية الاولى ، نتيجة تيسير وسائل النقل واقبال العراقيين على الكتب والصحف الانكليزية ، بعد ان قويت ملكتهم في هذه اللغة عن طريق المكتبات الاجنبية ودور السينما والاذاعة . والتهم القراء العراقيون الكتب الاجنبية ، واطلعوا على الفكر الغربي ، وخاصة المؤلفات التي تأثرت بمؤثرات الثورة الفرنسية ، وبالنزعة الرومانسية التي كانت سائدة في ذلك العصر . على ان الاتصال الفكري والثقافي بين العالم الغربي والعراق ، لم يكن السبب الاول في النشأة الرومانسية ، فقد وجدت الرومانسية المجلوبة نفسها على وفاق مع روح البلاد . واعطت العوامل السياسية والاجتماعية والنفسية وما مضت من اهمية باقية نالتها الطبقة الوسطى والانحطاط الاقتصادي والثورات العديدة (١) ، وعاطفة

(١) ثورة العشرين التي هدفت الى التخلص من السيطرة الاجنبية وثورة الآثوريين في الشمال المدفوعة من قبل الاستعمار الانكليزي والمطالبة بوطن شرعي مستقل لهم . وثورة العشائر في الجنوب وثورة الرميثة الاولى وثورة سوق الشيوخ وثورة بني ركاب وثورة الرميثة الثانية وثورة قبيلة الاقرع بتجنب الطائفية ومنع التخريب ضد الشيعة . والانقلاب العسكري الذي

الشعب المفرطة ، كل ذلك اعطى الاتجاه الرومانسي ارضاً صالحة ملائمة . لقد وجدت الرومانسية نفسها على وفاق مع روح البلاد ، واعطت الاحداث المتأزمة المتتابعة في العراق كالانطباع المأسوي الذي تركته الحرب في النفوس ، والآلام الانسانية التي سببتها ، والخوف من المجهول ، ومأساة فلسطين وما خلفت من جروح غائرة في كرامة كل عربي والتأثر للمكرامة العربية . كل ذلك مجتمعاً اعطى الاتجاه الرومانسي ارضاً صالحة ملائمة . وقد ساعد الشعور باليأس ، الذي ساد البلاد عقب فشل ثورة العشرين والثورات التي تلتها ، على ان تصبح وظيفة القراءة عند فئة المتعلمين ، مقتصرة على تحقيق حاجتها الى التسلية ، والى نسيان هموم واقعها وآلامه ، وبعد ان كانت هذه الفئة تجد صدى لتسلية في الملاحم الشعبية ، التي كانت تقوم لجماهير الشعب الامية بوظيفة مزدوجة لتحقيق لها التسلية من ناحية ، وتربطها باجسادها وبطولاتها القديمة من ناحية اخرى ، نراها تتجه الى البحث عن مصدر لتسلية في الكلمة المكتوبة . وحاولت الرواية الرومانسية تحقيق حاجة هذه الفئة من القراء ، التي تحولت من الاعتماد في تسلية على الملاحم الشعبية الى الروايات المترجمة من الادب الغربي ، والروايات التي تقلدها وتنسج على منوالها . ولم يتغير وضع العراق الاقتصادي ، رغم دخول بعض اشكال التطورات التي تعقب الحروب عادة . اذ اقدم الكثيرون على التوسع في

قام به بكر صدقي عام ١٩٣٦ ، لايقاف التناحر الحزبي الذي كان يتقاذف حكام العراق . والثورات الكردية في الشمال والمطالبة بالانفصال والتدخل العسكري السافر في نظام الحكم وأخيراً ثورة مايس ١٩٤١ التي قام بها رشيد عالي الكيلاني بمساعدة بعض ضباط الجيش ، وانتهاء الثورة باعادة احتلال الانكليز للعراق ثانية واعادة حكامها السابقين .

الزراعة اعتماداً على المضخات التي انتشرت في مختلف الاماكن ، وساعد على انتشارها رخص اسعار الوقود في العراق ، مما خفض نفقات الزراعة . اما الاقطاع فقد بقي مسيطراً من الناحية الاقتصادية ، ودعم مركزه بعلاقات قوية فيما وراء البحار من قبل شركات النفط الاجنبية التي استثمرت نفط العراق ، وارتبط العراق بمجلة الاقتصاد الانكليزي ارتباط مهيمن ، بحيث شارك انكلترا ازماتها المالية بلا مبرر داخلي ، كآزمة تخفيض قيمة النقد ، والازمة المالية عام ١٩٣٩ (٢) مما اثار النفوس واسعر النعمة في قلوب العراقيين .

وبقيت الصناعة متخلفة في العراق الامن بعض الصناعات الاستهلاكية ، لان رجال المال في العراق اعتادوا توظيف اموالهم في مشروعات زراعية وعقارية وتجارية . اما الصناعة فجديدة ، وفيها من المخاطر الشيء الكثير ، بالاضافة الى أن الدراسات الاقتصادية الدقيقة للصناعة لم تكن موجودة ولم تستطع الشركات المساهمة القيام بدورها في الانعاش الصناعي ، لضعف امكانياتها المالية والفنية ، عدا صناعة النفط التي ازدهرت بمساعدة الشركات الاجنبية (٣) .

ولم تتغير نظرة الناس الى نظام الحكم فحسب ، بل تغيرت نظرتهم الى الحياة وقيمتها ، والسبب في ذلك اضطراب الدخل الفردي ، وازدياد

(٢) قارن / عبد الرحمن الجليلي (السياسة النقدية في العراق) . عبد الحكيم الرفاعي (الاقتصاد السياسي) ، جابر جاد عبد الرحمن (الاقتصاد السياسي) احمد فهمي (الاقتصاد السياسي) .

(٣) انظر مير بصري (مباحث في الاقتصاد العراقي) عبد الرحمن الجليلي محاضرات في الاقتصاد العراقي .

الفروق في الدخول بين الطبقة المترفة والطبقة الفقيرة والطبقة الوسطى ،
واثره بعض الفئات خلال الحربين العالميتين ، وعدم حصول الطبقة
الفقيرة على دخل فردي يناسب مستوى المعيشة . وتبرم المثقفون من
قلة دخلهم ، وسوء وضعهم المادي والمعنوي . وكانت الحالة في الريف
اكثر سوءاً منها في المدن بسبب استغلال الاقطاعيين لفلاحهم ، بما
حدا بهم الى الهجرة الى المدن سعياً وراء وراء الرزق . فأقاموا في
اكواخ من الطين يحيون حياة البؤس (٤) ، لانتشار البطالة بينهم ، بما
اثر في انخفاض معدل اجور العمال .

وقد انعمت الاحوال الاقتصادية والسياسية انعكاساً مباشراً على
الحياة الاجتماعية ، لان انتقال سلطة الحكم من العثمانيين الى الانكليز
- وحتى بعد تأسيس الحكم الوطني - كان ادخل الشعب كله في الصراع
السياسي مع السلطات الحاكمة ، وسمح للطبقة البرجوازية التي تكونت
قبل الحرب العالمية الاولى بأن تحتل مركز القيادة الوطنية .

وقد فتح الباب واسعاً للتأثير الغربي في جميع مناحي الحياة وكانت
سرعة التأثير فيه اشد من قابليته للتطور فأخذ تحوله الشكل القاسي
الفاجع في بعض الاحيان . واذا كان من المؤلف ان نرى الحمير والجمال
تمشي الى جانب السيارة في شوارع المدن ونرى تنوع الازياء واغطية
الرأس ، فمن المؤلف ايضاً ان يابق الابن من ابيه ، وان نرى في البيت
الواحد أمّاً بالعباءة وابنة ساهرة ، وان يبقى ظل المرأة باهتاً عند الطبقة
الرجعية خلف اسوار البيوت في المدن يضرب حولها الحجاب ، وينظر
اليها على انها مصدر الخطيئة ، الى جانب امرأة تخرج للعمل مع الرجل ،

(٤) انظر عبد الكريم ابو التمن (هذا هو العراق) .

أوفتاة تدخل المدرسة لتعلم ، كما تدخل الجامعة الى جانب الرجل وتخرج منها الى الحياة لتعمل ولتثبت مركزها في النضال السياسي والثقافي والاجتماعي . وانتشر السفور بين ابناء الطبقة المتعلمة ، وازدادت ثقة المرأة بنفسها ، وتحسن شعور الرجل تجاهها. وبرزت في هذه الظروف ادبيات عراقيات ، شاركن في خلق جو ادبي في العراق ، ومنهن من ذاعت شهرتهن في الاوساط الادبية العربية .

وقد انعكس هذا القلق في افكار المثقفين ، نتيجة لاحساسهم بضرورة الجمع بين طرفين كانا ما يزالان يبدوان كأنهما نقيضان لا يجتمعان ، وهما : الثقافة التقليدية الموروثة من جهة والثقافة الاوربية المنقولة من جهة اخرى .

ولعل ما لفت المترجمين الى ترجمة الروايات الرومانسية احتواؤها على عناصر المغامرة والحب ، وهي العناصر التي سيطرت على الذوق الشعبي ، وظهرت في الانجازات الاخرى للمترجمة ، والتي يعبر عنها القصص الغرامي من ناحية ، والقصص الذي يعتمد على المغامرة سواء أكانت بوليسية ام غير بوليسية . وكان أغلب القصص الاجتماعي المترجم ، لا يكشف عن المشكلات الاجتماعية الحقيقية ، وانما يقصد الى التسلية ومن خلال ما يعرضه من علاقات غرامية ، او ما يحفل به من مغامرة ، بحيث نستطيع ان نقول ان اغلب الانتاج المترجم في هذه الفترة كان يخضع للذوق الشعبي الذي يميل الى قصص المغامرة والحب .

ولم يكن تأثير القصة العربية بأقل من تأثير الصحافة ، فقد كان مصطفى لطفى المنفلوطي عاملا مساعدا في تقوية اثر المدرسة الرومانتيكية ، لتمكن اسلوبه في نفوس قارئيه ، فأمسى اكثر الكتاب قراء ، وتلقت

أيدي الناشئة كتبه ، يضاف اليه ما ترجمه الزيات من الادب الرومانسي ، كآلام فرتز وروفائيل ، وما انتجته الرابطة القلمية التي اسست في نيويورك عام ١٩٢٠ ، ومن ابرز كتابها ذوي الاثر في الحركة القصصية الرومانسية في العراق جبران خليل جبران الذي استهوى افئدة المتعلمين العراقيين في فترة ما بين الحربين ، والعصبة الاندلسية التي اسسها المهاجرون العرب في امريكا الجنوبية ، الى جانب تأثير الكتاب المصريين مثل هيكل والمازني وغيرهما .

وما من شك في ان اجتماع العوامل السابقة قد خلق الاتجاه الرومانسي في الرواية العراقية . كما ان انهيار النظام الاجتماعي لانطاعي القديم ، وقيام مجتمع جديد ، يعتمد على افراد الطبقة الوسطى ، غير نظرة الانسان العراقي للحياة ، وقد احس هذا الانسان بخلخلة عنيفة ترافق انهيار نظام قديم . وآلام حادة تصاحب مولد نظام جديد ، وعلى قمة هذه الازمة تألفت نظرة جديدة للانسان ، نظرة تسبق حاضرها اميالا بعد اميال في متاهات شاسعة بلا حدود ، نظرة نابغة من اعماق تغلي بالوحدة والفردية والانطواء ، نظرة تتجامل الماديات ، في سبيل الورود والاحلام ، وان لم تجهل ثمن الورود واسعار الاحلام . وبهذه النظرة الرومانسية احاط الانسان الجديد المرأة بهالة نورانية ، وانزوى الجنس من صفحات الادب الرومانسي الى الهوامش ، وهكذا صورت لنا الرواية الحب ، لتغرق بين المثل العليا التي جاء بها مجتمع الطبقة الوسطى الوليد ، والقيم الاقطاعية المنهارة ، واعطانا كتاب الرواية الرومانسية في العراق روحاً جديدة ، وفكراً جديداً ، ووقفوا من ظلم المجتمع ، موقف الشكوى ، ووقف بعضهم موقف التمرد على هذا المجتمع ليضمن

الرفاه الفردي والاجتماعي . وكانوا نقلة من الاعتدال الى التطرف الخيالي والعاطفي ، وابرز الفردية ، وجعلها مركز الرؤية ، بالنسبة للمكون ، والانسان ، والحياة ، وكل ما يمت اليهم بصلة بالقياس الى الفرد الرومانسي ذاتي ونسي ، وترتبط هذه الفردية بالحرية ، التي اعتز بها الرومانسيون ، وجعلوها شعاراً لهم وحملوا مشعلها تعبيراً عن مشاعرهم وعن احلامهم في سعادة حرمهم اياها المجتمع ، وتعبيراً عن الآمال العامة للوطن الذي يخيم عليه ظلام الاستعمار المقنع ، يقيده بقيود الذل ، والعبودية ، وامتزجت هاتان الدعوتان الى الحرية ، حرية الفرد وحرية الوطن - داخل نفوس كتاب هذا الاتجاه امتزاجاً كاملاً ووقفوا بسببها في مواجهة الاستعمار الغربي ، وساقوا على لسان ابطالهم صرخاتهم في سبيل الحرية .

وكان محمود السيد من اوائل المتلمذين على هذا الاتجاه ، كما مر بنا في الفصل الاول . وحين شعر ان آثاره الاولى كانت مفككة ، الى على نفسه ان يتزود من العلم ، ويقبل على القراءة حتى يصيب حظاً من جمال العبارة ورشاقة القول ، فوجد ضالته في هذه الكتب التي طالما اشاد بها مكبراً جزيل فائدتها (٥) .

وليس محمود السيد الوحيد الذي تأثر بهذا الاتجاه ، بل تأثر به عدد غير قليل من كتاب الرواية العراقية قبل الحرب العالمية الثانية هم : علي الشبيبي في (رنة الكأس) التي ظهرت عام ١٩٣٦ ، وخليل عزمي في روايته (دلال) التي ظهرت عام ١٩٣٨ ، وأبو انيس زكي

(٥) محمود السيد (الطلائع) ص ١٨ ، ٢٣ ، ٦٧ و (جلال خالد)

حسن في روايته (العذاب) التي ظهرت في السنة نفسها وعربي عراقي في روايته (من بنات الناس) التي ظهرت عام ١٩٣٩ . وقد استمر هذا الاتجاه بعد الحرب العالمية الثانية ، بسبب الظروف نفسها التي ساعدت على وجود هذا الاتجاه قبل الحرب ، فظهرت روايات رومانسية : (في سبيل الخلود) عام ١٩٤٦ لصاحب الصباغ ، و (الخطيئة) عام ١٩٤٨ لرضاء الدين الحيدري ، و (نهاية حب) عام ١٩٤٩ و (اناهيد) عام ١٩٥٣ لعبد الله نيازي و (الثالث) عام ١٩٥٣ ليحيى عباس و (٤ نساء) عام ١٩٥٣ لناجية حمدي و (باهرة) عام ١٩٥٤ لحمدي علي و (يا ظالمني) عام ١٩٥٦ لعلي الداودي و (نبي العذريين في القرن العشرين) عام ١٩٥٦ لشهاب احمد و (فتاة الريف) عام ١٩٥٧ لعبد الله حلمي و (ناديا) عام ١٩٥٧ ليلي عبد القادر و (التائهة التافهة) عام ١٩٥٨ ، و (اين تذهبين) عام ١٩٦١ لحازم مراد .

وقد ظهرت روايات رومانسية في الستينات من هذا القرن كتبها مؤلفون مسكوا القلم لأول مرة ليعبروا عن ذواتهم وعواطفهم او ليهربوا من واقع الحياة الممل في العراق ، ذلك الواقع الذي سالت فيه الدماء بسبب الصراع الحزبي واضطراب الاوضاع السياسية والاقتصادية في البلاد . مثل الروايات التالية : (لقيط بين القصور والاكوخ) عام ١٩٦١ لغالب آل يحيى ، و (نسرين) عام ١٩٦٣ لعبد اللطيف العبادي ، و (الزوجان المنتحران) عام ١٩٦٤ لخضر الشابندر و (الشمعة الاخيرة) عام ١٩٦٤ لوهي حسين كوزمي ، و (مات النهار) عام ١٩٦٦ للطيف عبد الحسين .

واقصر هؤلاء الكتاب جميعاً في مناقشتهم لموضوع الحب ، على

الظاهرة الاجتماعية منه ، والصراع بين القيم الروحية والاجتماعية الموروثة ، والقيم الجديدة التي يفرضها تطور المجتمع العراقي . ويمكن القول ان هذه الظاهرة ترجع الى عاملين ، عامل اجتماعي ديني ، يرجع الى موقف المجتمعات الاسلامية المتعنت من قضايا الحب ، مما جعل القاص العربي حذراً من اقتحامه للبيئة الاجتماعية الاسلامية . وذاتي فردي ، يرجع الى وعي المؤلف نفسه ، لمشكلة الجنس من جهة ، والى وعيه بالادوات الفنية للرواية ، والذي يتسم في هذه المرحلة بالفقر الشديد . فمشكلة الحب هي اكثر ازمات الفرد والمجتمع التواء ، وتخفياً في التعبير عن نفسها ، وبالتالي من اكثرها حاجة الى وسائل التعبير ، القدرة على امتصاص كافة ابعادها (٦) ، فلم يكن والحالة هذه يوسع الكاتب ، تناول الموضوع بأدواته التعبيرية القاصرة فنيا .

ان الآثار الاولى للرواية العراقية ، موسومة بهذا الطابع من التقليد ، الذي ينتجه كل فن جديد غير اصيل ، ولذلك لم تعد هذه الآثار ، كونها تقليداً فاشلاً للرواية الغربية ، في شكلها الرومانسي ، لذلك جاءت محاولات كتابها مضطربة ، وغير متناسبة الابعاد ، رغم ان هؤلاء الكتاب ، كانوا يحاولون ان يصنعوا ادباً روائياً جديداً مستوحى من بيئتهم . ولعل هذا هو السبب في ان تصويرهم للتجارب الاجتماعية ، كان مرسوماً بدفع الاحداث الى ابعد الحدود ، التي يحتملها المنطق . وكانوا وما زالوا يستجيبون لرغبات قارئ جديد ، يميل الى هذا اللون من الادب ، فحرصوا على ان يقدموا له الرواية في اطار عاطفي ، يشوقه الى المتابعة ولكنهم غالباً ما كانوا يخفون وسط هذا الاطار في الحبكة القصصية

(٦) انظر / غالي شكري (ازمة الجنس في القصة العربية) .

العامّة . فلم يكن من المستحيل فصل هذا الاطار ، عن مجموع الرواية من غير ان تفقد اهميتها الرئيسية ، او قصدها المطلوب . فقد كان الاطار الذي تصب فيه هذه الاحداث ، يقوم على حبكة عاطفية يجري فيها الصراع بين كائنين متحابين ، تقف في وجه حبهما قوى خارجية ، يقاومانها حتى ينتصرا عليها ، او يموتا دونها . فهو اذن المحور الرئيسي الذي ينبغي ان تضاف اليه العناصر الاخرى ، ولهذا كان من الطبيعي ، ان تفتقد في هذا النتاج ، وحدة تنصهر فيها المادة القصصية بكل محتوياتها ، فلا يبرز منها جانب على جانب آخر . والواقع ان هذا التفاوت او التفكك في عناصر الرواية يمكن ان يرد الى شخصية المؤلف نفسه ، فمعظم كتاب هذا الاتجاه من الشباب الذين لم يجتازوا مرحلة كبيرة في التعليم ، او من الذين يمسكون القلم لأول مرة ، يجربون فيه حظهم ، في مجال الرواية .

وقد حرصوا على التنبيه الى ان حوادث رواياتهم وقعت فعلا وان كانت في حقيقتها اقرب من الخيال ، حرصهم على النص على فائدتها وعبرتها . وكثيراً ما يكون هذا في تعليق اخير او في المقدمة . ويبدو لي ان ذلك راجع الى عدم ثقة المؤلفين بانفسهم وفنهم ، وتقدمهم الوجل في مضمار هذا الفن من ناحية ، والى ان فن الرواية يتقدم في العراق على استحياء لان الناس يسمونه بالعبت وبجرد اللهو ولا يأخذونه مأخذ الجد ، فيحاول المؤلف ان يؤكد نفسه وينفي عنه تهمة التلفيق الخيالي والتفاهة المسلية . فقد جاء في مقدمة رواية (يا ظالماني) « انها قصة نارية مثلت وقائعها على مسرح الحياة منذ عهد قريب ، تعالج مشكلة

اجتماعية بحتة ولا يزال بعض اشخاصها احياء يرزقون» (٧) وجاء في مقدمة (دموع الوداع) «انها قصة واقعية كتبت على صفحات سوداء لا يتحسبها التاريخ» وجاء في مقدمة (دموع الوداع) ايضاً «انها قصة حدثت فعلاً وابطالها ما زالوا عائشين بين ظهرانينا لم يتغير منهم سوى الاسماء فقط» (٨) . وجاء في مقدمة رواية (التائمة التافهة) «وكانت ضحية ، احدى ضحايا هذا المجتمع العايب فانساقت بفرورها وجمالها وذكائها مع تيارات طيشها وعيشها . . . كنت اعرف (ن) منذ سنوات غير بعيدة . . . فان كانت البيئة التي عاشت فيها الفتاة ضيقة لان كانت التقاليد البالية التي فرضها عليها بجمعها تافهة عقيمة» (٩) . واتخذت الرواية عند هؤلاء الكتاب شكلاً ذاتياً ، لا لان المؤلف يشرح افكاره بصيغة المتكلم كما في بعض هذه الروايات مثل (فتاة الريف ، نهاية حب ، اناهيد ، البنادق المسروقة) ، بل لاهتمامهم بكيانهم الخاص المعذب ، وتحليلهم لانفسهم فقد ركزوا مهمهم كله على البطل الاساسي - بدلاً من تفريقه على عدة اشخاص وجعلوا البطل يمر بأحداث كثيرة ، محورها الحب ، كما مر بنا ليعكسوا في نفوسهم وهو ليس الحب المرصود من الخارج ، كما يصفه مشاهد ذكي ، بل الحب المشاهد من الداخل كما يقاسيه القلب ، وتقوم العقدة على علاقة حب بين حبيبين مثاليين تفرق بينهما العقبات وتنتهي علاقتهما باجتماع الشمل او الموت بانتصار المثل العليا واندحار الشر ورجح المعركة في

(٧) يا ظالمني ص ٩ .

(٨) دموع الوداع ص ٥ ، ٩ .

(٩) التائمة التافهة ص ٥ - ٦ .

سبيل الخير وهي العقدة التقليدية لكثير من القصص الشعبي والقصص المترجم .

وقد تظهر هذه الذاتية عن طريق تدخل المؤلف المباشر عن طريق فرض معلوماته على الاحداث . او اقحام الوعظ والارشاد اقحاماً على الحدث ، فيتجه المؤلف الى القارئ مباشرة ليبين له الدروس الاخلاقية التي يفرضها فرضاً على الرواية . وقد ينتهز البعض الآخر منهم اية فرصة من داخل الرواية ، ليخرج من سرده للحوادث الى الحديث المباشر عن المشاكل الاجتماعية ، ويحاول تقديم الحلول التي يراها صالحة لها ؛ لا يتماهلون في فرض شروط العمل الصعبة من وقت طويل واجر بسيط والعمال لكثرتهم وبطالتهم يتهافتون على الاشغال تحت تلك الظروف القاسية، سيما وليس لهم ما يدفع عنهم ذلك الاجحاف الا وهو التنظيم النقابي الذي يعد بمثابة درع يحميهم . ان هذا العدو الذي سبب له الحرمان وحرمه حقه في الحياة ، الجهل ما اقسى الجهل الجهل شر لا يضاهيه اي شيء ضررا (١٠) الويل لمن احاطته بيئة سحيقة واحاط به محيط دنيء فربما يجرفه تيارهما دون رغبة ومن غير شعور لذلك كان الواجب على الابوين ان يرعيا ابنهما رعاية حنكة وعقل وان ينميخا عليه بكل كلمتهما فيربيها تربية صالحة صحيحة مرضية نافعة لنفسه وللناس (١١) ولقد اخفوا عنا تاريخنا وضاعوا علينا قوميتنا وانكروا جنسيتنا وما كنا نعرف لغتنا العربية او ندرس عنها . . . وحتى نسينا من اين جئنا او لا ندري اين نحن سائرون ؟ وكانهم جرعوننا كؤوس

(١٠) يحيى عباس (الثالث) ص ٢١ - ٢٢ ، ٢٧ - ٢٨ .

(١١) صاحب الصباغ (في سبيل الخلود) ٦٧ - ٦٨ .

الغفلة والذهول وحمم الجهل والخمول (١٢) .

وقد جاء في مقدمة (الزوجان المنتحران) « علينا ان نعلن ثورة اجتماعية لاصلاح مجتمعا ونطلق كافة السبل لمحاربة علمها وقطع جذور الشر فيها لنصل الى شاطئ السلامة ونرتقي سلم الحياة لنبني مجدنا وامتنا . . . وباعتقادي ان يكون لها هدف وهذه القصة لها اهداف ومغاز سامية سيقدرها الجمهور القارئ دون ادنى ظل من الشك والريب لان العناصر الخيرة في هذا البلد آخذة بالانتصار فالشر وقي سريع والخير الذي يسود ويعم » (١٣) . وجاء في مقدمة (الشمعة الاخيرة) « بسم الله الرحمن الرحيم وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبوالوالدين احسانا . ان المجتمع ان يدوم الا اذا تمسك افراده بدينهم وايمانهم وذكروا الله في قلوبهم وانه ان يصبح قوياً ولن يدوم الا على الالفة والمحبة والتعاون والاحترام واطاعة الوالدين ، ولن يتقدم المجتمع الا اذا تثقف افراده ثقافة حققة وتعلموا علماً يستفيدون منه استفادة كاملة في تقدمهم وبناء حضارتهم ومجد امتهم وترك قشور المدنية جانباً آخذين منها صالحها نابذين طالحها » .

ويلاحظ ان هؤلاء المؤلفين يقحمون هذه الدروس اقحاماً في قصصهم ، ويظنون انهم لو لم يشيروا بانفسهم الى هذه الدروس الاخلاقية لما تمكن القارئ من استنتاج شيء عنها او الخروج منها بفائدة تذكر . كما يقحمون في حديثهم اقوال ادباء مفكرين وشعراء ، وهي ظاهرة منتشرة في رواياتهم لانهم يحاولون اضفاء الهمية على آرائهم بهذه الوسيلة ،

(١٢) عبد الله حلمي ابراهيم (فتاة الريف) ص ٦١ .

(١٣) خضر الشايندر (الزوجان المنتحران) ص ٣ - ٤ .

ولولم تكن هناك مناسبة اصلا ، لهذا الاستشهاد فقد نقل مؤلف (في سبيل الخلود) على سبيل المثال خطبة المندوب السامي البريطاني وخطبة الملك فيصل الاول حين تسلمه العرش ومقال الدكتور زكي مبارك عن المتسولين ، وخطاب مبارك الى ربات الجمال ، وابيات شعرية من مسرحية مجنون ليلى (١٤) .

ونستطيع ان نقسم الروايات الرومانسية في العراق من حيث الموضوع الى عدة مجموعات لا تتعدى في محتواها مأساة شوقية اوجدتها التقاليد والعرف والبيئة : مأساة الفتاة التي يزفها اهلها ، الى غير من تحب ، لفقدان حقها في اختيار الزوج ، والتقاليد ، كالروايات التالية (فتاة الريف) حيث تتزوج البطلمة ، رغماً عنها ، من اقطاعي كبير ، يفرق بينها وبين ابن عمها الذي تحبه ، فلا تجد الفتاة سبيلا للخلاص الا بالموت (والقلوب المتوجعة) اذ تتحدى البطلمة اهلها الذين يمنعونها من الزواج ، بمن تحب ، ويكون مصيرها القتل غسلا للمعار ، ومصير حبيبها الانتحار . وحول نفس الموضوع تدور الروايات التالية (اربع نساء ، نبي العذريين في القرن العشرين ، العذاب ، ناديا ، نهاية حب ، اناهيد) . والى جانب مأساة الزواج ، مأساة الخيانة الزوجية ، وما ينجم عنها من حن وشجون مثل (في سبيل الخلود - الزوجان المنتحران) ومأساة البغاء ، حيث تدفع الفتاة الى السقوط بسبب فقرها ، وحاجتها الى الطعام والمأوى ، او بسبب قسوة التقاليد الاجتماعية كما في الروايات التالية (الثالث - من بنات الناس - دموع الوداع -

(١٤) صاحب الصباغ (في سبيل الخلود) ٥٢ ، ٥٣ ، ٤٩ ، ٨٩ ، ٩١ .
زكي حسن (العذاب) ص ٥٠ .

اين تذهبين - التائهة التافهة - الخطيئة) .

ويرتبط بهذه الموضوعات ، موضوع الوهم ، عندما يكون الانسان العوبة احلامه ومطامعه ، تنفتح له الحقيقة ، فلا يرى في الحياة الا ما يريد ويشتهي ، حتى يلتحم مع الحقيقة في ازمة ما تكون الحدث في الرواية ، فتتكشف له كما هي وتعيده منكسر الخيال ، وبذلك يعود الى نفسه وهو اكثر حزنا ولكن اكثر حكمة من ذي قبل ، كما في الروايات التالية (باهرة - يا ظالمني - الشمعة الاخيرة - رنة الكأس - نسرين - مات النهار) .

ولدينا رواية واحدة عاجلت مشكلة اللقطاء ، (لقيط بين الاكواخ والقصور) وقد اتصفت هذه الروايات ، بالسذاجة والافتعال ، وتبدو فيها مظاهر الارتجال ونضوب الموهبة ، وتصدر عن طبع لم يحس أدواء هذا المجتمع ، ولم يتعرف عليه بعمق ، كما يضعف التصوير فيها ، حتى ليخيل انها تصدر عن انسان لم يعيش في هذا المجتمع ، لان غاية هذه الروايات ان تشير فضول القارئ ولناخذ على سبيل المثال رواية (الثالث) حيث تتابع فيها الاحداث المؤثرة ، عندما يحاول الاقطاهي تعذيب (سلمان) الفلاح والتنكيل به ، كما نكل بصديقه جابر « فأحرق بيته واقطع اذنيه فشواهما ثم ارغمه على أكلمهما والقى به اخيراً في النهر في شهر كانون . . » (١٥) فيهرب سلمان بأهله الى بغداد ، بعد صراع طويل مع رجال الشيخ وكلايه ، ويعمل حمالا في بغداد ، ثم يمرض ويصبح غير قادر على العمل ، ويترك ابنه حسن المدرسة ، يعمل حمالا كوالده ليعول الاسرة . ثم يعمل حسن في مصنع ، ولا يلبث ان يجرد نفسه عاطلاً ، يجوع هو واهله ويغوى شاب غني اخته (جميلة) فتحمل منه ، وحينما ينكشف امرها يقتلها اخوها ويهرب الى الكويت ثم يموت ولده وتصاب

(١٥) يحيى عباس (الثالث) ص ٧ .

امه بالجنون . وعندما يعلم بالامر يعود الى العراق ، وتعرض العربية التي تقله لرصاص الشرطة ، ثم يقاد الى السجن ليموت فيه . ومثلها رواية (الشمعة الاخيرة) اذ تنشأ (سعادات) في بيت رخاء ونعمة ويفقد والدها ثروته ، بعد ولادة اخيها الشرير (بشير) وتترك سعادات المدرسة وتمتحن الخياطة لتعول اسرتها الفقيرة وتحب (محمود) صديق اخيها ، الذي يسرع بخطبتها من ابوها ، ولكن القدر يكون له بالمرصاد فيموت في حادث مفاجيء ويسافر بشير الى اوربا للدراسة وتسوء حالة الاسرة بعد وفاة الام . ثم يعود بشير وقد تزوج من فتاة اجنبية فيتنكر لاهله ويصاب الأب بصدمة عنيفة يموت على اثرها ، وتحيا سعادات رهينة المرض والفقر ، ويلتقى بها ذات مساء صديق قديم لـاخيها ويأخذها الى داره ليعني بها ولكنها لاتلبث ان تموت وقبيل دفنها يعود اخوها نادماً مستغفراً بعد ان يطلق زوجته الاجنبية العابثة .

ومن الواضح ان حب الاستطلاع ، يزداد حدة اذا اتبعت الاحداث خطأ معيناً ، اذا جعلت القارئ يتساءل ، ماذا يمكن ان يحدث بعد ، بدلا من ان يطلب حادثة غريبة اخرى . كذلك يستطيع القاص ، ان يثير مستوى جديداً من الانفعالات الحادة كالتوقع ، والفزع ، والخوف وما شابه ذلك ، ان استخدم سياقاً مترابطاً ، لا مجرد وقائع متعاقبة ، وباحلال الحدث الواحد المركب ، مكان الاحداث الكثيرة المتتابعة . وعليه من ثم وقد اثار هذه الانفعالات ، اذا اراد الاستمرار في امتاع القارئ ، ان يقدم اليه ما يطمئن معه الى ان هذه الانفعالات ستهدأ مرة اخرى .

وتنتهي احداث هذه الروايات نهايات فاجعة ، ففي رواية (القلوب المتوجعة) على سبيل المثال يقتل اهل (سميرة) ابناتهم غسلا للمعار

وينشعر زوجها (فؤاد) . وفي رواية (من بنات الناس) تموت (سنا)
بالالتهاب الرئوي بعد ان يتركها حبيبها . وفي رواية (دوع الوداع)
تحترف (لمياء) البغاء لتموت وحيدة بعد ان يخدعها حبيبها (سامي)
وفي رواية (مات النهار) يحاول (جمال) الانتحار بعد ان تتركه
زوجته (ليلى) التي يحبها بجنون . وتنتهي بعض روايات هذا الاتجاه
نهايات سعيدة مثل رواية (باهرة) اذ تتزوج الفتاة البائسة من
طبيب احبها واشفق عليها . وتتزوج (منيرة) في رواية (في سبيل
الخلود) من الشخص الذي تخلص له الحب .

وقد نجد في هذه الروايات المتعة بالاحداث ، ولا شك ان سرد
الاحداث الغريبة يمتعنا . وتعليل ذلك ، امر خاص بعلماء النفس
حيث يمكن ان يكون للمحادثة الصغيرة نتائج كبيرة غير متوقعة تنفرع
ثم سرعان ما تزيد على الحصر وتنسج فيما يبدو نسيجاً معقداً يحل
بعد ذلك بطريق مفاجيء ، فالحدث يستحوذ على اهتمامنا بتعقده وحله وقد
ذكر بصراحة بعض كتاب هذا الاتجاه . كما جاء في مقدمة رواية (ناديا)
على سبيل المثال « ولم يبق لي الان سوى الانسحاب وترككما لبعضكما
فربما يجد كلاكما عند صاحبه بعض ما يريد فهي تريد منك الاصغاء
وانت تريد منها بعض المتعة والاعانة على قضاء الفراغ » (١٦) لذا
يسخر هؤلاء الكتاب الحديث في خدمة الحكمة وتكوين طبيعة الشخصيات
وقدراتها بوجه عام . فلو لم يتنكر ضابط الشرطة (صبري) في ثياب
الاعراب في رواية (البنادق المسروقة) لما استطاع ان يكشف البنادق
المسروقة ، ولو لم يلق الضابط القبض على اللص (عبد الامير) بتهمة الفرار
من الجندية لما استطاع صبري اكتشاف السرقة ، ولو لم يزوج

(محسن وحسين) في السجن مع اللص لما اعترف بالجريمة ، ولولم يسافر (عامر) الى مصر بعد فشله في دراسة الحقوق في استنبول ، لما تزوجت حبيبته (نوال) من ابن خالتها نامق في رواية (رجل الاسوار) ، ولما قتل نامق بيد (زياد) الذي يحب نوال ولا تبادله الحب لما مرضت نوال مرضاً خطيراً بعد ان حلت بها المصائب . ولولم يعثر عامر في صحيفة على الخبر الذي يشير الى اكتشاف (معبد داود) لما استطاع الذهاب اليه . ولولم يذهب عامر الى الدير لما استطاع امتلاك (القوة الاشعاعية) الخارقة . ولولا هذه القوة الخارقة لما استطاع اشفاء نوال من مرضها بعد ان عجز الاطباء عن شفائها . ولولا اتمام شفائها على يده لما عادت العلاقات بينهما الى ماكانت عليه .

ومن اوضح المظاهر التي تتصل بالحدث في هذا النوع من الروايات اتجهاء المؤلفين الى الهرب من واقع الحياة العراقية . وقد ترجع اسباب رغبتهم في الهروب الى تأثر بعضهم تأثيراً كبيراً بالروايات الغربية ، وما دامت هذه الروايات تدور في بيئات اجنبية فلا بأس بأن تدور الروايات المؤلفة ايضاً في بيئة عراقية يستعار لها جو غربي فتقام الحفلات السامرة التي تضم كلا الجنسين في الدور ، حيث تدار كؤوس الخمر ، ويرقص الرجال والنساء على نغمات الموسيقى الصاخبة ، وحيث تضم المقاهي خليطاً من الجنسين وغير ذلك مما يقرأ في القصص الغربي ، او يشاهد في الافلام الاجنبية (١٧) .

(١٧) انظر / عبد اللطيف الحسين (مات النهار) ٢٠ - ٢١ ، ٢٢ ، ٣٠ ، ٨٠ ، ٨٩ ، ١٦٦ ، ٢٠٦ ، ٢١٤ - عبد الله حلمي ابراهيم (فتاة الريف) ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٤ - (اين تذهبين) ١٨ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٧٢ (التأنيذ التافهة) ٦٤ ، ٤٦ .

وقد يدور الحدث في بيئة غير عراقية ينقل اليها المؤلف الشخصيات وقد يرجع السبب الاقوى الذي دفع المؤلفين الى الهروب في رواياتهم من واقع البيئة العراقية الى رغبتهم في عدم الاصطدام بتقاليد مجتمعهم وعاداته ، وقد سبق ان اشرنا الى ان العنصر الغرامي يمثل العمود الفقري في هذه الروايات ، ولما كانت علاقة الحب مازال محرمة في مجتمعهم ، كانت وسيلتهم للخروج من هذا المأزق ، الانتقال برواياتهم الى بيئة اخرى ، تعطي مجالا اوسع للحب والغرام (١٨) . ومن صور الهروب الى بيئة اجنبية ، استعارة رضا الحيدري بيئة ايرانية لرواية (الخطيئة) ، وانتقال عبد الكريم عباس في روايته (رجل الاسوار) بين تركيا ومصر ، واستعارة كثير منهم جبال لبنان وسهولها مسرحاً لاحداثهم كما في (بنات الناس - نسرين) .

وقد اغرت الصحراء البعض ليتركوا المجال واسماً امام الشخصيات المغامرة وارتكاب الجرائم كما فعل يحيى عباس في (الثالث) . وليس معنى هروب المؤلفين من البيئة العراقية الى بيئة غير عراقية انهم نجحوا في تصوير هذه البيئة الغريبة عنهم بل العكس هو الصحيح فقد كان همهم اشباع فضول القارئ ، بسلسلة من الاحداث المتشابكة التي تعتمد على المصادفة ، وهذه الاحداث لاتخضع للتفسير والتحليل ولكنها تخضع للقدرية ، وليست مترابطة ترابطاً عضوياً . ولم يركز الكاتب منهم بشعر بضرورة التعبير عن التجربة الانسانية وما تؤدي اليه من الشعور بالبيئة الخاصة والفرد المتميز ، لذلك لم يلجأ الى الاسلوب التصويري الذي يعرض تفاصيل التجربة وجزئياتها ، بل لجأ الى الاسلوب التقريري السردى ، الذي يكتفى بتلخيص الحادثة ، وذكر خطوطها العريضة .

ولما كانت الاحداث متشابهة وتقوم على علاقة غرامية بين حبيبين ،
توضع بينهما الحواجز والعقبات فلا يكاد القارئ يلمح فارقاً كبيراً
بين البيئات المختلفة التي تتحدث عنها هذه الروايات ، بحيث تتشابه
البيئة الايرانية في رواية (الخطيئة) مع البيئة اللبنانية في رواية (من
بنات الناس) مع البيئة العراقية في رواية (فتاة الريف) على سبيل المثال .
وساعد على زيادة هذا التشابه ان علاقة الحب وهي العلاقة التي
تدور عليها الرواية تتشابه في جميع هذه البيئات ، فالعلاقة بين الحبيبين
الخيرين يجب ان تكون طاهرة ومثالية ، سواء اكان الحب في ايران ام
في لبنان ام في العراق . وكل الاتصال بين الحبيبين ولو كان اتصالاً
جدياً لا بد ان يكون طاهراً عفيفاً ، وهذا الاتصال الجدي لا يتعدى
حدود القبل ، ولا بد ان يكون العناق رمزاً للحب الطاهر الذي يجمع
بين الحبيبين ، اما الحب الجسدي الدنس اذا حدث في الرواية فلا بد
ان يكون بين الشخصيات الشريرة وحدها والهروب من الحياة عندهم
مأمون العواقب ، فيتخلص المؤلف من بعض الشخصيات بالموت
او الانتحار ، ولكن مع انتصار عنصر الخير على الشر ، وتموت (نسرين)
بعد ان يهجرها حبيبها خالد ولكنه يعود من اوربا وهو اكثر اخلاصاً
لها (١٩) . وتموت (سماعات) فقيرة معدمة بعد ان انكرها اخوها
بشير ، ولكن بشير مالبث ان عاد مستغفراً وطلق زوجته الاجنبية (٢٠)
وقد يهرب البطل من واقعه الى الانفراد بذاته ، والانطواء على آلام
ربما لا يكون لها وجود في واقع حياته ، واستعذاب هذه الآلام حتى
تصبح عنده غرضاً مقصوداً ، واللجوء الى الطبيعة ليندمج فيها بعيداً عن

(١٩) انظر رواية (نسرين) .

(٢٠) انظر رواية (الشمعة الاخيرة)

الانسان ويبقى يعذب نفسه بالآلام البعد ، ويجرى وراء سراب الوصال
كما فعل (محمود) عندما هجرته زوجته ليلي (٢١) ، وكما فعل
(حمدي) عندما تزوجت (باهرة) من صديقه الطيب وتركته
لوحده وشقائه .

وتعتمد احداث الرواية ورسم شخصياتها عندهم في الغالب على السرد
والتقرير وتتابع الحوادث وتراكبها ، وخضوعها للمقدر والمصادفة (٢٢)
وتدخل المؤلف في السرد بتعليقه على الاحداث واتجاهه الى القارىء
ومخاطبته (٢٣) ، وربطه بين الفصول ربطاً تعسفياً لانعدام الرابطة الحقيقية
(ولا تسلم يا قارئ العزيز عما حل بجواهر - وفاتنا ان نذكر عند
بدئنا ان سمير كان في الصف الخامس الثانوي (٢٤) - نرى ان من
الافضل ان نلقى نظرة على نسرين فسوف نتكلم عنها بعض الشيء في
المستقبل (٢٥)) . ولا تجد فيها تصويراً فنياً لمواقف من الانفعال
تعتمد على الصراع النفسي فتتعمد عناصره وتشد انتباه القارئ ، وتحمله

معها في جوها يعيش فيه لحظة ما ويتدرج معه خطوة حتى تحمل عقدة
(٢١) انظر رواية (فات النهار - ورواية باهرة) .

(٢٢) انظر / عبد الوهاب النعيمي (دموع الوداع) ص ٣٣ - ١٠٢ ،
٦٨ - ٧٢ ، غالب آل يحيى (لقيط بين القصور والاكواخ) .

(٢٣) عبد اللطيف العبادي (نسرين) ص ٤٥ ، حازم مراد (التائهة
التائهة) ص ٧ ، غالب آل يحيى (لقيط بين القصور والاكواخ) ص ٨٥ ،
وهبي حسين (الشمعة الاخيرة) ص ٢١٣ - ٢١٤ .

(٢٤ - ٢٥) عبد الهادي عبد الخالق (ضحية الشهور) ص ٢٢ ، ٢٤ عبد
اللطيف العبادي (نسرين) ص ٤٥ .

الموقف ، وليس فيها تحليل نفسي يغوص الى اعماق النفس الانسانية ويجلو اسرارها ويستخرج مكنوناتها فيكون كل ذلك خطوطاً فنية في رسم الصورة الانسانية لشخصها وليس فيها وصف عميق متتبع للاجزاء الدقيقة التي يكون لتجسمها في رسم الجو الشخصي والجو العام شأن يفوق شأن الكليات الكبيرة . وانما هي اشبه ما تكون بحكاية تعتمد على سرد الحوادث سرداً تقريرياً ووصف الاشخاص وصفاً عاماً مباشراً . ولكي يحقق الكاتب منهم السيطرة والبروز للمحادثة يعتمد الى طريقة مبسطة في رسم المشاهد ويصف المواقع التي تدور فيها الاحداث بحيث تصبح وكأنها ستارة من ستائر المسرح الخلفية كل فائدتها انها تقدم للمشاهد والقارى صورة ملهومة الاطراف ضيقة النطاق يسهل استدراكها واستيعابها وهذه الصورة السريعة الموجزة تلخص للقارى المحيط الذي تتحرك فيه الحوادث وتقلب بين ربوعه الاحداث (٢٦) .

ويدور رسم الشخصيات في اطار ضيق مغلق بحيث تشترك الشخصيات في هذا النوع من الروايات في مجموعة من المظاهر لا تخرج عن اطارها وقد ادى فهم المؤلفين المطلق والمثالي للخير والشر في الانسان ، الى وقوف شخصياتهم جامدة بعضها في وجه بعض ، ويمثل بعضها الخير المطلق ويتمثل في الحبيب وحبيبته ، ويمثل بعضها الاخر الشر المطلق ، الذي يتمثل في اعداء المحبين الذين يضعون العقبات في طريقهما . ولكل جهة من الجبهتين اعوان يتصفون بنفس الصفات ، ولا توسط بين الجبهتين ، وبذلك ينعدم الصراع في نفوس الابطال ، كما ان المؤلف الذي لا يدرك اثر ظروف الفرد وبيئته في شخصيته ، يفقد تبعاً لذلك قدرته على

التحليل والتبرير ، ويظهر الخير والشر عند ابطاله بلا تبرير او تعليل ، ولا يدري لماذا كان هذا البطل خيراً الى هذا الحد ، او شراً الى هذا الحد . وهي شخصيات متشابهة وغير نامية ، لان المؤلف يحكم عليها حكماً نهائياً مطلقاً يستمر من اول الرواية حتى نهايتها . وهو لا يتركها تمارس عملها ، وتنمو وتتطور مع الاحداث ، او يترك للمقايء الحكم على صفاتها من خلال اقوالها وافعالها ، ولكن يطلق عليهم مجموعة من الاحكام التقريرية ، تظل محتفظة بها حتى يسلمها المؤلف الى مصيرها .

وحين يريد المؤلف للشخصية ان تتحول من النقيض الى النقيض خدمة لاغراض الرواية ، هذا التحول الذي يكون غالباً من الشر الى الخير ، فان هذا التحول يكون سريعاً حاسماً ولا يمهد له المؤلف التمهيد الكافي ، كما فعل الكوزهجي بشخصية (بشير) في رواية (الشمعة الاخيرة) . وحازم مراد بشخصية (نبيل) في رواية (التائهة التافهة) وبشخصية (حمدي) في رواية (الى اين تذهبين) وبشخصية « احلام » في رواية (الحب اقوى) ، وكما فعل المشاهدي بشخصية (شفق) في رواية (نبي العذريين في القرن العشرين) كما يسمع صوت الكاتب يصيح مقدراً ان بطله حزين او سعيد ولا نعرف فرحه وحزنه من ذاته ؛ (صممت وقد اغرورقت عينها بالدموع فأخرجت منديلاً ومررت به على عينيها الغائرتين وازافت بصوت طفت عليه الحان الحزن والالم المر - وصممت فترة واشعلت لغافة تبغ واخذت منها نفساً طويلاً - وصممت وتغير لون وجهها وابتلعت ريقها - وتنهدت وازافت - فقالت ليلى مطرقة الرأس .. ثم فتحت فمها واخرجت طرف لسانها من جانب فمها الايسر كآية من آيات التعجب

فابتسمت ليلى .. فتنهدت او كادت (٢٧) كل ذلك في صفحتين فقط
من صفحات الرواية .

ومثل هذا التقدير لا قيمة له لانه ليس جزءاً لا يتجزأ من الحدث
ولذلك فنحن نستطيع ان نقتطعه من الرواية دون ان نخسر شيئاً
مادام لم يأخذ شكل الصورة المجسمة فهو لم يكتسب صفة فردية مميزة .
وتحرك النماذج البشرية التي يعرضونها في الحوادث وهي تامة تعرفها من
اول لحظة لانهم يحسنون تصوير قشرتها الخارجية . فمثلا (سنا) بطلة
رواية (من بنات الناس) ممشوقة القوام مكحولة العينين اثيلة الفرع ،
دقيقة الغم والانف ولو انها اقرب الى البياض منه الى السمرة (٢٨)
وحسن في قصة الثالث رجل صلب لا يخاف على نفسه من الموت ، ذونفس
شريفة عالية (٢٩) واناheid في رواية (اناheid) كأنها ملاك هبط من الجنة ، وكان
ثيابها الناصعة اجنحة ملائكية جاءت تظلل القلوب الكسيرة الحزينة وتفيض
عليها بالرحمة والحب والحنان (٣٠) ونبيل في (التائهة التافهة) :
شاب انيق بلا اناقة ، تلوح معالم الرجولة من خلال الفاظه المتزنة
بالمحكمة والفاسفة العميقة (٣١) . وفريدة في (عبث الشياطين) : فتاة
في مقتبل العمر وفي ريعان الشباب بعينيها الدعجاوين وعودها الفارع
وجسدها الغض النضر المحتلىء بالنشوة والحيوية وبهديها الكرويين اللذين

(٢٧) (مات النهار) ص ٢٣ - ٢٦ .

(٢٨) (من بنات الناس) ص ٤٠ .

(٢٩) يحيى عباس (الثالث) ص ٦١ .

(٣٠) عبد الله نيازي (اناheid) ص ٢٧ .

(٣١) حازم مراد (التائهة التافهة) ص ١١

يشبهان الرمان الناضج وهما يترنحان ويهتززان كما تهتز الكلمة - الجلى -
في الطباق (٣٢) . وسلمى في (صرخة العمالقة) : اجمل صبايا القرية
بلا منافسة وكأنها آية في الجمال ومعجزة للحلاوة حتى غدت الورود
تحسدها في الجمال والربيع يخاطب روحها بهمسات النسمات . واحمد
شاب جميل ومرح ذو عضلات قوية فولاذية (٣٣) .

وشعار بطلاتهم دائماً ما قالتها سنا (انا البائسة الولي ، بالامس
كنت اسعد مخلوقة في دنياي واليوم اصبحت الاشقى اكابد مضى
الوحشة في عيشتي القاحلة الشائكة المملة) (٣٤) . وشعار ابطالهم
دائماً ما قاله فؤاد (ليتها تعلم ان سعادتي الان اضحت فائرة مجمدة يشوبها
الكآبة والاشجان واصبح قلبي المكوم ضامراً ناراً على رماد مغطى من
آثار ذلك الحب الذي سيدوم الى سر مدية الحياة) (٣٥) .

وتسخر الشخصيات لتعقيد الحوادث وتوليدها ، وليس لها قيمة
خاصة في ذاتها ، ولهذا فانها لاتسلك مسلك الاحياء الذين نقابلهم في
حياتنا بل تمضي على صورة خاصة يرسمها لها المؤلف ، حتى تكون
مطية ذلولا للحوادث والمفاجآت ، وبمقدار ما يوفق الكاتب في خلق
شخصياته ، وجعلها حية قوية الحضور تمشي على صفحات روايته كما
تمشي على سطح الارض ، وتتفاعل مع الاحداث تفاعلاً طبيعياً صادقاً ،
يصل بها الى النهاية التي يفضى بها اليها واقعها في الحياة دون تطفل خارجي

(٣٢) سيف الدين اسماعيل (عبث الشياطين) ص ٧ .

(٣٣) احمد صبحي (صرخة العمالقة) ص ١٠ .

(٣٤) عربي عراقي (من بنات الناس) ص ١٠١ .

(٣٥) جميل حمزة (القلوب المتوجعة) ص ٦٤ .

او تحكم من المؤلف او الزام بمقدار ما يوفق المؤلف الى ذلك تكون روايته ناجحة ، ويكون قد نفذ الى قلوب قرائه ووصل بينهم وبين اشخاصه وصلا يجعلهم غير قادرين على نسيانهم .

واعتماد الكاتب منهم ان يختار شخصياته الخيرة من القطاع الذي يرتاح اليه ويتعاطف معه ، وبهذه الوسيلة يستطيع ان ينقل الى القارىء ميوله وعواطفه ، فقد اختار يحيى عباس في (الثالث) شخصية فلاح فقير ، وتعاطف معها الى ابعد الحدود ، واختار للشخصية الشريرة (الاقطاعي وابنه) لان المؤلف (مهني بسيط حرم التعليم صغيراً وذاق مرارة العيش كثيراً) (٣٦) واختار عربي عراقي في روايته (من بنات الناس) شخصية بغى يهجرها حبيبها وتموت وتعاطف المؤلف معها وثار في نفسه عن حياة واحدة من بنات الناس ، بعد ان قرأ في صحيفة خبراً مفاده انتحار بغى . وكأنه عالم بأمرها (فالحياة تهاوت بها ، فساقته الى الرذيلة ، وذاتت شقاءها ، فلما ارادت النجاة ، حيل بينها وبين الحياة) (٣٧) . ويكتب المؤلف روايته بحقد شديد على المجتمع ، الذي يخلق ضحاياها ، ثم يقودهم قرايين على محراب تخلفه وفساده .

ولانقسام الشخصيات الرئيسية عندهم الى شخصيات شريرة وشخصيات خيرة ، اصبح من اللازم ان تنقسم الشخصيات الثانوية الى شخصيات خيرة واخرى شريرة لان الشخصية الخيرة في حاجة الى اعوان يساعدونها على الخير ، والشخصية الشريرة في حاجة الى اعوان كذلك يساعدونها على الشر .

والتنوع اكبر فيما يتصل بالشخصيات الشريرة التي نجد فيها شخصية العجوز الماكرة التي تدفع الفتية الى السقوط (٣٨) او التي تفرق بين حبيبين (٣٩) ، او الشاب المستهتر الذي يوقع بالفتيات البريئات ثم يهجرهن ، بعد ان يقضي وطره منهن (٤٠) ، او رئيس الدائرة الذي يستغل موظفاته الفقيرات ، ويعيث بهن (٤١) ، او الاب القاسي الذي يفرق بين قلبين متآلفين (٤٢) او الاقطاعي المستغل (٤٣). وحين نتكلم شخصياتهم لا نتحدث بلسان نفسها ولا بمستواها وانما نتحدث بمستوى المؤلف نفسه وبالاقوال التي يفرضها عليها ، اذ يجري لطيف عبد الحسين على لسان الخادم حديثاً عميقاً لا يناسب مستواه الفكري والاجتماعي (سيدي عفوك كيف يطلب الانسان الموت وللحياة وجه مشرق عليه نور السعادة مهما كانت الظروف خلق الانسان للعمل للفن للحب للجمال) (٤٤) ويجري على لسان امرأة جاهلة حديثاً عن اللانهاية (- الفلسفة يا اماماء عالم ضخم فيه الملايين من علامات الاستفهام كمصاييح وردية تنير الدرب الى حيث الطهارة والنقاء والصفاء . وكذلك الذي جاء في كلامك ، عالم من اللانهاية الساكنة حيث طهارة الجسد والنفس وصفاء العقل حيث نقاء الروح الكامل الذي

(٣٨) انظر من بنات الناس

(٣٩) انظر نهاية حب واناheid .

(٤٠) انظر الثالوث ودموع الوداع .

(٤١) انظر التائهة التافهة واين تذهبين .

(٤٢) انظر فتاة الريف والقلوب المتوجعة .

(٤٣) انظر الثالوث ولقيط بين القصور والاكواخ .

(٤٤) مات النهار ص ١٠٢ .

يشعر المرء واياه من انه قريب من روح الحياة) (٤٥) . ويجعل مؤلف
(من بنات الناس) بطلة البغي الجاهلة (سنا) تدون في مذكراتها
(فما حيلتي وتلك ذنوب النظم الغاشمة التي لا تجلوها يد وحيدة
كيدي فعسى ان تشرق الشمس فنرى نورها ساطعاً مشرقاً في كل نفس
وكل مكان) (٤٦) .

وقد يلجأون الى الاسلوب التقريري في السرد ، فهم عند تعرضهم
للحادثة لا يصورون تفاصيلها الدقيقة لكنهم يقتصرون على تقديمها الى
القارئ موجزة مضغوطة وقد كان قراؤهم الذين لا يتمتعون بثقافة
حقيقية وعميقة جديرين بأن يحسوا بالملل ، لو لجأ المؤلف الى العناية
بتفاصيل الحادثة وجزئياتها الدقيقة (٤٧) .

وحين يلجأ المؤلف في بعض الاحيان الى تصوير بعض المواقف ،
فانه يعتمد الى تقديم الصور الكلاسيكية المعروفة التي تخلو من الابتكار
والتجديد ، ولناخذ على سبيل المثال لقاء عاشقين بعد غياب طويل في
رواية القلوب المتوجعة « كانت سميرة ونحن نسير بذلك الطريق وتبادل
اطراف احاديث اشواقنا تبادلني النظرات المليئة بالحنان والانعطاف
والرقة ، كانت تستمع الى وتسير بهيبة وخيلاء الى جانبي وقد ارضى
غرورها ما سمعته من شفاء حبيبته وضغطت على يدها الباردة
البضة التي كانت غافية في مأمن بين كهف اصابعي وراحة
يدي ، فأجابتنني والابتسامة الجميلة البيضاء تضيء وجهها البراق وتزيل

(٤٥) (مات النهار) ص ٣٥ .

(٤٦) من بنات الناس ص ٩٦ .

(٤٧) عبد المحسن طه بدر ص ١٦٢ .

عنه علامات الاسى وملامح القنوط والخوف من المستقل» (٤٨) . ولقاء
هاشقين في رواية فتاة الريف « وقفت برهة جامداً خاشعاً امام صفاء
وقوف شحيح ضاع في التراب خاتمه . وهي ساهمة حاملة ، واعتزنتي
قشعريرة حادة وتقدمت بخطوات مرتبكة من صفاء ووضعت يدي بيدها
التي لمست بها لأول مرة وكانت حارة مرتعشة وتبدلت بيننا النظرات
والابتسامات وكل منا مأخوذ على امره » (٤٩) او تصوير الفجعية
لموت حبيبته « ياللفاجعة ياللمصيبة ، لقد ماتت صفاء ، اجل ماتت
صفاء نبراس حياتي ولذا نذ ذكرياتي ، الصورة الجميلة التي اطلع اليها
واقبل عليها ، صفاء التي سعدت ببشائر حبها وامتزجت روحي بروحها
وتقمص قلبي قلبها ففدت مبعث مسراتي ومتعة حياتي ، في ماضيها
وحاضرها » (٥٠) .

وتقتصر هذه النماذج التي ذكرناها على سبيل المثال ، على مجموعة
عامة من الاوصاف وعلى بعض الصور الكلاسيكية التي اصبحت مستهلكة
من كثرة التداول والاستعمال . ومثل هذا الاسلوب يساعد على تشابه
البيئات والمواقف في هذا النوع من الروايات ، لانه يلجأ الى الاوصاف
العامة المألوفة ، ولا يحدد الالوان والخطوط التي تفصل بين بيئة
وبيئة ، وبين موقف وموقف ، بل يقدم مواقف روتينية مكررة ، تتعارض
مع خصب الحياة وتنوعها ، وتجمد الحياة بأسرها في لوحة جامدة تغلو
من الظلال .

والفرق الذي نلمحه بين اساليب الكتاب لا يرجع الى طبيعة
الرواية بل الى تمكن المؤلف من اللغة او عدم تمكنه منها ، والى الدرجة

(٤٨) (القلوب المتوجعة) ص ٦٩ .

(٤٩-٥٠) (فتاة الريف) ص ٧٦ ، ١٦٠ .

التي وصل اليها في ثقافته العربية ، وبينما نجد قوة في اسلوب الروايات التالية ؛ (من بنات الناس - فتاة الريف - شيخ القبيلة - باهرة - في سبيل الخلود - نسرين - لقيط بين الاكواخ والقصور) ، نجد في الاخرى ضعفاً واضحاً في الاسلوب وتهافتاً وركاكة (٥١) وشيوعاً في الاخطاء الاملائية ولناخذ رواية (العذاب) على سبيل المثال ، فنجد ان الاخطاء والركاكة تشيعان في صفحاتها (وهو يعاني من اوجاع مرضه آلاماً والادوية المريرة فيه تذهب دون جدوى - لا يهتمني ولا بساعة ولا يرأف بي ولا بلحظة لالم اجن بعد - كانت تمسك اشواقها وتبته بعضها - فلم يشأ ان يتبصر بعيداً فحكم ان فيك نهاية العالم ولذا انحصرت نفسي فيك فيممت شطرقبلتك الازلية فأيقنت بالحب ايقاناً صادقاً) (٥٢) .

وقد لا تجد الشخصية وسيلة للتعبير عن مشاعرها الا في ترديد مقطوعات من الشعر (٥٣) (فارتسمت على محيا لؤي ابتسامة السخرية

(٥١) زكي حسن (العذاب) ص ٧ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٨ . احمد شهاب (نبي العذريين في القرن العشرين) ص ٢٠ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٧٣ ، صبري عبد الله (البنادق المسروقة) ص ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٥٢ . نجم سلمان (مأساة طفلة) ص ١١ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٤٩ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٩٠ ، ٣٦ ، ٤٤ ، ٤٤ ، ٥٤ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٨ . عبد اللطيف الحسين (مات النهار) ص ١٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٤٥ ، ١٠٠ ، ١١٦ ، ١٣١ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ١٨٤ .

(٥٢) زكي حسن (العذاب) ص ٨ ، ١٧ ، ٢١ ، ٤٨ - ٤٩ .
(٥٣) شهاب احمد (نبي العذريين في القرن العشرين) ص ٢٦ ، ٤٧ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٩١ ، ١٠٢ . صبري عبد الله (البنادق المسروقة) ص ٤ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ١٠٣ ، ١١١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٥٤ . صاحب الصباغ (في سبيل

والاستهزاء من امثال هؤلاء القوم وقال :

يمشي الفقير وكل شيء ضده والناس تغلق دونه ابوابها
هذا يعيبه وهذا يهينه ويرى العداوة لا يرى اسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذابزة هشت اليه ولوحت اذناها
واذا رأت يوماً فقيراً معدماً نبحت عليه وكشرت انيابها (٥٤)
وهو شعر غث ضعيف . او تعجز عن الكلام نهائياً ، فتصيبها حالات
الاغماء (٥٥) بمناسبة وبدون مناسبة ، وهو طابع المزاج الشعبي في
تصور الحب عموماً . وهذا الاغماء الشائع في هذه الروايات ناتج عن
عجز الشخصية عن التوفيق بين القدرة والامل اللذين يتعارضان
فيشقى الفرد بهذا التعارض ويظل يشقى شقاء لا مفر منه الا بأحد
المرين ، اما ان يغير الفرد طبيعته ويتخلص من آماله ورغباته او يغير
الاشياء من طبائعها بحيث يستجيب لتلك الآمال والرغبات . ولما كان
كلا الامرين عسيراً ، فان هذا الشقاء يصبح ضرورة ، وظاهرة الاغماء
انعكاس لهذا الشقاء .

وقد شاع استعمال النعمة الخطابية (٥٦) ، في اساليبهم لانها وسيلة

الخلود) ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٥٨ ، ٦٨ ، ٧٣ ، غالب على الداودي (يا ظالماني)
ص ٧١ ، ٧٢ ، ناجية حمدي (٤ نساء) ص ٤١ ، ٤٤ .

(٥٤) صاحب الصباغ (في سبيل الخلود) ص ٤٠ .

(٥٥) انظر ! احمد شهاب (ني العذريين في القرن العشرين) ، عبد الهادي

عبد الخالق العزاوي (ضحية التمور) .

(٥٦) نجم سلمان (مأساة طفلة) ص ٤٩ - ٥٠ صاحب الصباغ (في سبيل

الخلود) ص ٤٨ ، ٥٥ - ٥٨ ، ١٤٧ . غالب علي (يا ظالماني) ص ٦٠ . وهي

حسين (الشمعة الاخيرة) ص ١٢ - ١٣ ، ٢١٣ - ٢١٤ . ناجية حمدي (٤ نساء)

ناجعة للاخلاقية التي يهدف اليها هؤلاء الكتاب . وقد تأتي هذه المواظ على لسان المؤلف عن طريق تدخله المباشر ، او على لسان الشخصيات التي ينطقها بما يريد ليعط قارئه او لينبئه الى غرابة الاحداث التي يقدمها له ، او ليعلق عليها بحكمة او بشعر . وهم في خطبهم ينسون الزمان والمكان وطبيعة الشخصية ، ويصبحون وجهاً لوجه امام القارئ ليلقوا عليه دروسهم وعظاتهم ، ويستثيروا فيه الحماسة والنخوة والشعور الوطني والقومي (٥٧) . وقد يرتفع الاسلوب عند البعض الآخر الى مستوى التهويمات الشعرية والتموجات العاطفية (٥٨) «... شاهدت نهاري يدفن في حفرة كالشريد من غير كفن .. وهنا يكمن سبب حزني اللانهائي .. انا الآن رجل بلا نهار .. بلا حياة .. فالحياة هي النور . والنور هو النهار الابيض .. وانا رجل مات منه النهار والشمس والقمر والنجوم والاشجار .. عالم فيه ظلام وفيه حرمان .. وفيه سماء وشمس وقمر ونجوم ولكن من نوع آخر

ص ٣٧ - ٣٨ ، ٤٥ ، ٨٧ .

(٥٧) صاحب الصباغ (في سبيل الخلود) ص ٥٥ - ٥٨ ، عربي عراقي (من بنات الناس) ص ٨ ، ٩ ، ٦ ، ٧٨ - ٧٩ . وهي كوزة جي (الشمعة الاخيرة) ص ٧ - ٨ . يحيى عباس (الثالث) ص ٦٦ - ٦٧ ، ٥٩ . عبد الله حلمي (فتاة الريف) ص ٢٥ ، ٤٧ - ٤٨ .

(٥٨) رضاء الدين الحيدري (الخطيئة) ص ٢٦ ، ٧٣ ، ٧٥ ، احمد صبحي (التائهون) ص ٣٥ ، ٣٩ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٦٤ . وهي كوزة جي (الشمعة الاخيرة) ص ٢٣ ، ٤٥ - ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ . عبد اللطيف الحسين (مات النهار) ص ٤٣ - ١٤٤ .

جميل» (٥٩) . وقد استخدم بعضهم اسلوب الرسائل (٦٠) . والبعض الآخر اسلوب المذكرات (٦١) كما استخدم آخرون ضمير المتكلم (٦٢) . وقد يسف الاسلوب فيتدنى الى استعمال اوصاف وتشبيهات غير مناسبة بالاضافة الى الركاكة والاختطاء اللغوية (لاضعها بين يديك العبلالوين) (٦٣) ، وانتعشت شعيرات قلبه المنكمشة (٦٤) ، انا كنت ككرة نطنطت (٦٥) .

ولم يهدف كتاب هذا الاتجاه في لغتهم الى تقديم لغة فنية ، بل كانوا يهدفون الى تقديم رواياتهم بلغة يستطيع القراء فهمها ، واللغة الغالبة على أسلوبهم ، لغة الاسلوب الصحفي الذي يتجه الى السهولة ، وبمجرد إيصال المعنى الى القارئ بأسهل الطرق ، وهو لذلك لا يخلو من

(٥٩) (مات النهار) ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(٦٠) زكي حسن (العذاب) ص ٢٢ - ٢٣ ، ٣٢ . احمد شهاب (نبي العذريين في القرن العشرين) ص ٦٦ ، ٧١ ، ٧٣ - ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ١٠٠ . صاحب الصباغ (في سبيل الخلود) ص ٣٢ ، ٨٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١١٥ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣٦ . غالب علي (يا ظالمني) ص ١٨ ، ٢٠ - ٢٠ - ٤٧ - ٦٦ ، ٦٧ - ٦٩ ، ٧٠ . ناجية حمدي (٤ نساء) ص ٦١ .

(٦١) (من بنات الناس) ٩٥ - ١١٨ . عبد الله نيازي (نهاية حب) ٧٥ - ٧٧ .

(٦٢) نهاية حب ، اناهيد ، فتاة الريف ، طريق الدموع ، القلوب المتوجعة .

(٦٣) (نبي العذريين في القرن العشرين) ص ٥٠ .

(٦٤) (الثالوث) ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٦٥) (مأساة طفلة) ص ٢٦ .

محاولة لاستعمال بعض الالفاظ العامية ، وتعريبها (٦٤) ، او من ركافة في التعبير . ومشكلتهم انهم لم يفهموا بعد عبقرية اللغة العربية وطواعيتها ، ولم يدركوا ادراكا واعياً قوتها على الاداء والتعبير ، لذلك جاءت رواياتهم مفتقرة الى مقومات الفن الاصيل .

كما تتأثر لغة الحوار عندهم بمستوى لغتهم في السرد ، وهذا مقطع يوضح لنا ذلك (وطرق سمعها صوت سميرة قائلة : ليلى أنتظرين الى المصباح ؟ انه جميل لكنه قبيح ، قبيح جداً . فهااته الجميلة تجذب الفراش ليحترق . وابتسمت ليلى وهي تنظر الى هالة المصباح الساحر التي فتنت الفراش الذي اخذ يقترب من المصباح بشوق ، واستطردت سميرة قائلة : ليلى ، الفراش يقترب من المصباح بنهم يا للمسكين ، حبه يدفعه الى الفناء .

فقالت ليلى وهي تشاهد الفراش يحلق راقصاً حالماً بالسعادة وهو يقترب من النور ؛ ما ذنب المصباح انه جميل وهذا شيء حسن ولكن هذا الفراش يقصد هذا الجمال ليموت .
- الفراش لا يعلم هذه النهاية .

فتنهدت ليلى وقالت : لماذا ؟ بي حاجة ان اعرف سر ذلك .
- الفراش يشعر وكأنه بمنجاة عن التعاسة ويشعر وكأنه فوق ما يسمونه بالالم ، لا شيء الا لانه بالقرب من النور لان النور احب شيء للفراش .

- هنا يكمن خطأ العاشق يا سميرة .
فاجأبتها سميرة وهي تمر بيدها على شعرها الاشقر : نعم العاشق

بالقرب من حبه اكثر بني البشر عاطفة ورقة واحساساً، حتى ان نظرقه الى مشاكل الحياة تكاد تكون نظرة عاطفية محضة اكثر منها عقلية دائماً لانه يكون محروماً من التفكير العميق .

- هذا ليس حباً بل جريمة، جريمة ان لم يتحول المصباح الى شيء لا نور فيه من اجل ان يعيش الفراش . وتنهدت وازافت بصوت محزون ! الفراش الذي يعبد نور المصباح أليس كذلك ؟ .

ومرت الكلمات على مسمع سميرة وكأشياء ضخمة ضخامة المحيط واذهلته حرارة ليلي وجدها وصرامتها وهي تتكلم هذه الجمل الكبيرة في المعاني فبقيت حائرة بماذا تجيب ، وكمن يهرب من حراجة الموقف قالت : الحياة خضم متلاطم كل شيء جائز فيه ، خضم يجعل من غاية المرء وسيلة لتدمير المرء نفسه (٦٧) .

وكان الاجدر بهم ان يعبروا تعبيراً منظماً يرفع بالاحداث الى الامام على لسان هذه الشخصية ، ويخلطوا الحركة التي تبث الحياة عن طريقها وينظموا الحوار المتدافع بعنف تارة ، والاسن تارة اخرى بما يتناسب مع الموقف ، وليست مهمتهم ان يتكلموا على لسان الشخصية دون ان ترى الشخصية رؤية واضحة .

وقد يستعملون الحوار لا لخدمة الحدث ، ولا لمساعدة على تطويره ، فيأتي بلا نافع لا فائدة منه ولا قيمة له (٦٨) . حتى انه اذا اقتطع من

(٦٧) عبد اللطيف الحسين (مات النهار) ٧٣ - ٧٥ .

(٦٨) (فتاة الريف) ص ٧٥ - ٧٨ ، ٩٢ - ٩٦ ، ١٢٢ - ١٢٩ . حازم مراد

(التائمه التافهه) ص ١٥ ، ٧٤ - ٧٥ ، (اين تذهبين) ص ٤٤ ، ٥٠ - ٥١ .

(من بنات الناس) ص ٢٤ . (نبي العذريين في القرن العشرين) ص ٣٧ - ٢٣

١٠٨ - ١١٣ .

الرواية لا يؤثر فيها شيئاً بل على العكس يريح القارئ ، ويخلصه من كلام لا نفع فيه . وهذا حوار عقده حازم مراد في روايته (اين تذهبين) بين بطلة القصة (كوثر) وصديقتها زبيدة - (هل تعجبك هذه الغرفة ؟ - جداً .

- انها صغيرة أليست كذلك ؟ .

- بل كبيرة علينا أنا وأنت . . وتجاوب الى سمعها صوت سعدي ينادي من خلف الباب : - زبيدة .
- نعم .

- هل تستطيع ان ادخل ؟ .

- بامكانك لو شئت .

- هل من مساعدة ؟ .

- مساعدة كبيرة ان تخرج وتغلق الباب من خلفك (٦٩) .

ويلجأ البعض الى استعمال الحوار العامي ، ظناً منه انه يعطي للشخصية جميع ابعادها ، ولكن معظم هذه المحاولات بامت بالفشل . ولناخذ على سبيل المثال ما اورده عبد الله حلمي في روايته (فتاة الريف) (- عيوني ويا من تعاركت ؟ اول تالي انت تتعارك بالدروب ، أخاف المعلم ضربك انزول نزله ؟ لكن انت مو من التلاميذ الي ينضربون بالمدرسة ؟ بس وين صارت هاي الدكة حتى نرشك الماي والملح ونحرك البخور بمكانها وكنت المغرب ؟ ثم استطردت قائلة : ان شاء الله تنكسر ركبته وايدته كلمن مد ايد على ابني وخلاه نايم بالفراش . وهنارفعت خالتي يدها قائلة : آمين يا رب العالمين . الا انني قلت بصوت

ضعيف ؛ لالا . . وقد سمع الطبيب يقول لامي لا بد وانه تعرض لحرارة الشمس (٧٠) . فقد جعل المؤلف امه وخالته وجدته فقط يتكلمن العامة وتتكلم باقي الشخصيات الفصحى حتى الخدم ، وهذا استخدام سيء للعامة ، وكان الاجدر به ان يدع الشخصيات غير المتعلمة تتكلم العامة والشخصيات المتعلمة تنكلم الفصحى ما دام تد استخدم هذه الطريقة في الحوار . . .



وخير من يمثل هذا الاتجاه في الرواية العراقية الحديثة (عبد الله نيازي) في روايتيه (نهاية حب) عام ١٩٤٩ و (اناهيد) عام ١٩٥٣ ويتناول المؤلف فيهما حوادث الحياة ببساطتها التامة دون ان يشبعها بالغنية المطلوبة . ويغلب عليه فيهما طابع السرعة وتسعفه في ذلك ذاكرة عجيبة ، تمده بحوادث الايام ، ونوائب الدهر . ولا عجب ان يتأثر أسلوبه بتلك السرعة حتى يهبط الى المستوى الصحفي احيانا ، ويعتمد على المبالغة والتهويل وتضخيم العواطف والافعال .

ونلمس في روايتيه هوة سحيقة بين واقع الشخصيات واحلامها ، فهي شخصيات يمضها الواقع المؤلم ، ويحزنها ما فيه من قيود وعادات وتقاليد ، تقف حائلا امام سعادتها وانطلاقها ، فتهرب من عالمها هذا الى عالم الاحلام ، حيث تكسر فيه القيود وتحطم العوائق ، ولكنها ما تلبث ان تكتشف الهوة بين الواقع والحلم فتنتطوي على نفسها وتجتزأ لاما ويدفعها عجزها عن مصارعة الحياة الى الاغراق في الآلام والاحزان وكأنها تلتذ بها .

وقد اتخذ (نيازي) فن الرواية وسيلة للتعبير عن ذاته ، وكشف نفسه ، وثورته ، ومطالبته بالحرية ، والتحرر من القيود الاجتماعية ، ويعقب ثورته تلك بالشكوى والتشاؤم والسلبية ، وقد يجد في شقائه نوعاً ونبلاً رغم محاولته الهرب من ارزاء تلك الحياة .

ويدور محور الروایتين حول احداث غريبة ، تعتمد على المصادفات المدممة من غير خضوع لتخطيط معين بل تجريان في حرية واسترسال تسوقان فكرة معينة او تعكسان حالة نفسية .

يحدثنا المؤلف في روايته الاولى (نهاية حب) اول ما يحدثنا عن (عمر افندي) الموظف الصغير في قرية نائية من قرى الجنوب عرف بحسن الخلق وقناعة النفس ، كان يرفض الزواج اول الامر ، ولكنه رضي اخيراً أن يتزوج فتاة تركية تصغره بسنين كثيرة فأنجب منها بنين وبنات ثم نفس عليه زملاءه مكائنه وعلو مركزه فدبت عقارب السعاية ، وحملت الوشايات الملفقة الى رئيسه حتى فصل من وظيفته ثم اجريت له عملية استئصال الزائدة الدودية ، وتشاء الاقدار ان يحقنه الطبيب خطأ بسم يقضي عليه . وشقيت الأم بتربية ابنائها واستطاعت بمساعدة اخ زوجها ان تحصل على وظيفة معلمة في مدرسة في بغداد ، وتحسنت حالة الاسرة الصغيرة بعض الشيء ، وتقدم الصغار في دراستهم عدا الولد الكبير (عادل) فقد كان طالباً خاملاً في الدراسة ، سعى له عمه فوجد له وظيفة بمرتب صغير يتعيش منه . وحين شبت الابنة البكر عن الطوق ، تقدم الى خطبتها شاب رضيت به الام صهرراً لها ، واضطرت ان تصحب ابنتها الى مقر وظيفة الزوج تاركة ابنها الكبير يقاسي آلام الوحدة الا انه وجد في بيت خالته بعض السلوى ، واحب ابنتها وحينما تقدم لخطبتها

رفض طلبه ، وحز في نفسه ذلك الرفض ولكن الحب الذي اضطرم في قلب الفتى وجد له متنفساً في المطالعات الادبية ، وهكذا كانت نهاية حبه ذكرى حلوة جميلة يستمد منها القوة في انتهاج مسلك الادباء . ولا تخرج الرواية الثانية (اناهيد) عن هذا المضمون ايضاً .

والعقدة في هاتين الروايتين ، هي العقدة التقليدية ، شاب يحال بينه وبين حبيبته ، لتحقيق منفعة مادية تعود على ذوي الفتاة فيقضي عمره غماً والمأ وحسرة ولا ينفع شيء في تعزيبته . والتركيز حول هذه العقدة الروائية لا يعني ضحالة الخيال بقدر ما يعني التنفيس عن الكبت الفكري والاجتماعي والاقتصادي الذي تعانيه الطبقة المتوسطة في العراق .

وقد انعزل المؤلف بذاته وتفرد بالآلامه ولم يفعل بالمجتمع الذي عاش فيه . فقد كان موقف البطل موقفاً سلبياً جامداً منذ البدء حتى النهاية ، فهو لم يحاول ولم يفكر في ان يثور على الوضع ، ولم يفعل الا ان يتألم ويتعذب ويمضي حياة جامدة خالية من اي معنى . وقد كان البطلان - عادل ونهاد - شخصيتين انانيتين ذاتيتين ، ضلتي التجربة النفسية محدودتي الافق مخنوقتي النزعة الانسانية ، لم تحملا لواء الصراع في مجتمع لا يجدي فيه غير الصراع . ويغلب على الروايتين الجانب السلبي اي الجانب الوصفي التقريري لواقع فاسد ولنفوس محطمة وسط ظروف مكدودة هي نفوس هؤلاء الناس العاطفين المضيعين . ونلمس فيهما الفرد العراقي المندفع بكل آلامه وآماله وعقده التي ولدتها قيود المجتمع الثقيلة التي سحقته تحت عجلاتها .

فيهرب من واقعه الى عالم الخيال ، ينشد الحرية من هذه القيود ، فلا يجد غير الاحلام يلجأ اليها ويتدفأ بصدرها الحنون ، ليستيقظ

ثانية وعلى حين غرة من حلمه اللذيذ ، فيجد نفسه معلقاً بين الارض
والسمااء يخشى السقوط والانسحاق لانه يعجز عن التوفيق بين القدرة
والامل اللذين يتعارضان اشد التعارض فيشقى بهذا التعارض .

ولم يدرك المؤلف ان فنية الرواية ليست في التزامها الصدق في
وصف مسرح الحوادث بل التحوير بما يحمل هذا الواقع نزوعاً ينبغي
الا يخلو من مثالية . والروايتان مليئتان بالعواطف المفتعلة والاحاسيس
المبتسرة ، التي لا طبع فيها ولا تلقائية ، بل افتعال ومبالغة وتناقض
وسطحية في المعالجة القصصية وبطء في الحركة ، فقد اعتمد المؤلف على
الحديث ، واستعان بالخيال يجمع به شتات الموضوع . كما لا تخلوان من
الحشو والفضول . وقد تدخل المؤلف في السرد لابداء رأي او تقديم
عظة .

وقد حفلت الرواية الاولى (نهاية حب) بالكثير من المبالغة والبعد
عن الواقع ؛ فليس مفهوماً ان يفصل شخص من وظيفة بناء على وشاية
مغرضة ، دون ان تشفع له خدماته الطويلة وسمعته الحسنة (٧١) ، كما
يستبعد وقوع خطأ كهذا الخطأ الذي وقع فيه الطبيب وأدى الى وفاة
المريض ، اذ ليس معقولاً ان تترك حقنة ملئت سابقاً بسم اعد لقتل
كلب مسعور في غرفة العمليات كما لا يعقل ان يجهش رجل بالبكاء
في حربة ركاب عامة (٧٢) ، ولا يصح ان تنقلب عاطفة الام الحنون
هذا الانقلاب الفجائي من النقيض الى النقيض ، فقد كانت شديدة
العطف على اولادها ، تسهر على راحتهم ، وتحرص على مستقبلهم ، فما
بالها تقابل ابنها الكبير بهذا الجفاء وتلك القطيعة . كما يؤخذ عليه

اسرافه في التفاصيل ووقوفه عند التافه منها حتى انه ليذكر ان مدير المدرسة اخذ بيد الولد وارشده الى الصف بعد ان تم قبوله في المدرسة .
والى هذا الرأي ذهب عبد القادر حسن امين (٧٣) .

ويظهر التناقض والضعف واضحين في روايته (اناهيدي) ، فهو يبدأها بقوله (كانت الطيوف تراوده كما تراود شخصاً ينتظره مجهول خيف ولكنه ما كان يقيم لاحاسيسه هذه وزناً ولا لشعوره اهمية . . وما هذه الطيوف السوداء التي تراوده ماهي الا ظلال نفسه الكثيبة التي لا تنعم بغير الحزن ولا ترضى بغير الشقاء والتي قد يبلغ الامر بها في بعض الاحيان ان تخلق الحزن خلقاً وتوقظ الالم الدفين لتعيش ساعة في جحيم من الاحساس العنيف) (٧٤) ، ورغم التناقض الظاهر في هذه العبارة حيث يبدأ بالقول انه لا يقيم وزناً لاحاسيسه ولكنه ما يلبث ان يقول انه لا يعيش الا في هذه الاحاسيس الحزينة . نجد صورة صحيحة لهذا البطل الذي لا يرضى بغير الشقاء ويخلق الحزن خلقاً ليعيش في جحيم من الاحساس العنيف ، والروايتان تقومـان على اصطناع الجو الحزين لانسان يعيش حياته في شقاء وفاجعة ، ويحس نهاد بالاسى والحزن وهو في طريقه الى دار عمته ، وحين يخرج من هندها يحس انه يودعها الى الابد ولا داعي لهذا الاحساس لانها لم تخبره بخطوبة حبيبته ، وهو يحزن لشقاء والد اناهيدي ، ولضيق ذات يده ، ولكنه يقول بعد صفحات قليلة من قوله السابق (ولقد كان يسعد حين يرى ان الذين قوضوا حياته يتألمون ويتعذبون . .) .

(٧٣) انظار (القصص) ص ١١٩ .

(٧٤) (اناهيدي) ص ٩ .

ويتخلل الروايتان كثير من السرد غير المحبوك والاحساسات غير الناضجة والتعابير التي لا تتفق والسرد القصصي ، بل هي عبارات ينفث فيها الكاتب آراءه ، وعواطفه على لسان أبطاله . لحرصه على التعبير عن نفسه وعرض افكاره ، ولم تخل من نصائح تعاليمية يقدمها الى الآباء يحثهم على السماح لاولادهم الصغار باللعب لانه يفيدهم ويزيد نفعهم بأنفسهم (٧٥) . ويدعو الناس الى الانصراف الى القراءة والدرس (٧٦) .

والآراء التي يوردها (نيازي) آراء فجة مبتسرة ، ولناخذ على سبيل المثال قصة انقطاع الخيط ، وفلسفة العمياء السعيدة ، وفلسفة شرب الخمر (٧٧) . كما يتصف عرضه لواقع المجتمع العراقي بالضحالة والسطحية « ايه .. هذه هي الحياة او قل انها هكذا في الشرق وحده يقبلون على الواحد منا اذا كان جيبه عامراً ويشغل منصباً مرموقاً وان كان من الحطة والقذارة بحيث تزكمت رائحة افعاله الكريمة . ويبتعدون عن الانسان الذي تفوح منه رائحة العفة والطهارة والشرف كما يفوح الشذى من الاوراد اذا كان خالي الوفاض ولا يشغل منصباً مرموقاً ، ايه هكذا هم الناس وقد اسميتهم كذلك بجازاً فليس هم اناس بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة » (٧٨) .

وقد عجز المؤلف عن خلق جو او عالم متميز واضح الابعاد والخطوط (٧٩) ، والروايتان متكلفتا العاطفة (فنهاد) لا يفعل شيئاً غير ذرف الدموع في كل وقت ، تماماً مثل عادل في (نهاية حب) واناheid شخصية ضبابية

(٧٥-٧٦) (نهاية حب) ص ٧٢ ، ١٠٩ .

(٧٧-٧٨) اناheid ص ٣١ ، ٣٥ ، ٤١ ، ٦٠ على التوالي .

(٧٩) انظر (اناheid) مجلة الآداب العدد ١٢ عام ١٩٥٣ .

غير واضحة المعالم كحبيبية عادل - التي لم يخصصها الكاتب باسم ما - في الرواية الاولى . وموضوع (الحب) الذي اختاره تعبير عن مشكلته الذاتية شأنه شأن الكثير من كتاب هذا الاتجاه ، الذين اتخذوا من الحرمان والحيرة اللذين يسودان علاقتهم بالمرأة ، رمزاً للحرمان والحيرة اللذين يسيطران على علاقتهم بمجتمعهم بصورة عامة . ولما كان جو الروايتين في اغلبه حزيناً يائساً ، فان وصف الطبيعة هو الآخر غائم ماطر دائماً ليساير نفوس الشخصيات الحزينة . وفي هذا تجن على الطبيعة في العراق التي قليلا ما تهدر وتعصف ، وكثيراً ما تشرق وتبسم - فضلاً عن اقحامه الطبيعة اقحاماً (كالديكور) الذي لا يناسب المسرحية . فاذا رفع هذا الوصف لا يؤثر في سير الحدث (٨٠) كما ان رغبته المستمرة في التعبير عن اسس الطبيعة تحتفظ لها بصورة ثابتة لا تتغير . وتفنقر شخصياته بالاجمال الى الحياة الطبيعية وهي تبدو نماذج جامدة لا تحركها العواطف الانسانية المتقلبة فضلاً عن ان هنصر المبالغة في وصف هذه الشخصيات كثيراً ما يفسدها ويجعلها تبدو وكأنها في عالم يختلف كل الاختلاف عن العالم الذي نحياه ونعيشه . وهي على العموم شخصيات مسطحة لا ابعاد لها عمومية مجردة من المسحة الانسانية المادية أو النفسية ولا يستبطنها المؤلف من الداخل ، ونادراً ما يصفها من الخارج . وقد يسهو عن اعطائها اسماً وكأنها مشجب يعلق عليه الكاتب الحدث أو الفكرة . وشخصياته جاهزة غير متطورة ، فنهاد كعادل عاشق مدنف لا يكف عن ذرف دموعه واناheid غائمة غير واضحة المعالم ليست انسانية الخلق ولا الابعاد ، ولا تتصف بصفة الفرد المتميز . وهدف الكاتب :

ابرار شخصيتي - عادل ونهاد - ولهاتين الشخصيتين عند الكاتب مفهوم واحد ثابت ، طلق لا يتغير ، وان تغيرت المواقف التي يجدان فيها نفسيهما ، والاشخاص الذين يتعاملان معهم ، وان لهما معنى بعينه عند الكاتب هو الجري وراء ما لا يمكن أن ينال ، والحيرة الدائمة ، والسعي وراء اوهام النفس .

وتجد شخصياته بصورة عامة مكانها في الحياة الحقيقية الواقعية ، ولكنه لا يريد لها أبداً ان تدخل الى الواقع ، ومصيرها بالنسبة اليها لا يحمل الا معنى خارجياً ، وملكيتها ليست من هذا العالم فهي لا تود ان تخط طريقها في هذا العالم ، ولا ان تشغل مكانها بل تنفق من ذاتها دون حساب ولا تقوى أبداً على تكمن ما ستقوم به من اعمال . ولهذا تحدث فينا شخصيات نيازي تأثيراً يدلنا على حمقها فهي لا تسير قدماً ، وليس لها غاية تقصد اليها ، وهؤلاء الكبار يحتاجون الى عكاز كالعميان ، يترنحون كالسكران ، ويقفون ويستديرون ، ويلقون جميع انواع الاسئلة ، ويندفعون نحو المجهول ، دون ان ينتظروا جواباً فيخيل انهم وصلوا حديثاً الى عالمنا ، ولم يعتادوا الحياة فيه . وهم قلقون مضطربون وعاطفتهم المتدفقة ينقصها نقطة الارتكاز ، قلوبهم مثقلة بالصدمات وعدم اليقين ، ففي كل مكان نجد الخوف والذل والاهانة ، تصدر عن العاطفة الوحيدة لهمؤلاء الناس . فمثلاً (عمر افندي) اشرف على الاربعين من عمره أو جاوزها قليلا موظف حكومي قديم الا ان راتبه لا يزيد على الخمسة عشر ديناراً ، لاهماله في المطالبة بحقه ولان الحكومة نفسها لا تتذكره لتشمله بالترقية (٨١) . ويشاء القدر ان يموت عمر افندي بحقنة سامة

اعدت لكلب مسهور اثناء اجراء عملية جراحية له (٨٢) . وقد ترك صبية في الثانية عشر من عمرها ، وولدين احدهما في العاشرة والثاني في الخامسة من عمره تركهم جميعاً بلا هائل (٨٣) . و (عادل) بطل رواية (نهاية حب) شاذ في كل مرحلة من مراحل نشأته ، فقد كانت حياته فوضى ، بائسة (٨٤) .

ويهتم المؤلف بالوصف الجسماني لشخصياته دون الالتفات الى ما يدور في نفوسهم من انفعالات واحاسيس ، فهي شخصيات مسطحة دائماً ثابتة ابدأ ، فعمر افندي يشرف على الاربعين ، طويل القامة ابيض اللون يضرب الى السمرة قليلا قوي البنية ، صحيح الجسم ، مستدير الوجه ، دقيق الانف ، يحوط فمه شاربان لا هما بالكثيفين المدبين ولا هما بالخفيفين (٨٥) . وزوجته : لا تزيد على السادسة عشرة ، بيضاء البشرة ، ذهبية الشعر ، دقيقة الانف ، ضيقة الغم ، عملية العيينين ، دقيقة الخصر ، نامدة الصدر (٨٦) .

ويكتب (نيازي) بأسلوب بسيط لا تعقيد فيه ولا عناء ، ولكنه لا يعمق الاحاسيس ولا يمضي بها الى غايتها من الوصف والتحليل ، فهو كمن يضرب في انتظام ضربات هادئة فاترة ، فيصيب بعضها مواضع حساسة ، ويخيب بعضها الآخر ، وحتى الضربات التي تصيب ، سرعان ما يضيع تأثيرها مع تتابع الضربات ، لانه يكتب في نوع من عدم المبالاة والسلبية ، ويميل الى الاسلوب الخطابي في المواقف المثيرة اليائسة ، وتراه يقيم بينه وبين شخصياته علاقة قد تكون مباشرة حيناً وغير مباشرة

(٨٦ ، ٨٢) نهاية حب ص ٧ - ٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ١٠٨ - ١٠٩ ، ١٠٧ ، ١١٢

على التوالي .

حيناً آخر ولكنها في الحالتين تسمح له بأن يعلق على هذه الشخصيات ويصف سلوكها ويوجه هذا السلوك ، وهو بدوره يدعم الطابع التعليمي للفن الخطابي ويؤكد ما يحمل من مبادئ اخلاقية (٨٧) .

وهذا الاسلوب الذي يكتب به اخباري تقريرى ، أشبه ما يكون بالاسلوب الصحفي ، عباراته الفاظ تقرأ العين حروفها ويفهم العقل معناها اللغوي ثم لا شيء بعد ذلك ، ليس في أسلوبه نبض الحياة ، ولا لمسة الفن ، والفاظه وعباراته مصمتة لا تنفتح على آفاق موحية بما يمكن ان تغوص عليه من اغوار . او تمتد اليه من ابعاد او تموج به من نعم ، او تومئ اليه من الوان وظلال . اما لغته فتشكل العقبة الكبرى في سبيل تطور فنه القصصي ، فاللغة ضعيفة ، تشبع بين سطورها اخطاء كثيرة ، وقد يلتوي عليه التعبير ، وتشيع الرككة في أسلوبه ، وان تطورت لغته في روايته الثانية عما كانت الحال في روايته الاولى . ولناخذ صفحتين من صفحات روايته (نهاية حب) على سبيل المثال ، فنجد فيهما وحدهما كل هذه الاخطاء (تقدم بالخطوبة لها - خرجت مع امها لزيارة بيت من اهل البلدة - كانت بناء على طلب دعوة وجهت له - وجاءت خالته ومتعلقوها - يحس بنزوة ينزو بها قلبه - يחדش غرة نفسه) . ولم تسعفه لغته ليلقي من الضوء على شخصياته ما يكفي لتألقها وتجليها ، كي يستطيع القارئ أن يتعرف عليها ويدرك انفعالاتها بقوة ووضوح . وللكاتب عدة مجموعات قصصية (٨٨) .

(٨٧) انظر ناهيد ص ١٨ - ١٩ ، ٣١ ، ٣٢ - ٣٥ . نهاية حب ٨٠ ، ٩٢ - ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٠٣ - ١٠٤ ، ١٠٩ .

(٨٨) انظر رسالتنا في (القصة القصيرة في العراق بعد الحرب العالمية الثانية) .

الاتجاه الواقعي في العراق

الرواية للتسجيلية

الرواية الفنية

عبد الحق فاضل

ذنون ايوب

خالد الدرة

فؤاد التكريلي

غائب طعمة فرمان

بنهوض الطبقة الوسطى ، وبعد انحطاط الطبقة الاقطاعية التي ولدها الحكم العثماني المندثر ، ظهرت الرواية الواقعية . فتبد ظهر الشعور القومي مع نمو الطبقة الوسطى ، وكان مصحوباً بالرغبة في الاستقلال بالشخصية العراقية من ناحية ، وبالثورة على الثقافة التقليدية من الناحية الأخرى كما سبق ان اشرنا .

وكانت الطبقة الوسطى تحسد طبقة الاقطاعيين ، وتتطلع الى النجاح المادي والسيطرة السياسية ، ويهمها (الأمانة) اكثر مما يعنيه الشرف . وكان همّ كتابها أن يصوروا الحياة كما هي ، ليتتبعوا سير أبطالهم وتقلبات أيامهم في رحلتهم الاجتماعية ، أو يرسموا نهوض الأسر وسقوطها لأسباب أخلاقية أو روحية ، ضمن الاطار المادي الذي لا منجاة منه . ومن هنا نشأ الأدب الواقعي تلعب فيه المادة وعادات المجتمع دوراً خطيراً ، فكل شخص له مكانة اجتماعية معينة حسب دخله يتصرف بموجبه ، وقد تلمّس عليه مظاهر الحياة ، وينسى خطورة المال والعادات في تقلب أوجهها ، فيقع ضحية خلط الوهم في الواقع ، أو يعجز عن تفريقها فيعيش خارج المجتمع ، متصوراً نفسه اسماً منه ، ويعده المجتمع غير لائق لأن يكون واحداً منه ، كما هي الحال في معظم روايات الاتجاه الرومانسي الأنف الذكر . فالرواية فن جدي لا تسلية هابرة كما يقول لا يونيل توينغ « ان الرواية بحث مستمر عن الحقيقة ، وميدان بحثها هو العالم الاجتماعي ، ومادة تحليلها هي عادات الناس التي تتخذ دليلاً على الاتجاه تسير فيه نفس الانسان » (١) ، ولهذا يتفاخر لورنس بمهنته ويقول « بما اني روائي فاني أعد نفسي أسماً درجة من القديس

(١) جبرا ابراهيم جبرا (الحرية والطوفان) ص ٦٦ .

والعالم والفيلسوف والشاعر ، فالرواية هي كتاب الحياة المتسع الوحيد» (٢) ، ويقول هنري جيمس للمقاص « لا تفكر كثيراً في التفاوض والتشاؤم ، حاول ان تتصيد لون الحياة نفسها» (٣) .

وبعد أن بدأت الطبقة الوسطى تخوض معاركها الكثيرة المعقدة ضد الاقطاع ثم ضد الاحتلال الانكليزي ، رأينا الدعوة الى الاستقلال تقتن بأفكار (لبرالية) وافدة . واستغرق الصراع السياسي النشاط القومي الوطني والطبقي ، وانصرف الممثلون الفكريون لهذه الطبقة يرسمون الاسس للنظام الاجتماعي الذي يتيح لها أن تحكم ، وهو اقامة دولة برجوازية على النمط الغربي ، وسواء أكان هؤلاء الممثلون الفكريون من ابناء هذه الطبقة أم كانوا ابناء أناس بسطاء ، فقد تبيينوا كفاح الطبقة المتوسطة ، وأصبحوا اجتماعياً وسياسياً جزءاً منها . وقد اتاح لهم هذا الوضع ان يتوفروا على الدراسة والمعرفة بهدوء بال ، فقاموا بدور كبير في نقل التراث الذهني والفكري للبرجوازية الغربية الى لغتنا .

وتذوق العراقي الحديث - الذي تلقى قسطاً من الثقافة الأوروبية وعاش في مجتمع يتحول الى التقاليد الغربية شيئاً فشيئاً - للرواية الغربية تدريجياً ، وضعف ميله لأنواع القراءة الأدبية القديمة . وقد نهج الكتاب العراقيون النهج الواضح ليسدوا هذه الحاجة ، واستعاروا فنهج من الغرب ، الذي كان محط الاعجاب في هذا البلاد .

وقد زاد انتقال السكان من القرى الى المدن بسبب انخفاض الأجور في المزارع ، واصابة الزراعة بسنوات جدد متتالية لقلة هطول الأمطار التي يعتمد عليها في الزراعة اعتماداً كلياً في العراق وخاصة في الشمال .

ذلك الانتقال الذي يتفق في حدوثه مع الزيادة العامة في عدد السكان التي أضافت الى تعدادهم مليوناً بين الحربين ، واستمرار السكان بالزيادة حتى وصول تعدادهم الى سبعة ملايين في الستينات ، وهذا يعني التركيز على الموارد الموجودة للطعام والمأوى ووجود وفر في القوى العاملة يفيض عن الحاجة ، فانخفض معدل الأجر الحقيقي للمعمال وساءت حالتهم .

ووصف القصاص العراقيون أحوال الطبقات المحرومة والطبقات المترفة ، وطالبوا الأغنياء بحقوق الفقراء ، واهتموا بتنظيم احوال الفلاحين ، وخاصة بعد الانقلابات الاشتراكية في أوربا ، وهذا هو السبب في ان الرواية العراقية لم تبلغ ما بلغته في الاقطار العربية الأخرى من الناحية الفنية والالتقان ، فقد سخرت للاغراض الوعظية الاجتماعية ، ودارت حول البؤس والبائسين . وشرع الكتّاب يغوصون في اعماق مجتمعهم يدرسون ادواءه ، ويردون الاسباب الى أصولها الحقيقية ، ولقد شرعوا يعنون بحالة الفلاح ، وما يلقاه من مختلف ألوان الشقاء وضروب السلب والاستغلال . هذا البائس الذي يعيش مع البهائم ، يشاركها مأكلاً ومأواها ، يفنى زهرة حياته في التعاسة والحرمان في حين يتدفق ما تنتجه يده ذهباً خالصاً الى جيوب طائفة ضئيلة تتفنن في اساليب الاسراف والانفاق وتبتدع صنوف الملذات والشهوات . ودرسوا اوضاع العامل ، فوصفوا قسوة العمل الذي يكدح فيه ليل نهار ، وتفاهة الأجر الذي يعود عليه من وراء كدحه المضني ، وضخامة الارباح التي تتكدر في خزائن أرباب الأعمال .

وتنجه الرواية العراقية الى المطالبة بحقوق الانسان ، وبازالة

الطغيان. وكان بعضهم يعظم الثورة الفرنسية ، ويتخذها مثلاً لا انتصار الحرية على الظلم . وظل الكتاب يتغنون بمبادئ الثورة الفرنسية الى الآن ، لأن الاستعمار ما زال ضارباً أطنابه في بلادنا وبرزت خلال هذه السنوات الطبقة العاملة العراقية بقيادة حقيقية ذات أثر فعال في الحركة الوطنية ، بعد أن احتجزها النفوذ الاستعماري قبل الحرب الثانية . ومع هذه المرحلة الوطنية الجديدة نضجت في الطبقة العاملة طليعة جديدة من الكتاب ، كما نضج اتجاه جديد في الواقعية . وكانت الطليعة الجديدة من الكتاب من ابناء الطبقة الوسطى الذين ينتسبون انتساباً فكرياً وسياسياً الى الفلسفة العلمية التي تتسلح بها الطبقة العاملة مثل ذنون أيوب وشاكر خصباك ، وقد أخذت المشكلات التي كانت تعد فردية من قبل ، تتجمع في صور مشكلات طبقية تؤثر في جميع أفراد الطبقة الواحدة ، وتعمدت الحياة ، وازداد احساس الناس بمدى ما يلقون من جهد ليوفروا لأنفسهم بعض ما تفرضه الحضارة الجديدة من وسائل المعيشة الآمنة الكريمة . لذلك زاد احساس الأدباء بمشكلات هذه الطبقات الجديدة التي هي مشكلات بعض هؤلاء الأدباء أنفسهم واتجهوا الى تصوير المشكلات الاجتماعية والشخصيات والأجواء الشعبية (٤) . وعلى أساس هذا التطور الملحوظ في المجتمع العراقي بزغت حاجات جديدة ، كما تدفقت في الحركة الوطنية سيماء جديدة من مصلحتها ان يتحرر العراق تحرراً كاملاً من بقايا الاستعمار ، ويؤسس اقتصاده على أساس سليم .

وتبنت الأحزاب السياسية منذ تأسيس الحكم الوطني في العراق

(٤) الدكتور عبد القادر القط (في الأدب المصري المعاصر) ص ١٢٠ .

مهمة مقارعة الاستعمار مثل (الحزب الوطني) و (حزب الشعب) واشتد الصراع بين الوطنيين والمساندين للسياسة الانكليزية ، فحدثت الانقلابات العسكرية مثل انقلاب (بكر صديقي) عام ١٩٣٦ وانقلاب عام ١٩٤١ . وبدأت المبادئ الشيوعية تتسرب الى داخل العراق نتيجة القلق السياسي والأزمة الاقتصادية العالمية . وانضم الشيوعيون الى حزب الاصلاح الشعبي قبل ان يستقلوا في حزب خاص بهم خلال الحرب العالمية الثانية .

وتبلور التآزم السياسي في العراق عام ١٩٤٧ حين عقدت معاهدة (بورتسمات) بين انكلترا والعراق .

ووجد العرب أنفسهم بعد نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ امام حقائق لم يعد بمقدورهم تجاهلها البتة . هذه الحقائق تشير الى أنهم شعب مضطهد مقهور ومغلوب على أمره ، وأنه اذا ظل على استسلامه للحكام فسيصل به هؤلاء الحكام الى الهاوية . فجدوا في طلب التحرر من أوضاعهم والخروج من محنتهم وسارت في البلاد موجة من التحسس بالواقع والشعور بضرورة التعبئة للسير في طريق الحرية والخلاص . وشاركت الرواية في معركة الخلاص هذه على يد (ذنون ايوب) و (شاكر خصباك) . واستمر التآزم السياسي على ما كان عليه وازداد بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ العراق عام ١٩٥٦ بعد ان تم العدوان الثلاثي على مصر . وتكملت جميع الأحزاب في العراق السريّة منها والعلنية اليسارية واليمينية في شجب موقف الحكومة السليبي من العدوان .

وكانت تلك الاحداث الضخمة نواة لقيام ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ التي قضت على الحكم الملكي ، فاستولى الجيش على مقاليد

الحكم في العراق وأعلن نظام الحكم الجمهوري وكانت هذه الثورة حصيلة صراع طويل بين الشعب العراقي وحكامه .

ويعد تحرير العراق في ذاته عملاً عظيماً ، فقد تحول من قاعدة رجعية وتخريب الى قاعدة دفع وتطور وثورة . وأصبحت كل موارد الطبيعية والبشرية سلاحاً من اسلحة الثورة بعد ما كانت سلاحاً موجهاً ضدها .

وكان للمجلات الأدبية أثر في بروز الاتجاه الواقعي مثل مجلات (عالم الغد ، الحارس ، أخبار الساعة ، الأسبوع ، الرسالة الجديدة ، الوادي ، الثقافة الجديدة ، المثقف ، الفكر ، الكتاب) . أما الصحف اليومية فقد كانت تخصص صفحة من صفحاتها للأدب والفكر والفن يسهم فيها أبرز الكتاب والشعراء والفنانين .

وقد استمر النتاج الأدبي في الصحف والمجلات رغم تعطيل الكثير منها ، حيث كان الأدباء يعرضون عن ذلك بما يصدر من مؤلفات حتى بلغ أوج النشاط في بداية تموز سنة ١٩٥٨ . وقد باتت الصحف والمجلات الأدبية تتسابق من اجل الحصول على نتاج الأدباء العراقيين ، كما راحت المطابع العربية تعفي عناية خاصة بالانتاج العراقي ، بل ذهبت المجلات الأدبية في البلاد العربية كالأديب والآداب الى محاولات أوسع في اجتذاب الكتاب العراقيين اليها . حتى ان مجلة الآداب اللبنانية - جعلت من بعض الكتاب العراقيين على رأس محرريها ، يغمرون المجلة بنتائجهم ويغربلون نتاج الآخرين . ولهذا ظهرت دراسات أدبية عراقية عميقة متبلورة ، في مختلف مجالات الأدب الذي تميز آنذاك بالعمق والتحليل والدقة في التعبير . وأصبح للأدب العراقي شخصية مستقلة

ذات طابع ولون خاص .

وعلى هذا فقد ابتعد الأدب العراقي عن مجال الاجترار والتكرار الى حد نبذ اللغة والافتناص البلاغي ، وأصبح الفكر المسيطر على الحركة الأدبية فظهرت تفسيرات جديدة لمفاهيم الأدب واللغة واصبح النقد الأدبي يعالج الموضوع برمته لا يتسقط الاخطاء ولا يقتصر على عبارة ولا ينتقد الجزء دون الكل بل ينتقد نقداً موضوعياً .

وناصرت الرواية العراقية المرأة وطالبت بحقوقها ومساواتها بالرجل وتأثر هؤلاء الكتاب تأثيراً كبيراً بكتابات قاسم أمين في مصر ، ومنهم من توجه الى المطالبة بحقوقها وتحسين احوالها ، ومنهم من تأثر تأثراً متطرفاً ، ومنهم من اعتدل وتجمع اهتمامهم جميعاً حول مشكلة السفور والحجاب .

وزادت ظروف المجتمع من تشويه الفكرة التي حملها الجيل الجديد عن المرأة ، فقد كان المنفذ الوحيد الذي أتاحه هذا المجتمع للرجل لكي يتعرف به على المرأة هو البغاء . ولم تكن الصلات التي تقوم بين الرجل والمرأة عن هذا الطريق صلات انسانية ، وانما هي صلات تقوم على الخداع والتجارة . وقد أدى هذا كله الى عدم فهم المرأة فهماً صحيحاً ، يقترب من واقعها أو يستملي حقيقتها . لذلك لم تبرز لها صورة حقيقية تنبض بالحياة ، وتحملها في مكانها الطبيعي الذي تحتله في الحياة ، الا بعد الحرب العالمية الثانية حيث ارتفعت بلادنا الى مستوى جديد من التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي وتحررت من كثير من القيود التي كانت تعرقل نموها .

وكان على الرواية العراقية ان تتغلب على قدر من الأهواء ، قبل

ان تحرز القبول ، فقد كانت العناصر المحافظة لا تثق في هذه الصور الجديدة النامية من الأدب ولا تقبل ان تكون حوادث الحياة اليومية التافهة وخاصة حياة الطبقات الفقيرة مادة للأدب ولكنهم استطاعوا بالتدريج ان يتبينوا ان الحياة العادية للمواطن العراقي العادي هي الجديرة بعناية الكاتب الحديث . وكان لابد للاديب العراقي الذي رأى نفسه يعيش على هامش الحياة ، ان يلتفت الى الحياة . وهكذا ولد الاتجاه نحو (الواقع) بدافع عوامل شتى من سياسية واجتماعية وفكرية .

وفستطيع ان نربط بين التطور نحو هذا الاتجاه ، وبين الآثار السلبية والايجابية التي تركها المد الاستعماري ، والتي احدثت في عشرينات وثلاثينات القرن ذبذبة ، ما نزال نعاني بوعي وبدون وعي من وطأتها الى اليوم ، والتي نقدر ان نعدّها الى حد بعيد السنوات الانقلابية في تاريخ الفكر والأدب العراقيين . ففي هذه السنوات عاد المجتمع الى نفسه يعني ذاته وسط تردد في الفكر لم يخلق فيه سوى القلق . وبعد فترة من المرض الرومانسي لم تفده شيئاً ، عاد يتأمل الواقع كرد فعل قوي ضد الخيال ويعالج الحياة بعيداً عن التهويمات ، وعاد يتحدث عن العلم الواقعي ، وقد طال حديثه عن علم الغيب والالوهام . وفي اواخر العشرينات كانت المحاولة الأولى الجادة لكتابة الرواية العراقية الواقعية .

وبذلك نشأ الاتجاه الواقعي في العراق ، على دعائم من ايمان بالعالم في حقائقه وتجاربه وتطبيقاته ، وتقدير للظواهر الانسانية والاجتماعية التي تراها العيون في مجتمع الناس ، ينادي بتسجيل الملاحظات والمشاهدات من غير سلطان للمؤثرات الداخلية من عواطف الكاتب وأحاسيسه

وفي رعاية للموضوعية وترصد يقظ للتجربة الحية ، واستيعاب دقيق لما في الحادثة او المشهد أو الشخصية من معالم خاصة ، وتفصيل وافية ، وفي التزام لموقف الحياد أمام معتك الحياة والأحياء . ووصف المجتمع الانساني على حقيقته في أمانة وصدق لا زخرف فيه ، ولا تطفل من هوى شخصي غلاب يقيم التحليل مقام التخيل ، ويحل المنظور محل المتوهم ، ويؤثر الواقع الحسي والطبيعة الظاهرة على صيحات العاطفة وهتاف الوجدان .

ويحس المتتبع للادب العراقي الحديث تقدماً ملحوظاً في نتاج الروائيين العراقيين في الثلاثينات ، واطلاعاً على النماذج الرفيعة في الادبين الغربي والعربي ، وعناية نسبية بالأسلوب ، وبناء أدب جديد ، يستمد قوته من الحياة نفسها ، من الواقع ومن أعماق النفس القلقة والشعور الممزق . وظهر بين أدباء العراق من يدافع عن الالتزام في الأدب والفن ، ويدعو له بقوة وحرارة . وظهر من يدافع عن حرية الأديب والفنان فيما يكتب ويبدع . ويرى الفريق الأول أن من الخطأ بل من الجحود أن الأديب هو الضمير الحي لمجتمعه وواقعه أن يتعامى عن الحياة الواقعية الغارقة في البؤس والشقاء ، ليتغنى بقطرات الندى تتلأأ كاللماس على صفحات وردة زاهية ، أو يرسل الدموع في أثر حبيبة غاضبة وكأنه انسان من غير هذا المجتمع لا يعيش واقع الناس المؤلم . ولقد غالى بعضهم في الالتزام والدعوة اليه حتى كادت الدعوة نفسها بما تحمله من سمو مقصد ونبل غايتان تتحطم بين أيديهم ، لما كانوا يبدونه من التعصب في الدفاع عن بعض الافكار والمبادئ ، كما حدث لروايات ذنون أيوب وشاكر خصباك .

واهتم هؤلاء الكتاب بأن تكون موضوعاتهم شعبية ، وإن تحتل
شغوصهم الأكثرية العامة لا الأقلية الخاصة . وقد اتجه هذا الأدب في
نظرهم الى الشعب والحملة على المفاسد الاجتماعية . وترجع أسباب ذلك
الى تأثرنا بالأدب الغربي ، وبجاراتنا له في حملته على النظام الآلي الذي
احل الآلة مكان الانسان وعلى النظام الاجتماعي المختل الذي جعل
الوفاء من الناس عبيداً لأفراد محدودين ، بسبب الانتقال من نظام اقتصادي
قديم قائم على الزراعة والحرف التي تمارس في البيوت فقط ، الى نظام
اقتصادي يهتم بالصناعة الآلية الى جانب الزراعة ، بل وادخال الآلة
الى الحقل والاعتماد عليها لا على الجهد الانساني فقط ، فتغير نمط الحياة
وأسلوبها . وكان الاحساس بالتغير يسود جو البلاد منذ أواخر القرن
التاسع عشر ، وقد أسيء فهم الحضارة الحديثة على جمالها ومباهجها ،
وطغت وفسدت في أيدي بعض الأغنياء ، وتبعتهم في ذلك الطبقة المتوسطة
التي حققت بعد الحرب العالمية الثانية كثيراً من مطالبها ووصلت الى
الحكم ، وأصبحت تتذبذب بين التجارب للنهوض الشعبي وبين الانفاق
مع الاستعمار لتصفية الحركة الشعبية . وعمت لهذا موجة الفساد
الاجتماعي والتدهور بما أشاع روح التشاؤم في أدب البعض .



نشأ لكل ذلك الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية ، وتفادى الأدباء
لمسيرة المجتمع في حقائقه الراهنة وسلوكه العام . وعلى مر الايام ملكت
الواقعية قيادة الاقلام . على ان هذه الواقعية لم تلتزم حدوداً ضيقة
وضوابط حاسمة لأن الكتاب محوطين بعوامل فعالة تؤثر في اقلامهم ،
فتجعلهم يصورون واقعهم بحسب ما تمليه تلك العوامل . وليس هذا

الاتجاه حرباً على العاطفة ، وتمرداً على الخيال . فما العواطف والأخيلة
الاجزاء من (واقع) النفس البشرية ، ولهذا (الواقع المعنوي) غير
المنظور اكبر السلطان على (الواقع المادي) الذي تراه العيون .

وأول رواية واقعية ظهرت في العراق (مصير الضعفاء) عام ١٩٢٢
لمحمود أحمد السيد ، ثم روايته التالية (جلال خالد) التي ظهرت عام
١٩٢٨ ثم رواية (العفة) لصالح بحر العلوم التي ظهرت عام ١٩٣١ .
ثم ظهرت رواية (مجنونان) لعبد الحق فاضل عام ١٩٣٩ ورواية
(الدكتور ابراهيم) لذنون أيوب في نفس العام أيضاً .

على أن هذه الواقعية الفنية انحرفت عند بعض الروائيين العراقيين
عن الفن الروائي ، لقلة النماذج التي احتذتها ولقصور مواهبهم . لذلك
نرى في أدبنا الواقعي كثيراً من الأخطاء في تصوير الموضوع من
ناحية ، وفي طريقة عرضه فنياً من ناحية أخرى .

أما من حيث الموضوع فإن كثيراً من الأدباء يفهمون المشكلات ذاتها
فينفذون الى جوهر الحقائق . أما من حيث العرض الفني فإنهم لحرصهم
على الاتجاه الجديد ، يغفلون كثيراً من العناصر الفنية التي لا غنى للعمل
الأدبي عنها حتى ينفذ الى نفس القارىء ، فيخلق عنده وعياً بالمشكلة
واحساساً قوياً بها او اتجاهها خاصاً الى حلها (٥) .

وقد أخذت الرواية الواقعية العراقية عند بعض القاصص المنحرفين عن
الاتجاه الفني السليم شكل الرواية التسجيلية مثل كاظم مكّي في رواية
(صفوان الأديب) ١٩٣٩ وصالح رشيد في رواية (عدنا الى الخان الكبير)
١٩٤٧ وجعفر الخليلي في رواية (الضائع) عام ١٩٤٨ ومرزّه حمزه شير

(٥) الدكتور عبد القادر القط (في الأدب المصري المعاصر) ص ١٢٠ .

على في رواية (رياض) عام ١٩٤٨ وسامي امين في (حمدي) عام ١٩٥١
وعبد الودود العيسى في (مذكرات مسلول) عام ١٩٥٣ وعبد الواحد
خماس في (طريق الشوك) ١٩٥٤ ومرضى الشيخ حسين في (قصة من
الجنوب) وغالب عبد الرزاق في (قالت الأيام) عام ١٩٦١ وظاهر العميد
في (الله في صدور العذارى) عام ١٩٦٢ .

واختلاف كتاب الاتجاه الواقعي في فهمهم للواقع الخارجي ، واختلافهم
في فهم طبيعة العمل الروائي ، هو أساس التفريق الذي ميز بين كتاب
الواقعية التسجيلية وكتاب الواقعية الفنية في العراق . من أمثال عبد
الحق فاضل وذنون أيوب وخالد الدرة وهلال ناجي وفؤاد التكريلي
وشاكر جابر وغائب طعمة فرمان ، اذ يصور كاتب الرواية التسجيلية في
العراق الواقع الخارجي تصويراً حرفياً . ويلج على ان ما ينقله وقع فعلاً ،
وأنة يعطينا صورة لهذا الواقع .

يقول كاظم مكّي في مقدمة روايته (صفوان الأديب) « ترددت
كثيراً في اخراج هذه القصة لأن فيها ما يمس حياة بعض الناس ولأن
قسماً من هؤلاء الناس لا يزالون أحياء . ولأن فيها نقداً لطائفة كبيرة
من التقاليد المتبعة المرعية وبعض الأوضاع الاجتماعية . . وهذا الشاب
الذي أريد ان اتحدث عنه وعن تاريخ حياته وحياة أسرته بالتفصيل
وبقدر ما عرفته منه نفسه ، هو صفوان الأديب واذا رجوت شيئاً من
وراء هذه السطور فانما ارجو ان أرضيه وأنال عفوه » (٦) .

ويقول مرضى الشيخ حسين في مقدمة (قصة من الجنوب) « في
هذه القصة عرض بسيط لوقائع لا يلعبها الا الدين نزلوا من مقاصيرهم

البلورية الى حيث تعيش في الأحوال كائنات عظمى كما تعيش الديدان »
ويقول المؤلف في مقدمة (عدنا الى الخان الكبير) « تقاس أهمية
الحوادث بمقياس أهمية من حدثت لهم وكم من الحوادث التي نجدها
نافهة تركت وراءها رجالا أحياء ما هم بأحياء » ويقول طاهر العميد
في مقدمة (الله في صدور العذارى) « تقع احداث هذه القصة على
مسرح حياتنا اليومية » وتتسم هذه الروايات التسجيلية بالموضوعية
الكاملة وتعرض في أرض محايدة خارج نفس الكاتب ، وتختفي ذات
الكاتب وراءها ولا تظهر الا اذا اراد أن يقف موقف الواعظ او المعلم ،
حتى أنهم ذهبوا في عنايتهم بالواقع الى التصريح بأنهم ينقلون عنه نقلا
حرفياً كما ذكرنا سابقاً . وحدا الأمر ببعضهم ان يعللوا في الحاشية
على واقعية الحدث الذي يسجلونه في روايتهم « انقل اليك ما تحدث
به الى صفوان تماماً فذلك ادعى للاخلاص والامانة في النقل وليس
لصديقي صفوان ولا لي رأي في هذه المزاعم - ولم يجد صفوان بأساً
بأن اخبرك بأن الأستاذ عبد السلام عزت - الرجل العربي الذي عطف
على صاحبنا صفوان ورثى ليتمه » (٧) .

وتحت تأثير هذا الاتجاه اتسمت الرواية التسجيلية للمواضع الانشاء
والوصف وملئت بتفصيلات الواقع ووقائعه وتناقضاته ومفاجآه (٨) .

(٧) كاظم مكّي (صفوان الاديب) هوامش ص ١٥٠ - ١٧٣ على التوالي
وكذلك هامش ص ١٤٧ .

(٨) انظر على سبيل المثال (الله في صدور العذارى) ص ٧ ، ١١ ، ١٨ -
١٩ ، ٤٢ - ٤٣ ، ٦٢ - ٦٣ ، ٧١ ، ٨٣ ، ٨٦ .

صفوان الأديب ١ - ٦ ، ١٥ ، ١٩ ، ٦٦ - ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٨ - ٨٠ ، ٨٦ - ٩٥ ،
٩٧ - ١٠٥ . . . الخ .

ويقوم كتاب هذا اللون من الروايات بتسجيل العادات والتقاليد في العراق (٩) حيث ينتقل مؤلف رواية (صفوان الأديب) بين مظاهر الحياة الاجتماعية في العراق، فيصف لنا مدينة النجف ومدينة البصرة، ويسجل لنا جميع مظاهر الحياة (١٠) فيها. ويسجل لنا مؤلف رواية (الله في صدور العذارى) وصفاً لمدينة بغداد، وفرحة الشعب العراقي بقيام ثورة تموز، وما كان يحدث في الجامعة من صراع حزبي بعد الثورة وانقسام افراد الأسرة الواحدة انقساماً حزبياً واشتداد الصراع بين افراد الأسرة الواحدة (١١).

وهكذا يسجل هؤلاء الكتاب تحت تأثير ارتباطهم بالواقع المباشر الاخبار وما حول الاخبار، ويكتفون في الكثير من الأوقات بعرض الاحداث التي تمر بها الشخصيات.

كما يعمدون الى الوصف المسهب للبيئة الطبيعية. وقد يتعدى هذا الوصف عدة صفحات كما فعل كاظم مكّي في رواية (صفوان الأديب) «اما مدينة البصرة فقد كانت بطبيعة الحال كباقي المدن العراقية التي

(٩) ه. ت. تشارلتون (فنون الادب) ت زكي نجيب محمود ص ١٤٧ (وان ما نسبوه بالحبكة القصصية ما هو العملية اختيار أو تقويم وتأخير، فالقصصي الذي لا يختار بحيث يجني السياق والتتابع موفياً بالفرض المقصود وتفقد القصة حبكةها وبالتالي لا تعد قصة فنية).

(١٠) كاظم مكّي (صفوان الأديب) على التوالي: ١٩، ٦٦ - ٦٨، ٧٠، ٧٨ - ٨٠، ١١٩ - ١٢٠، ١٧٨، ١١٦، ١٢٢ - ١٢٣، ١١٤ - ١١٥، ١٣١، ٩٧ - ١٠٥، ١٥، ١١٣ - ١١٤، ١٤٥ - ١٤٦، ١٦٢، ١٦٦.

(١١) طاهر العميد (الله في صدور العذارى) على التوالي: ١٨ - ١٩، ٣٢ - ٤٣، ٦٢ - ٦٣، ٧١، ٨٣ - ٨٦.

منبت بمهد الجور والهوان وذاقت أمر العذاب والبلاء ، أو امتازت عن
 هذه المدن جميعها بشيء آخر جعلها مدينة يخشى المرء فيها على نفسه
 وماله وهذا الشيء هو عصابات اللصوص التي كانت لاتعد ولا تحصى « (١٢) .
 ويستغرق وصف مدينة البصرة في هذه الرواية صفحات . بالاضافة
 الى الصور العديدة التي اعطاها المؤلف في روايته لمظاهر الحياة المختلفة
 من وصف للمدن كمدينة البصرة والنجف والبحرين ، ووصف لرجال
 الدين ومراسيم الزواج والجنائز والدفن ، ووصف لزوار المدن المقدسة
 في العراق ووصف لدور السكن والمدارس والكتاتيب وطرق التعليم
 ووسائل العلاج وحلقات الذكر الى غير ذلك من مظاهر الحياة المختلفة
 ويسجل (علي سهيل) أوصاف دار (ابي شاکر) في روايته (والصيف
 على الابواب) تسجيلاً دقيقاً « وبيت أبي شاکر يتكون من قطعة كبيرة
 من الارض تبلغ مساحتها زهاء المائتين من الامتار شيدت فوقها أربع
 غرف صغيرة بنيت كل اثنتين منها قبالة اثنتين أخريتين ويفصل بين
 الجانبين فناء واسع وحديقة صغيرة وقد شيدت الغرف الاربعة من الطابوق
 الاصفر (السميحي) وكان ذلك قبل عشرين عاماً مضت وبلغت ارضية
 الدار بالطابوق - الفرشي - القديم لما يصيبه من تبريد البيت اذا رش
 بالماء عندما تشتد حرارة الصيف فترتفع الشمس في قبة السماء ولكل
 حجرة نافذة خشبية ذات شبك من الحديد وتطل الشبايبك على ساحة
 الدار اذا أمعنت النظر اليها الفيتها بدون زجاج وقد عوضت عنه قطع
 المقوى وسقفت تلك الحجر بالبوراري والقصب و (مواديد) الخشب .

وفوق ذلك (رشكت) بالطين والتبن . . » (١٣) . ويمضي المؤلف في وصفه للدار بما يقارب الصفحتين .

ويصف آدمون صبري في روايته (الخالة عطية) البيئة التي تعيشها الشخصوص وصفاً مسهباً دقيقاً . ويجاريه طاهر العميد في روايته (الله في صدور العذارى) فيصف لنا مدينة بغداد حيث تدور فيها الاحداث . وهذا ما فعله جعفر الخليلي في روايته (الضايغ) . وتسجل (قصة من الجنوب) لمرتضى الشيخ حسين عمل جابي الضرائب في العراق الذي يدور على الباعة المتجولين وأصحاب الدكاكين ويعرض لنا المؤلف من خلال سير الجابي العادات المتبعة في العراق ونفرة الطبقات الفقيرة . من السلطة وإلحاحها في جمع المال . ويصور مرزة حمزة شير على في روايته (رياض) المشعوذين من الدراويش ، واعتقاد الناس بقدرتهم على السحر وفك الرموز السحرية . والفن في الحقيقة لا يستطيع ان يخلق الشعور بالحياة اذا حرص مبالغاً على التدقيق في وصف الطبيعة كما هي تماماً . لان الفن ليس صورة ملونة للطبيعة (١٤) فالفن هي « الرؤية من الداخل » وقوة الفن تكمن في أن يشمل حداً أعلى من المعنى في حد أدنى من التعبير قوته أن يوحي لا أن يصف كل شيء بدقة وهكذا تتم المشاركة الایقاعية بين البيئة المادية والبيئة الانسانية (١٥) .

(١٣) علي سهيل (الصيف على الابواب) ص ٦ - ٧ .

(١٤) انظر آدمون صبري (الخالة عطية) ص ٨ - ١٠ ، ١١ - ١٢ ، ٢٤ - ٢٥ ، ٦٣ . (زوجة المرحوم) ١ ، ٤ - ٥ ، ٨ - ٩ ، ٢٦ ، ٢٧ . طاهر العميد (الله في صدور العذارى) ص ١٨ - ١٩ ، ٤٢ - ٤٣ ، ٦٢ - ٦٣ ، ٧١ ، ٨٣ - ٨٦ . جعفر الخليلي (الضائع) ص ١٥ ، ٣٩ ، ٥١ ، ٥٤ - ٦٠ ، ٦٩ ، ٧٤ . (١٥) نللي كوزمر (فزيولوجية القصة) الآداب العدد الاول عام ١٩٥٤ .

ولا يبني الشكل في هذه الروايات التسجيلية بناءً محكماً بعلاقات سليمة بين أجزائه ، بل يتم الربط بين الأحداث بتدخل المؤلف الذي يربط بعضها ببعض ربطاً تعسفياً مثل « ولم اقدم لك هذا الفصل الا لتعرف هذا الزمن الذي عاش فيه هذا الشاب واضطرب مع المضطربين وتأثر بما تأثروا فيه - وأحب ان احيطك علماً بشيء آخر فعلته آمنة أياماً في عيني صفوان - وهذا ما آل اليه الأفندي أخيراً فلنقص عليك ما آل رفيقه السيد - ولنذكر لك بعض ما كان يتحدث اليها به صفوان عن هؤلاء وفي حديثه عنهم حديث السيد الذي نحب أن نعرف مسيره بعد تدهور الافندي » (١٦) . وكذلك « عشرة ايام انقضت حين وقع الحادث التالي : في الساعة الثانية بعد الظهر التقت عطية بجميل » (١٧) بينما الرواية الفنية وحدة عضوية ، يسهم كل عضو فيها بقسط كامل في سبيل الوصول الى النهاية . فالأحداث والموضوع والفكرة والأسلوب اللغوي كل هذه لا توجد لذاتها بل لكي تتفاعل مع غيرها ويرتبط بعضها ببعض بعلاقة تؤدي معنى واحداً وتشكل كلاً متميزاً وتخلق الأثر الكامل » (١٨) .

(١٦) كاظم مكّي (صفوان الانيب) على التوالي : ٩ ، ١١٤ ، ١٤٤ ، ١٤٥ وكذلك في ٢٨ - ٢٩ ، ٤٠ - ٤١ ، ٥٩ - ٩٦ ، ١٧٠ ، ١٩٠ ، ٢٠٧ .
(١٧) آدمون صبري (الخالة عطية) ص ٣٥ .

(١٨) يقول تشارلتون (اننا نطالب كاتب القصة بأن يترك في نفوسنا بقصته أثراً نحس معها واقعية الحياة لكن ذلك لا يعني أن يترك فنياً هذا الأثر على نفس الصورة التي تتركها الحياة نفسها بما فيها من اضطراب في تتابع الحوادث وجمال للمصادفة العمياء في سيرها فأنا لا نحس الأشياء الا حساً غامضاً مضطرباً ونشعر به شعوراً ناقصاً ونذكرها ادراكاً ليس فيه

وينعدم العنصر الدرامي في احداث هذه الروايات ، ذلك العنصر الذي يعتمد على الحركة التي تؤدي الى التطور ، لأنها مجرد حشد احداث او اخبار جنباً الى جنب . ولعل سبب ذلك خلو الموقف الذي ينبع من الحدث من عنصر المفارقة . فمن المسلم به ان انعدام المفارقة والاختلاف يؤدي الى انعدام الصراع والتشابك ، وذلك يؤدي بدوره الى ضعف الحركة (١٩) .

فالرواية عندهم حوادث او صور اجتماعية لا مكان فيها لغير ذلك من دراسة او عاطفة ، وليس ثمة لحظة مأزومة تحت المجهر ولا عاطفة تتطور وتسلط عليها أنوار التحليل ، ولا عقدة تدرس ردود الفعل الانسانية معها .

والحبكة عند كتاب هذا النوع من الروايات تسلسل مخلخل لبعض الأحداث التي يرتبط بعضها ببعض عن طريق تسلسل خارجي صارم هو الزمن كما يدركه العقل الانساني . فصفوان في رواية (صفوان الأديب) يتغير تغيراً كلياً بين حداثته وصباه وشبابه ، فمن حدث وديع هادى الى صبي متعبد مؤمن يصاحب الدراويش ويحضر حلقات الذكر ولا يفارق المسجد الا لقضاء بعض اعماله ، الا أنه في شبابه يتغير الى انسان آخر يجد في الجلوس في المساجد تقاعساً ، وفي رجال الدين رجالا مشعوذين يسرقون من الناس قوتهم اليومي ، ويجد في حلقات الذكر وسيلة بجنونة

كل الوعي لصفاتها وخصائصها كانت تتلقاها ونحن غافلون ، وواجب القصة ان تقدم لنا هذه الاشياء على صورة تشعرنا بها شعوراً كاملاً ، وواجب القصصي ان يخلق من فوضى الحياة نظاماً متسماً في قصته (فنون الادب) ت زكي نجيب محمود ص ١٧٢ .

لقتل الوقت . ويختلف بطل قصة (الضايغ) في الفترة الزمنية بين أحداثه وشبابه ، فهو في صباه مشاكس معاند يتعجب معلمه الشيخ ويهرب من والده الى حيث لا يعرف له مكان ، بينما يصبح في شبابه رجلاً هادئاً مؤمناً يوجب الأرض برفقة الشيخ (حبيب) . وينقلب في كهولته الى رب أسرة مستقر يعمل نهاره ، ويجدد ليكسب قوت أهله ، باراً بوالديه يجد في المشيخة هروباً من اعباء الحياة .

أما ابتسام بطلة رواية (الله في صدور العذارى) فتتحول من فتاة مراهقة تجد في الدين سوراً للحفاظ على عفافها ، الى فتاة ناضجة تجد أن على المرأة مشاركة الرجل مشاركة فعلية في خوض غمار الحياة . ويكاد الحدث في هذه الروايات يكون عرضياً والزمن هو المسرح الرئيسي عندهم فان كلا من هذين الجانبين ، منفصل للزمان أحدهما زمان باعتباره عملية امتداد مطلقة والآخر زمان باعتباره حادثاً عرضياً (٢٠) .

فاذا اخذنا رواية (صفوان الأديب) او رواية (الضائع) على سبيل المثال فسنجد ان الزمن فيها ليس واضحاً من خلال الشخصيات على هذا النحو بقدر ما هو عام وعادي ، وسرعته لا تفرضها حدة الحدث ، بل انه على النقيض يجري في انتظام رتيب قاسي ، خارج عن الشخصيات غير متأثر بها ، فنمو الشخصيات ينحصر في نمو أعمارها ، وهي في صفاتها الجوهرية مثل كل شخصية في هذه المراحل المختلفة من العمر .

والزمن عرضي في هذه الروايات ، ولن تتضح تحكيمته على أشدها في شيء أكثر من الطريقة التي يتصرف فيها في الحياة الانسانية .

(فمحمّد) والد صفوان في رواية (صفوان الاديّب) يموت بطريقة
عرضية فجائية ، في الوقت الذي يضع فيه الخطط لمستقبله ومستقبل
اولاده وزوجته الثانية . و (حبيب) في رواية (الضائع) يموت فجأة
ليترك البطل وحيداً في خضم الحياة بعد ان لازمه طول حياته . والقدر
في هذه الروايات مجرد وجه آخر للزمن الحسابي ، يحتوي على كل شيء
الحياة والموت والفوز والهزيمة . ويحتويها نظرياً في نسب ثابتة منطقية ،
الاّ أنها تطلق في لحظة قدرها سلفاً ، حتى تنكشف تكشفاً لا رجعة فيه .
وهذا القدر لا يمكن ادراكه بل يحسه المرء كما انه خفي ، وهو سام
غير دنيوي يقسم كل مثوبة وكل عقاب . أما في الرواية الفنية الواقعية
فالقدر ظاهر قراء ، وهو يتجلى في الحياة التي يسقط عليها لحظة الكشف
ضوءاً باهراً ، ولأننا نراه متكشفاً ظاهراً نفهمه ونذعن له ، على العكس
بما نراه عند هؤلاء الكتاب فعندما يكون العالم الانساني واضحاً ومباشراً
فان القدر يظل غامضاً ، ولا يسمنا الا ان نسلم على أساس من الايمان
بقوانينه التي لا تدرك .

واذا وصلنا الى الدلالة الاجتماعية لهذه الروايات وجدنا ان
شخصها مرتبطة بالينابيع بالطبقة الوسطى والطبقة العاملة ، فمنهم العامل
في روايتي (والصيف على الأبواب) و (الحالة عطية) والدرويش في
روايتي (صفوان الاديّب) و (الضائع) والجابي في (قصة من الجنوب)
والتاجر في (رياض) والتلميذ في (حمدي) و (الله في صدور العذارى)
و (عدنا الى الخان الكبير) والمحامي في (زوجة المرحوم) والموظف في
(رجل محترم) .

ولن ننزعج الشخصيات في هذه الروايات ولم تستكمل لمحاتها الانسانية

المفردة ، ولم تخلص من النموذجية الاصطلاحية المسطحة فنجيب الدرويش
في رواية الضائع ، لا يختلف عن (صفوان) في فترة دروسته و (حمدي)
تلميذ يلهو عن دروسه فيرسب في الامتحان تما مأمثل سلمان في (عدنا
الى الخان الكبير) .

والكثير من هذه الشخصيات (بيوجرافية) تناولها الكتاب في اتساع
ورحابة ، كما في شخصية صفوان في (صفوان الأديب) وشخصية
(الضائع) وعطية في (الخالة عطية) والجابى في (قصة من الجنوب) ،
ورياض في الرواية التي تحمل نفس الاسم على سبيل المثال . والشخصيات
في هذه الروايات مسطحة تحتفظ بصفاتها منذ البداية دون ان تتغير في
الغالب ، بعكس الشخصيات النامية في الرواية الواقعية الفنية التي لا
تكشف للقارئ عن طبيعتها دفعة واحدة .

ولما كان من جوهر الرواية ان تضم اشخاصا ، فان واجبه الأول
ان يجعلهم يتحركون ويضطربون ، والا تتركهم كالدمى الجامدة لا روح
لها ولا حرارة . ولن تكون الرواية رواية ان هي انبسطت تحليلات
مجردة ، وانما ينبغي للتحليلات أن تتمثل في اشخاص محسوسين ، ولهذا
كان من أولى واجباتها ان تخلق مادية الأشخاص ، وأن تكسبها ثقلها
من اللحم والدم بعكس ما سار عليه كتاب هذا الاتجاه .

يصف لنا علي سهيل في روايته (والصيف على الأبواب) شخصياته
مثل (أم جاسم) قائلا « في الخمسين من عمرها مربوعة ذات بشرة
صافية وابنها الوحيد جاسم شاب في مقتبل العمر يبلغ السابعة عشرة
لا يخلو من البساطة كغيره من ابناء المدن ذو صحة موفورة تبدو على
وجهه المبتلى وقد اكسبته تلك الرحلات القصار بين المدينة والقرية

شيئا من سعة التفكير - و (اديبة) ملتفة بعباءتها وقد بدت تقاسيم وجهها المنسجمة فأنفها الدقيق ووجنتيها الصافيتين وشعرها الكستنائي وهي طويلة ذات نباهة وذكاء وفطنة الا انها سريعة الانفعال والانزعاج بما جعل الآخرين يتصورونها نحسة - و (عبد الجبار) أو ابو ستار نحيف الجسم معتدله أشعث الشعر يكثر من حركة يديه أثناء الحديث بجامل الى حد كبير يشعر برزائته وتستشف منه شخصية جذابة حلوة الحديث ساحرة » (٢١) .

ويصف كاظم مكّي شخصياته في روايته (صفوان الاديّب) « وما اوصاف أمنة هذه الفتاة التي كتب لمحمد ان يقتن بها ؟ كانت فتاة قصيرة القامة او كانت اقرب الى قصر القامة منها الى طولها ذات جسم نحيف ولكن على شيء من الرشاقة والبياض وهي بصورة جميلة قد رضي بها محمد وسكن اليها والحق انها اصبحت له خير شريك يعينه على تحمل أتعاب العمل ويخفف عنه كثيراً من هموم الحياة وأرزائها ، وحسبها بذلك فخراً ، فالسيد رجل قصير القامة غائر الرقبة عريض ما بين المنكبين ذو لحية سوداء كثة يضع على رأسه عمامة سوداء صغيرة ويشد بطنه بحزام اخضر وهو كثير الضحك واسع المكر والدهاء ، أما الافندي فقد كان رجلاً اقرب الى القصر منه الى الطول عظيم البطن مترهل الأعضاء وكان يضع على رأسه طربوشا ويلبس قميصا واحداً وسترة صفراء وأظنها من بقايا ملابس العسكرية وهو لا يترك طربوشه يفارق هامته الا قليلا ليدل بذلك على انه تركي . . » (٢٢) . فالاقتنار على تحديد الشخص

(٢١) علي سهيل (والصيف على الابواب) ١٦ - ١٧ ، ١٨ - ٢٣ ، على التوالي .

(٢٢) كاظم مكّي (صفوان الاديّب) ٨٤ - ٨٥ ، ١٢٨ - ١٢٩ .

بمظهره الخارجي لا يخلقه خلقاً كاملاً ، فهناك الحركة والنظرة والصوت وكلها ثقيلة بطاقة غنية من المشاعر هي التي تجتذبها وتصل بيننا وبين اشخاص الرواية وهناك الكشف عن الحقيقة الداخلية في خصيها وتنوعها وكشفها عن نوازع الشخصيات وميولها . كل ذلك لا نجد له اثرآ في رسم شخصيات هذا الاتجاه بل يكتفي المؤلف بالقشرة الخارجية فقط من الشخصية . ويتوارى الاستبطان فلا يكاد يظهر ، ويتوارى مد الحياة وجزرها في نفوس الشخصيات ، فهي صورة حلوة على الورق ذات بعدين ، اما البعد الثالث الذي يعطي الحجم والرابع الذي يمزج فيه الزمن بالحياة فهم لا يهتمون به . حسبههم ان القلم استطاع ان يصور ، اما مهمة الخلق فلا تخطر لهم على بال . وأن الفن القصصي مع اختلافه مع عالم الحياة يتغذى منه ويتزاوج واياه في الشخصيات ، ويستمد منه مطلع الطريق لينتهي بعد ذلك الى خلق الأثر الذي هو في الظاهر يماثل الواقع ، ولكنه في الخفاء ينفصل عنه انفصالاً تاماً اي ان الفن القصصي ينتهي الى قوانين عامة للانسانية ، تعني (احتمال الواقع) لاما واقع فعلاً . لذا نجد ان واقعية هؤلاء الكتاب لا صلة بينها وبين الفن الا بمقدار ما تكون الصلة بين احاديث الناس في الشوارع والطرق وبين الفن . والتصوير الفوتوغرافي غير التصوير الفني والاديب الحق ليس اداة من هذه الادوات التي نسجها الفوتوغراف والتي تسجل الاصوات مهما تكن (٢٣) . ولناخذ على سبيل المثال الحور الدائر (بين ام جاسم

(٢٣) انت لا تكتب عن الحياة كما هي ولكن عن افكارك انت بصدد الحياة ورأيك انت في الحياة . أي نفع للناس ان يعرفوا كيف ارى انا هذا البرج .

غوركي (صور أدبية) ص ٦٥ .

وابى شاکر في رواية (والصيف على الابواب) .

أبو شاکر : ضمن ابو جاسم هل سنه .

ام جاسم : ای داد بس شحالها .

أبو شاکر ! والحاصل شلونه ؟

ام جاسم : مو هلمكد زين . . . تعرف التمر رخيصة وقسم منه
يتلف ويروح حرامات .

أبو شاکر : بلمکت فد يوم نضمن أني وياه فد بستان متعرفين
شکد احب الزراعة والضمان .

أم جاسم : اي داد اعرف اشلون انسى ذيج البستان والمزرعة چانت
اشتراها المرحوم وخلينا عليها حالنا ومالنا لو باقية
چان شلون صارت غير استعجل المرحوم وقشمره
وباعها .

أبو حسيبه : (اخوها الصغير) موصوجه المكيته خسرت قشمره بيها .
أبو شاکر : كولى لأبو جاسم (٢٤) .

ولكي يصل الفنان الى غايته احياء الممكن او احتمال الوقوع ،
لا بد ان يخضع العمل الادبي لعملية الاختيار والانتقاء والحذف
والاسقاط والتحوير والترکيز يقوم بها فنان مدرب يتسم بنشاط الملاحظة
والتأمل ونشاط التحليل والتمييز بحيث يشكل لنا في النهاية كلا
محدوداً يتجه وجهة معينة .

أما اسلوبهم في الكتابه فهو اشبه (بالريپورتاج) الصحفي ، جمل
قصيرة حارة متدافعة ، وايماءات وغمز ولمز « كأنه لا يدري ان المرأة

العراقية سلعة تباع علناً وليس لها سعر محدود، فهي موضوعة كما توضع الحاجات في المزاد العلني ، وينسى ان العراق لا يزال مقيداً باغلال التقاليد التي حرمت على المرأة المحترمة المحتشمة ان تتزوج مجدداً اذا مات زوجها او طلقها ونسى ان الرجل العراقي المحترم يأنف ان يتزوج امرأة ثيب مات زوجها او طلقت ، تلك المرأة عاهر فهو يأبى ان يلوث شرفه بها . ولكنه لا يأنف ان يرتكب الموبقات لقد نسي رياض كل هذا » (٢٥)

ويكون الحوار على شكل الحديث العادي بين صديقين يسرأحدهما بالخبر في اذن الآخر ويسرف البعض منهم في هذه اللهجة حتى يقترب من الركاكة في بعض الأحيان ، وتغلب عليه التراكيب العامية .

« - دخيل الله انت ما تتأذه من عضه الزنبور ؟

- شويه يعني مثل عضه الذبابة مو أني شارب طريقة .

- داد منو شربك طريقة ؟

- شيخ سبيع

- واشكلك لما شربك الطريقة .

- مكلي كلشي بس قره على راسي ونفخ بوجهي وتفل بحللكي .

- وكمت تلزم زنابير .

- وعكارب هم اكدر الزم اليوم راح الزم عشرين زنبور واضمها

وباچر أحلها بدرس التاريخ « (٢٦)

والذي نشاهده ونحققه بالتجربة والاستقراء ان الناس ما تكلموا

(٢٥) حمزة شير على (رياض) ص ٦٥ - ٦٦ .

(٢٦) (عدنا الى الخان الكبير) ص ٧١ .

ولا يتكلمون الآن جميعاً بأسلوب واحد وبلهجة واحدة وسبب ذلك انهم لا يفكرون ولا يحسون على نمط واحد ولا مناص من الاختلاف في التعبير اذا اختلف الناس في الفكر والاحساس بل ولا مناص من اختلاف الرجل الواحد في النطق بالعبارة اذا اختلف موقعها من فكره واحساسه بين ساعة وساعة وبين موضوع وموضوع » (٢٧) .
وخير مثال لهذا الاتجاه في الرواية العراقية جعفر الخليلي الذي سندرسه كمثال لهذا الاتجاه .

كتب جعفر الخليلي في الرواية والقصة القصيرة ، واتخذ حوادث البلد ورجاله مضموناً لقصصه ، واهتم بمعتقدات العامة ، القائمة على الجهل أو الخرافة أو -وهو الفهم لشرائع الدين . وكان هذا الموضوع مدار الكثير من قصصه القصيرة في مجموعاته القصصية العديدة (حديث القوة بجمع المتناقضات من فوق الرابية أولاد الخليلي هؤلاء الناس) (٢٨) . بالإضافة الى غيره من الموضوعات المنتزعة من البيئة العراقية . وكما كان هذا الموضوع مدار روايته (في قرى الجن) - وقد مرت دراستها في الفصل السابق - و (الضائع) ونحن بسبيل دراستها هنا ، وقد حدثنا القاص فيها عن فتى كثير الشر ، يعتدي على اقرانه ولداته الذين يشاركونه اللعب بسبب وبغير سبب ، حتى ضج من تصرفاته الآباء والأمهات ، ولم تجد معه قسوة ابيه ، والعقوبات الرادعة التي كان ينزلها به شيئاً وحينما ضاق به ذرعاً ، أسلمه الى شيخ عرف بشدته وصرامته ،

(٢٧) شكرى غالي (ازمة الجنس) ص ٢٦٤ .

(٢٨) راجع رسالتنا في الما جستير (القصة القصيرة في العراق بعد الحرب العالمية الثانية) .

ليقوم على تأديبه وتعليمه القرآن والكتابة ، الا ان الفتى لم يقلع عن الشر أبداً . ويدفعه سوء الطالع الى ضرب غلام ، ابن رجل من الاثرياء وسرعان ما يحس فظاعة ما ارتكب ويطيل التفكير في عاقبة عمله هذا ، متصوراً مبلغ العقاب الجسيم الذي سينزله به ابوه ، فيعزم على الهرب وينفذ عزمه في الحال . وتسوقه المصادفات الى الالتقاء بدرويش يدعى (حبيب) من اصحاب الطرق - يعجب به الفتى ويلزمه كظله ويعيش الاثنان عيش زهد وتنسك ، يكتفیان بقليل من الطعام ويرتديان اللباس الخشن ويطويان المسافات بين القرى والمدن في العراق وايران سعياً على الاقدام .

وكان الدرويش يلقي قصائد من الشعر الصوفي في الاديان الفارسي والعربي ، وكثيراً من علوم الدين والشرع الاسلامي . أمضى الفتى في صحبة الدرويش سبع عشرة سنة ، صار فيها رجلاً ذا علم وفضل ، وعندما مات الدريش ترك حياة التشرد ، وقلع عن الدروشة واستطاع الاتصال بأبيه وأمه واستقر في النجف بعد ان تزوج وأنجب .

وقد كرس القاص الكثير من الفصول للبحث فيما يتعلق بتملك الأوهام والضلالات التي علقت بقلوب الناس عن طريق بعض من تصدى لتدريس الدين بصورة مشوهة ، مثل الفصول التي وضع لها في الرواية هذه العناوين (الارشاد عن طريق الخداع) و (ماهية الأرواح) و (كيفية الزوجان عن أداء الصلاة) ، وغيرها من الموضوعات الجافة التي تسيطر عليها لهجة تعليمية عملة . ولا يستغرب ذلك من المؤلف فقد قال في المقدمة « انه لا حاجة الى القول بأن

الفرض الاول والأخير من القصة انما هو انماء المدارك واذكاء الاحاسيس ولفت الانظار الى كيفية استخدام القابليات فيما يعود على الانسان بالنفع سواء من الناحية النظرية او العملية (٢٩) والى هذا الرأي ذهب عبد القادر حسن امين (٣٠) .

والموضوع الذي دارت حوله الرواية موضوع اجتماعي ، قصد به الكاتب السخرية من التقاليد الشائعة في العراق ، والاستخفاف بها ومحاولة صد الناس عنها . وقد صور الكاتب الواقع الخارجي تصويراً حرفياً ، وانتفت عند العقدة وجامات الاحداث فيها اخباراً كالاخبار التي تمتلئ بها الحياة ، لها بعدها الزماني والمكاني ، ولكنها خالية من البعد النفسي ، ولها صدق في الوقائع او الحدث ، ولكنها لا تشمل الدلالة ولا تصل الى درجة الحدث ، وانما يقف كاتبها في الحياة وفي الرواية عند حدود المادة الخام ، وكل ما يهمه ان يصل فيها الى غايته الاصلاحية ، بابعاد الناس عن العادات المستهجنة المتحكمة في نفوس الناس .

والخليلي ماينفك يرقب الشد والجذب الداخيلين لدى أولئك السذج الذين تكيف المحرمات المقدسة حياتهم ، والذين يوجه تعبدهم الخوف لا الحب . ويكمن حجر الاثرة الوحيد في اهتمامه البالغ بأوصاف الشعب وعاداته ، في جميع قصصه على حساب الحركة . وهكذا ضحى المؤلف في سبيل غايته تلك بالشكل (٣١) .

(٢٩) (الضائع) ص ٣ .

(٣٠) عبد القادر حسن امين (القصص في الأدب العراقي الحديث)

ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٣١) انظر عبد القادر حسن امين (المصدر السابق) ص ٣٨١ .

ويمكننا ان نحذف من الرواية فصولا مثل فصل (ماهية الأرواح)
وفصل (بين الشك واليقين) وفصل (الطب والتدجيل) وفصل
(العدل المفقود) دون ان يؤثر ذلك على سير الاحداث . كما يمكننا
ان نلخص فيها او نطيل ما شئنا ، اذ كانت هذه الامور تخدم الهدف
الوعظي بالاضافة الى رصد العادات والتقاليد الشائعة في العراق وتسجيلها
ليستطيع نقدها والسخرية منها .

وقد عرض المؤلف روايته بأسلوب سردي فاتر ، يعوزه التأجج
وخاصة في الفصول الاولى منها ، مع ان الفتي - بطل الرواية - كان
يمر بأزمة نفسية حادة تتقاذفه مخاوف عديدة كخوفه من الجوع
وفزعه من شبح العصي التي اعدّها والده ليسلخها جلمده ، واحساسه
المؤلم بالمستقبل المجهول . كل تلك الظروف مر بها الكاتب مرور
الكرام ، دون ان يستغلها في رسم عواطف الصبي وابراز انفعالاته ،
كما لم يجر ذكر أبيه وأمه على لسانه الا مرة واحدة ، حين اثارت
زيارة الدرويش لدار ابيه وأمه في خراسان ذكريات طفولته معهما ،
فأبكنته طويلا واقسم على اثرها ان يعيد الفتى الى امله « (٣٢) .

والصور التي يرسمها الكاتب ليست مقصودة لذاتها ، وانما تستهدف
شيئاً آخر هو النقد الاجتماعي . ويعني ذلك ان المؤلف لم يكتب
قصصه لمجرد انها تجارب شخصية من حياته ، وانما يكتبها ليتخذ منها
موقفاً معيناً من الحياة ويوجهها الى المجتمع تنقده ، وتكشف مواضعه
الاخلاقية الكاذبة ورياءه البشع ، أو تعرض الى عادات المجتمع
بأسلوب فكاهي وينتقدها بروح ساخرة . وهو انما يعبر عن البيئة والعصر

الذين يعيش فيهما ، حيث يتبلور وعي كامل بالواقع وما يحيط به . ويتخذ الكاتب من الفكاهة وسيلة للسخرية من الواقع المر الذي كان عليه المجتمع ، ويتناول بعض الامراض بالنقد اللاذع كما فعل في وصف (تحضير الارواح) و (الزواج بأكثر من واحدة) و (أساليب العلاج عن طريق المشايخ) (٣٣) الى غير ذلك من الفصول التي تزخر بها الرواية .

وقد يبالغ في وصفه الساخر شأن الرسامين (الكاريكاتوريين) في تضخيم الاشكال (وفي ذات ليلة من الليالي تناقل الجمع الحاضر في مجلس الملا وندوته خبراً فحواه ان امرأة - وسميت وسمي زوجها - وكانت توفيت ولم يعلم احد بخبر حليها وخبئها حتى رآها زوجها في الحلم الليلة البارحة وسألها عن حليها فأخبرته بأنها قد دفنتها في مخزن الفحم ولقد قضى الرجل نهاره اليوم وهو يبحث في الموضع المعين حتى عثر عليها - حيث اخبرته زوجته « (٣٤) ولكنه مع ذلك يحتفظ بالذرة الاولى المستمدة من الواقع - واقع البيئة وواقع العصر التي تصدق مثل هذه الخرافات .

وأيقظ الضمير الاجتماعي في عصر شوهه الخداع والكذب ولم يكن الخليلي لينخدع بها . ومع ذلك لم يكن متشائماً بل كان يؤمن بالعلاقة الطيبة بين الله ومخلوقاته وبقوة الحب التي تنتصر في النهاية . ولا يؤمن

(٣٣) (الضائع) ص ٥٤ - ٦٠ ، ٣٦ ، ٦٥ على التوالي بالاضافة الى

الصفحات ١٥ ، ٥١ ، ٦١ ، ٦٩ ، ٧٤ .

(٣٤) الضائع ص ٥٤ .

الخليلي في قصصه بفاعلية القوانين والنشريات في اصلاح المفاسد ، بل يؤمن بمسؤولية الفرد وأن الخير سيأتي عن طريق الفرد وحده وخاصة الفرد المحسن .

ونلمس عدم قدرة الخليلي على خلق حبكة لروايته التي كانت الاحداث فيها مبعثرة يكتال في جمعها وربطها عن طريق تقسيم الاحداث العديدة الى فصول ، وما هذه الفصول الاصور مأخوذة من الواقع الحرفي . ففي الفصل الاول (تمرد) يصف لنا لعب الاطفال وعيهم وتعلمهم في الكتاتيب وفي الفصل الثاني (قلق) يصف لنا الريف العراقي ، وفي الفصل الرابع (المرشد) يصف لنا حياة (الدراويش) وفي الفصل السادس (الارشاد عن طريق الخداع) يصور لنا استغلال رجال الدين للناس البسطاء ، وهكذا حتى ينهي روايته ورغم عدم اهتمامه بالأسلوب وتركيب معنى الجمل وعدم قدرته على خلق الشخصوس ، فاننا نعجب به ونقدره لحيويته الدافقة التي تحيط بمواقفه . وشخصه وتنقل عالماً واقعياً منعكساً عن الواقع يلفت نظرنا اليه وقد لا نعبأ به في حياتنا اليومية .

ولا يعنى الخليلي بفنية الرواية العناية اللازمة كما لم يعن بفنية قصصه القصيرة - فكان نتاجه خالياً في الغالب الأعم من شروطها تغلب عليهما البساطة والسهولة الصحفية . وقد يعثر القارىء بين حين وآخر على الضعف في الأسلوب والتواء في التعبير ، مردهما الى السرعة التي يقتضيها عمل الصحيفة واخراجها في مواعيدها . وقد قال الخليلي في مقدمة روايته (الضائع) انه كتبها اجزاء ونشرها في جريدة الهاتف فصلا بعد فصل ، أجابة لداعي الفراغ ولسد حاجة صحفية ،

ثم كون منها رواية عام ١٩٤٨ (٣٥) .

لذا لم تتوفر الوحدة بين فصولها ، ولم تتضح الصلة بين هذه الفصول .

وبدراسة صور التحليلي نجدها موضوعية دقيقة في موضوعيتها ولا أثر للذاتية فيها ، حيث يصور الكاتب عالم يمر به ومالا علاقة له به اطلاقاً ، ونحس انه ينقل أشياء خارجة عن ذاته ، فمناظره وشخصه والعالم الذي يصوره يعرضه في ارض محايدة تماماً ، لذا يحرص على تصوير ما هو موجود فعلاً بكل حذافيره « وعالم هذه القرية يدعى الشيخ محمد حسين وهو رجل لم يكتف بزعامته الدينية وحدها بل انه كان كثير التدخل في الشؤون شأن كثير من زملائه الذين اذا آنسوا في المحيط ضعفاً استغلوه حتى حالوا بين المرء وزوجه والأب وأولاده فلا يتكون القصة الا وهى خاضعة لهم في امر خطيراً كان ام حقيراً وهى صفة الذين لم يعرفوا من الدين الا ان يتخذوه وسيلة لهذه الزعامة أما تثقيف الناس وتمذيبهم وتقويم اخلاقهم فتلك امور لا يعرفون منها شيئاً لانفسهم فكيف ان يعرفوه لغيرهم ، فكان هذا الشيخ يسيطر على القرويين سيطرة الحكومة المستبدة القوية فيخشى الجميع جانباً به ويعذر سطوته » (٣٦) .

ونلاحظ مع هذا ان له في ثنايا الرواية تعليقات وأحكاماً خاصة ، لكن وجود هذه التعليقات لا يعنى بالضرورة ان الصور ذاتية ، وأن الكاتب يصور تجربته الشخصية فقط ، بل يعنى انه يحاول بطريقة سافرة تفسير

(٣٥) الضائع ص ٢ .

(٣٦) الضائع ص ٥٤ .

وضع من الاوضاع او التعليق على سلوك معين . ويتحول هذه التعليقات وهذا التدخل المباشر وأحكامه الجانبية أحياناً دون النمو الداخلي للرواية (٣٧) .

« وقد كانت يمدت يومذاك كالقاهرة اليوم في كثرة ما تطبع من الكتب العربية وصديقة الاخبار هذه اول جريدة عربية صدرت في سورية وعاشت اكثر من خمسين سنة على ما اظن والخلاصة ان الملا نال حظاً وافراً من العلوم الحديثة » (٣٨) ويجعل الحليلي للموصف المكانى أهمية قصوى في روايته ويقدم تصويراً للبيئة والمكان مدفوعاً بلذة التصوير دون سواها اذ يشعر القارئ ان هذا الرصف مقصوداً لذاته « خرجت من النجف وتوجهت الى باب المدينة وهناك اقتفيت أثر القوافل ماشياً على رجلى متجهماً الى الكوفة حتى ادركت قافلة رأيت ان أسير الى جانبها لاقطع الطريق برفقتها . . . وكانت له صبية اركبها منفردة على حمار لنفسها فأركبني ومعها بعد ساعة ونصف بلغنا مسجد الكوفة وكانت الشمس قد توسطت السماء فيممت وجهي نحو النهر احاول عبوره والوصول الى ابي شورة قبل غياب الشمس وما كدت اخطو بضع خطوات حتى تناول الرجل من زوجته رغيفاً من الخبز ومقداراً من التمر وقدمه لى » (٣٩) .

وشخصياته في هذه الرواية بسيطة منتزعة من البيئة المحلية - العراقية ، قد نعرف اسماء اصحابها وقد لا نعرفها كاسم البطل في الرواية . ويعلق الكاتب الأحداث على هذه

(٣٧) انظر الضائع ص ٦٣-٦٤، ٧٠-٧١، ٨٠، ٨١، ٨٣، ٩٢-٩٣، ٩٦، ٩٧، ١١٥، ١١٧

(٣٨) الضائع ص ٥٤ . (٣٩) الضائع ص ١٩ .

الشخصيات وكأنها مشجب فحسب ، وليست مقصودة لذاتها وانما تستهدف النقد الاجتماعي . وشخصياته سلبية قدرية مؤمنة بمسيرها ، لا تحاول ان تصارع القدر لتتغلب عليه ، بل هي مستسلمة بكليتها . فالبطل بعد ان يتعرف على الدرويش (حبيب) ينتقل معه في المدن والقرى في ايران والعراق دون ان يعرف هدفاً لذلك . وبعد ان يموت (حبيب) تضيق الحياة به فيعود الى العراق والى والديه ، وحينما يطلب اليه اصدقاؤه أن يتزوج يفعل ذلك صاغراً « وقال لى اصحابي لا تهتم بشيء فاننا سنهيء لك المهر ونخطب لك الفتاة الصالحة وليس عليك الا ان تهنا وتعيش سعيداً ... » (٤٠) وهي طبيعة قدرية لاتعقيد فيها ، ولا نوازغ حادة تتلج في انحائها ، وتأتي على مستوى القضايا البسيطة العادية التي تعرض لها ، وحوادثها لا مبرر لها سوى تاتشير الى ان الحياة نفسها تحفل بأمثالها ، وتزدحم بالعديد من المخلوقات (الطافية) التي لا تزيدنا معرفة بطبيعتها ولا بخصائصها الانسانية العميقة الأغوار لسبب بسيط هو ان الكاتب لم يكن يلفته فيها غير سماتها العادية الثابتة . (فالبطل) مثلاً كان في صغره مشاكساً يرمي الجيران بالحجارة ، ويضرب زملاءه الصبيان أثناء اللعب وفي الكتاب ثم ينقلب في صباه وشبابه الى درويش لايعرف عن الحياة شيئاً سوى مصاحبة الدرويش حبيب والانتقال معه من مكان الى آخر . ولم يعط الكاتب الصفات الخارجية للطبيعية لشخصياته - ولم يحاول استبطانها وكشف نزعاتها وعواطفها .

ان تصوير الشخصيات تصويراً صادقاً هو الذي يكسبها عنصر الحياة ،

ومن ثم فان لها هذا العالم الخاص الذي يقوم الفن القصصي كله على خلقه . والرواية الفنية هي التي لا يقتصر فيها على الجانب الواعي من حياتنا واللون البادى في مجتمعنا الظاهر ، بل يتغلغل فيما وراء الوعى وينفذ الى باطن الحياة والمجتمع ، حتى تتجلى له اهواؤه التي هي مرجع التوجيه .

وبلاحظ ان شخصية الدرويش (حبيب) قد طفت في هذه الرواية حتى لم تعد شخصية الفتى الضائع الاطلا باهتا ، فالدرويش هو الذي يتكلم ويعظ وينشد ويبكي ويفرح ، في حين ان الفتى يظل صامتاً يصفي السمع الى استاذة ومرشده ، مع انه الشخصية الرئيسية في الرواية . وربما كان الاقرب الى الفن ان يتحدث الكاتب عن الدرويش من خلال عواطف الفتى وانفعاله به .

ويفسر الدرويش حبيب رجال الدين واستغلالهم بسطاء الناس ، ويتحدث عن الشعوذة والدجل والسحر وايمان الناس بها ، لذلك طغى الاسلوب التعليمي على الرواية ، ولا يمر فصل واحد دون وقفة وعظ وارشاد (٤١) « هل انت شاعر لماذا تصلي اذا صليت ؟ ولماذا تصلي اذا تركت الصلاة ؟ اني اربأ بك يا ولدي أن تكون كهؤلاء الصبيان فتصلي دون ان تفهم سر الصلاة . . . فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر حقاً واريد منك ان تسبر غور هذه العبارة وتعرف معنى نهيك عن الفحشاء . . . » (٤٢)

(٤١) - الضائع ص ٤٣ - ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٠ - ٧١ ، ٨٠ - ٨١ ، ٨٤ ، ٩٢ -

٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١١٥ ، ١١٧ .

(٤٢) الضائع ص ٥١ .

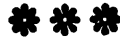
والكاتب متسامح يبشر بالمحبة ، لذا كان في روايته واسع الرحمة ، شديد الميل الى اخفاء الشر . والذين يعطف عليهم من ابطاله اناس ذوو نفوس خيرة بطبيعتهم ، لا يشذون ولا يسيئون الامدفعين والحاجة ، فالبطل عندما كان يؤذي زملاءه كان مدفوعاً بقصور عقله وصغره ، بل أنه ما يكاد يصور الشر حتى يندم على الذنب الذي اجترمه فيرجع عنه اذا استطاع ، فنجده يغير سلوك البطل في يقاعته ، فيحيله انساناً وادعاً خيراً ، يمد يد المساعدة الى جميع الناس . وهو عندما يكتب يطنب ويطنل في كثير من الأحيان ، وقد يسفر ما يكتبه عن قسامة احيانا . وهو يستمتع بالحياة ويشارك الناس متعة العيش . وفكاهته دافئة شاملة وعميقة الغور كما رأينا عند دراستنا روايته (في قرى الجن) فهو يربط جميع بنى الانسان في قصصه برباط رحيم وكريم وفكاهته تحرمه من النظرة النسبية الى الاشياء ، الا ان مايفتقر اليه من مراعاة التناسب هو اساس فكاهته ، والخطوط التي يميز فيها بين الخير والشر خطوط حادة شديدة الوضوح . فالرجل القاسى الشرير في نظره مثل محمد حسين رجل الدين في القرية هو رجل قاس وشرير لا غير وليس رجلاً لم يهذب التهذيب السوى ، والشر شيء عريق فيه تشربته طباعه . وهو صاحب اسلوب خاص ينزع فيه الى محاكاة القدامى في تنقيح بسيط . وعلى الرغم من عدم وجود التجديد المتطلب بالنسبة الى النهضة الفكرية والثورة السلوكية ، وقد يقط احياناً الى الاسلوب الصحفي - كما لاحظنا في رواية الضائع - أو أسلوب الريبورتاج . وقد يلتوي أحياناً ويبتعد عن السلاسة والتدفق والرشاقة ، ويمانى من التعثر والركاكة وهو يرصع ما يكتب بما يحفظه

من الشعر » (٤٣) . يستشهد به حينئذ ويجريه على لسان أبطاله حينئذ آخر ، وهو يميل الى الاسلوب الخطابي عندما يريد ان يرشد اويحفظ اويُدافع عن فكرة يؤمن بها (٤٤) . ويميل الى اسلوب السرد في رواية الحادثة ونقل الخبر بالتتابع مع الزمان ، دون استخدام لطريقة المذكرات او الرسائل او المونولوج الداخلي .

ويؤخذ على الكتاب في روايته (الضائع) عجز خياله عن التحليق بعيداً في خلق جو عطر مضمخ بشذى الطبيعة وخرير الجداول وصمت الجبال . وقد كانت حياة الدرويش خطوات بين مظاهر الطبيعة السافرة بين العراق وايران مساعدة على مثل هذا الخلق .

ونحن نتساءل بعد كل ذلك عن قيمة رواية الخليلي التي تقتصر على تسجيل العادات والتقاليد ؟ لقد قلنا سابقاً بأن الرواية كعمل ادبي ليس من مهمتها أن تزودنا بمعلومات غير متينة وليس لها ان تعظ فتحث على الخير وتنهى عن المنكر بصورة تقريرية ، وليس من مهمتها ان تقدم دراسات جغرافية او تاريخية أو غير ذلك من شتى انواع العلوم . فالرواية التي تقتصر غايتها او تكون مهمتها هذا التسجيل تصلح عادة لغير الفن ، فهي قد تنفع علم الاجتماع والدراسات (الفولكلورية) ولكنها لا تحمل اية قيمة فنية ، لأن الفن القصصى ليس سوى خلق عالم خاص تتحرك فيه شخوص حية ترتبط بهذا العالم أوثق ارتباط شخصيات يستطيع القارئ أن يشاركها حياتها وعواطفها وأهواءها وينتظر الحوادث معها ، والهدف الرئيسى الذي يجب ان يستهدفه الروائى احداث حركة سحرية في ذهن القارئ ، بحيث تستحوذ على خياله ويرتسم

بواسطتها هذا العالم أمام عينيه .



وبعد فاني أرى في الرواية التسجيلية العراقية ان المطابقة الفوتغرافية بين الفن الواقع تشويه لجوهر العملية الخالقة في الابداع الفني الذي يستلهم الواقع حقاً ، ولكنه لا يصوره بل يفسره ولا يغيره ايضاً وانما يتفاعل معه تفاعلاً غاية في التعقد . وربما فسرت لنا الفلسفة هذا التفاعل وربما انتقلت بوظيفتها من مجال التفسير الى التغيير ولكن الفن يبقى كما هو عنصراً متمائزاً بين عناصر الواقع يكتسب اصالته كلما اشتد هذا التمايز ويفقد نوعيته كلما ذاب هذا التمايز ، لذلك اتصور الصدق الفني في العمل الأدبي على ضوء التماسك الداخلي بين عناصره ومن ناحية التماسك الخارجي بينه وبين المرحلة الحضارية التي يعيشها الانسان في مكان ما في العالم من ناحية أخرى . ولذا يحتل الصدق الفني مكان العامل الحاسم في تقييم الفن ، وهو شيء بعيد عن الصدق الاخلاقي أو الصدق الفوتغرافي لأنه يكتشف زيف الشخصية أو افتعال الحدث على ضوء ارتباط هذه وتلك ببقية العناصر المكونة للعمل الفني من جهة ، وارتباط هذا العمل بالمرحلة الحضارية التي نعيشها من جهة أخرى .



وظهر روائيون عراقيون مزجوا بين الواقع والفن وقدموا للقراء نتاجاً أدبياً جيداً ، وهم عبد الحق فاضل في روايته (مجنونان) التي ظهرت

عام ١٩٣٩ وخالد الدرة في روايته (افول وشروق) التي ظهرت عام ١٩٥٣ وهلال ناجى في روايته (ابغير قلوب) التي ظهرت عام ١٩٥١ وشاكر جابر في روايته (الايام السيئة) التي ظهرت عام ١٩٦١ (والهارب) التي كتبها عام ١٩٦٢ وفؤاد التكرلى في روايته (الوجه الآخر) التي ظهرت عام ١٩٦٠ وغائب طعمة فرمان في روايته (النخلة والجيران) التي ظهرت عام ١٩٦٥ . وذنون ايوب في روايته (الدكتور ابراهيم) ١٩٣٨ (راليد والارض والماء) ١٩٤٨ .

وقد تأثر هؤلاء الكتاب بالاتجاهات الواقعية الغربية ولكن تأثرهم كان في الشكل دون المضمون . وقد احس هذا الفريق بعوامل الضياع في البيئة كما احس بها في نفسه ، فلم يفصل بين آلامه وجروح المجتمع ، ورأى في الوقت نفسه الوانا من الآداب الأجنبية التي ترتبط بيئاتها وتلتصق بانسانها العادي ، فتصور وتعبر على أرض الواقع الطموس ويأتى تعبيرها نابضا بما في صميم الحياة من انتفاض او ثورة على الركود . وعندما اخذ ادباؤنا الواقعية من الغرب كانوا متحمسين للنهوض بالمجتمع واثارين على ما يعوق تقدمه فتوجهوا بها الى الغايات الاجتماعية والتوجيهية .

غير ان الروايات الواقعية التي ظهرت قبل الحرب العالمية الثانية لم تحرز تقدماً فنياً كبيراً ، لذا نعد ابرز حدث في تاريخ الرواية الواقعية في العراق الحرب العالمية الثانية .

وكانت الرواية الواقعية في العراق في بدء نشوئها لا تبشر بشيء ، ولا تدعو الى سلوك الخير ، وقد ينتج عنه الشر . فالخير يأتي من التبشير بالواقع حتى لا يقع الاخيار فريسة الاشرار ، والتغيير من قبح

هذا الواقع والسعى الى اصلاحه ، وأما الضرر فقد يأتي من التشكيك في القيم المثالية والاخلاقية ، وهي قيم ان لم تكن حقائق واقعية فهي ضرورات خيرة لا بد منها لكي تستقيم حياة الفرد وحياة المجموع ، ولكي لا نترد الانسانية الى المهجية الاولى . تعرض رواية (العفة) التي ظهرت عام ١٩٣١ لمحمد صالح بحر العلوم الحياة القديمة المثلى التي ورثناها عن القرون الوسطى فما ان يبلغ الابن الحلم حتى يتزوج ليسعد به ابواه . ولكن هذه الحياة لم ترق لفريد بطل الرواية لانه لا يريد ان يحيا جاهلا وان يكون عالة على والده . وأن يتزوج من فتاة لم يراها من قبل ولم تستطع ان تفهمه او ان يفهمها ، فيكسر قيده ويتم دراسته ويطلق زوجته الاولى التي تزوجها رغماً عنه ليتزوج من (صفية) الفتاة المتعلمة التي أحبها وأحبته .

وتظهر لنا المقدمة مفهوم الرواية عند جيل ما قبل الحرب العالمية الثانية « الرواية جسم محنط روحه الحادثة وثوب رقيق يشف عن القضية وهي اظهار الحقيقة ويشترط في الرواية ان تصرح عن شرف المقصد ونزاهة الغاية وبلاغه التعبير فتبعث في جسم من يشاهدها روحاً وثابة وترسل الى فكر من يطلع عليها شعوراً نبيلاً » (٤٥)

وقد ركزت الرواية الواقعية على ابراز الشخصية العراقية ، وتصوير البيئة العراقية ، والتعبير عن الانسان العراقي بمشكلاته وتطلعاته . كما عنيت بتصوير آثار الاستعمار في فساد الحكم واستغلال النفوذ وسوء التوزيع ، أكثر ما اهتمت بما جد بعد الحرب الثانية من انجازات قومية واجتماعية ، ومن تأثير هذه الانجازات في الحياة الاجتماعية

الاقتصادية وصراعاتها وتطوراتها .

ويتجنب هؤلاء الكتاب الاغراب في وصف المشاهد وسرد المواقف ما استطاعوا الى ذلك سبيلا . وهم يبررون طريقةتهم هذا بأن الحياة الانسانية العادية تقل فيها مغامرات الناس وتمضي ايامها رتيبة متشابهة واذا حدث ذات يوم حادث ماله خطره وطرافته فانه يمضى هادئا في غمرة هذا الصخب ، دون ان يلتفت اليه انسان ، ودون أن يخلف وراءه من الاثار ما يطبع حياة الانسان بعامة ، أو يعيق مجرى التيار المتدفق او يغير وجه التاريخ .

وسندرس فيما يلي أفضل كتاب الرواية الواقعية في العراق الذين ظهر نتاجهم قبل الحرب العالمية الثانية كذنون ايوب وعبد الحق فاضل والذين ظهر نتاجهم بعد الحرب الثانية كخالد الدرة . ثم ندرس أشهر كتاب الرواية الواقعية في العراق بعد ثورة تموز كفؤاد التكرلي وشاكر جابرو غائب طعمة فرمان .

يعد عبد الحق فاضل ابرز من وضع الرواية في العراق على الصراط الفني من المخضرمين ، واول من اعطاها شكلها الذي يجب ان تأخذه ، كنوع ادبي راق ، تمثل بعمق روح التجربة القصصية فاستطاع بتمكنه من الخلق الفني ان يفرغ كل التجربة في قالب الفني .

ويعد اسما سهما بين كتاب القصة في العراق لقدرته الكبيرة على التصوير والتركيز والتوضيح للمصور الحسية التي يرسمها . ويحسن سبك القصة في قالبها الفني كما يجيد تصوير الشخصية ومنحها جميع ابعادها .

وتعد روايته (بجنونان) التي ظهرت عام ١٩٣٩ اول رواية فنية

كتبت في العراق قبيل الحرب العالمية الثانية ، رغم ان المؤلف كتبها قبل ذلك بثلاث سنوات عام ١٩٣٦ . وقد ظهرت له مجموعة قصصية باسم (مزاج وما اشبه) عام ١٩٣٦ . ثم ظهرت له بعد ثورة تموز مجموعتان قصصيتان (حائرون) و (طواغيت) . وبذلك يواصل الكاتب نتاجه ممثلاً شخصية مستقلة مبتكرة تعني موهبتها ومقومات عصرها الذي تحيا فيه ، ومقوماتها القومية التي اتسع افقها بالدراسة الانسانية . والكاتب من اصحاب الرسائل في القصص العراقي الحديث ، ومن موجهي القصة الفنية في مراحلها الاولى ، نحو المثل العليا الغربية التحليلية ، وهو يعبر عن رسالة تتصل بالحياة المحيطة به في اصالة .

وتدور الرواية حول (صادق شكرى) و (صفية سعدي) ، كلاهما يمتاز بالذكاء وسرعة البديهة ، ويميل الى الادب . ويكتب القصص ويخوض في مشاكل المجتمع المهمة ، وعلى رأس هذه المشاكل مشكلة المرأة ، وهما من انصارها ، يريدان لها الحرية والكرامة ، وقد تم تعارف الاثنين عن طريق الكتابة ، في الصحف ، اذ ارسل صادق رسالة الى صفية مظهراً اعجابه بها ، واردفها بثانية وثالثة ، فتلقى منها جواباً خشناً استنكرت فيه وقاحتها وسخافته . وتشاء الاقدار والمصادفات المحضنة ، ان يلتقي صادق بها فلا يصرح لها بحقيقته اسمه وينتحل له اسم (صدقي) . وتقع الفتاة في حب صدقي ، وتبوح له بذلك ويعن له ان يسألها رأيها في صادق شكوى الذي كتبت عنه مقالا تشيد بأدبه وتثنى على ذكائه وعبقريته . فيخيل اليها انه يشعر بالغيرة منه لذا تنطلق في ذمه وانتقاصه ، الا ان ذلك يفضبه اشد الغضب ، فيترك

فردوس الحب هارباً منه دون ان يتعلم سبباً لغضبه . وتتدخل المصادفة للمرة الثانية ، فيلتقى بها في بيت اخيها فوزى صديق صادق الحميم وهو يجهل انها اخته ، ويجري عتاب طويل يكشف عن مدى حب الاثنين احدهما للآخر ، وهي ما زالت على جهلها السابق بأنه هو صادق شكرى ، وتعلمه انها جاءت الى بيت اخيها لتتعرف عليه (اى على صادق) كما وعدما فوزى بذلك ، وقد ذهب للبحث عنه واحضاره ، ولكي ترضى (صدقى) وتبرهنه على اخلاصها له ، تظهر عدم اهتمامها (بصديق شكرى) . ولكن هذا يسوءه ايضا ويثير غضبه ، ويضطره للخروج ، وعند الباب يلتقى بفوزى عائداً يطلب اليه ان يمكث قليلا ولكنه يأبى عليه ذلك ، ويسأل فوزى اخته عن سبب سوء التفاهم ويخبرها انه هو صادق شكرى ذاته ، فتصمم على الذهاب اليه واسترضائه .

وقد حقق الكاتب انسجاماً جيداً بين الشكل والمضمون . ويبدو انه قد ادرك خلافاً لغيره من الروائيين الذين كتبوا القصة في العراق خلال الفترة - قبل الحرب العالمية الثانية - ان للرواية شكلاً يجب ان ينسجم مع مضمونها وان الكاتب غير حرفي ان يسوق ما يريد على النحو الذي يريد ، وان الرواية تخضع لاصول خاصة ، فيها المعاناة والمكابدة والبناء المحكم ، الذي يقوم على اسس فنية متينة ، وليست عملاً سهلاً هيناً يسهل على اى انسان القيام به .

والشكل القصصي الذي اختاره لمضمونه ليس رداءً فضفاضاً يمكن ان يدرج الكاتب تحته كل ما يريد ان يقول ، بل جاءت روايته على نحو يتلشى فيها السرد والحوار والحبكة والتحليل مما قاده ان

يكتب الرواية التي تخضع للصفة الفنية اكثر من خضوعها للطبع والعفوية والارتجال . فالتدفق والنظام يمتزجان فيها امتزاجاً تاماً ، ويسبغان عليها الجمال ، ولا تقتصر على عرض حكاية او حادث ولكنها اذ تروي القصة تمنحها كثيراً من الضوء والوضوح .

ويحسن الكاتب استخدام الاطار العام للرواية ، ولا يترك الجزئيات التي لها علاقة بالحدث الا ويسلط عليها ضوءاً ضئيلاً او قوياً ، يتناسب وأهميته كما فعل في تصوير علاقة (سميرة بصادق) ، وعلاقة (صفية بأخيها فوزي) ، والحياة البيتية التي يحياها صادق مع امه وريبتها الصغيرة نديمة .

والحكمة القصصة عند الكاتب محكمة ، وهو يرسم حدثه بمهارة لا لغو فيه ولا فضول ، حتى عادت لكل عبارة قيمتها في تطوير الحدث على نحو يبرز فيه الحس القصصى بأجلى صورته . كما ان الكاتب يتيح للحدث فرصة نموه وتطوره ، دون تدخل منه او شرح او تقرير لذا كان مسار سرده طبيعياً متدفقاً لا وقفة فيه ولا اضطراب . غير ان الحركة تبدو بطيئة في بداية الرواية مما يشير السأم ، ولكن المؤلف سرعان ما يعود الى طبيعته ويشد تدفقه الاسلوبى القارىء بعد صفحات قليلة من بدء الرواية لكى يتابع مضمونه حتى يصل به الى ذروته . ولم يوجد الحادث لذاته كما في غيرها من روايات تلك الفترة ، بل نتج عن الدوافع المتضاربة للشخصيات .

وتمتاز حيكته بأنها مجموعة الحوادث ، تسير بالقارىء من فكرة الى فكرة في ذوق ادبى ، ويمتاز بوجود روح الدعابة الجذابة ، كما يوصل الفكاهة بمعاني الحياة العميقة ، وتشيع السخرية الناقدة في كتاباته ، السخرية

من التقاليد والمثل التي تعم المجتمع العراقي ، وهو في نقده الساخر يشبه جعفر الخليلي ولكنه يختلف عنه بالتزامه فنية الرواية ، ومعالجته المشكلة بصورة اكثر عمقا وتأثيراً في النفس فيقول الوزير على سبيل المثال لصادق شكوي الذي رشحه للنيابة دون علم منه :

(اقول له اخدم امتك فيقول لي سلاح مسروق فليكن . لقد كان مسروقاً منك فسرقتة وانا مرتاح الضمير واعدته اليك . . . وقد قبلت الوزارة لا لان كل ما فيها تطيق عليه المبادئ السامية الشعبية والمثل العليا ، ولكن لأنني أقوى ان اكون فيها نزيهاً . . . لا تقل ان انتخابك مخالف للقانون ، ان القانون وسيلة لخدمة المجتمع لا غاية لنفسه وانت تعلم اساليب الانتخابات من قبل . لقد اهمل القانون فيها للاضرار بالمجتمع وقد اهملته انا لمنفعته . .) (٤٦) .

وتفسد حبيكته احياناً بعض الاضافات والى يادات والاستطرادات ، مما يبعث السأم في النفس ، كالاستطراد في الحوار حول فلسفة الحب وموقف الرجل من المرأة وموقف المرأة من الرجل وايهما اكثر اثراً في الآخر (٤٧) .

واصبحت الرواية بين يديه تعبيراً عن موقف واحساساً معيناً للكاتب ازاء الواقع الذي يعيش فيه . وكان لتحديد موقف (فاضل) من الواقع ان روايته اصبحت اكثر تماسكاً من الناحية الفنية ، ووجدت محورها الذي تدور عليه احداثها والرابطة التي تربط بين اجزاها .

ويكتشف الكاتب عن احساسه بياس المثقفين من ابناء الطبقة

(٤٦) عبد الحق فاضل (مجنونان) ص ٩٠ .

(٤٧) المصدر السابق ص ١٠٨ - ١٣٢ .

الوسطى الذين يحاولون شق طريقهم بكفاحهم وعرقهم ، وهم في صراعهم
ممزقون بين رغبتهم في التخلص من العادات والتقاليد التي تشدهم الى
بيئتهم الاولى ، ورغبتهم في تحقيق طموحهم والانتقال الى حياة ارحب
وهو فيما نعرف اول من عبر عن هذه المشكلة بمثل هذا العمق القصصى
فى الادب العراقى الحديث .

وقد انعكس احساس فاضل العميق على مفهومه لمعنى الارتباط
بالواقع فى العمل الفنى ، فلم يعد معناه تسجيل المظاهر الخارجية
للمواقع والتشبيث بالاسماء ذات الطابع الشعبى اوسرد الاماكن كما
كان يفعل محمود السيد وجعفر الخليلي ، ولكنه تطور ليصبح محاولة
للتعمق فى الاحساس به وادراكه ، فانعكس على فنه ، واصبح اكثر تماسكاً
وترابطاً مع العناية بالتعبير واختيار اللفظ والمعنى ، مع عناية بتطور الموضوع
على عكس ما وجدناه عند روائى تلك الفترة ، فتبسط الحركة وتطور نحو وسطها
ونهايتها وتقوم الشخصيات على التحليل الواقعى . وقد اتجهت روايته
نحو التحليل ونحو التصوير الاجتماعى الذى تغلب عليه حرارة الدعوة
الى التجديد وتحليل المؤثرات النفسية .

وهكذا افلمح (فاضل) فى تقديم روايته متماسكة البناء مترابطة
تتطور احداثها ومواقفها لتكشف عن انفصال محدد . ولم تعد الشخصية
عنده معلقة فى الفراغ كما كانت عند محمود السيد وكما هى عند
ذنون ايوب الذى اصدر روايته (الدكتور ابراهيم) عام ١٩٣٩ ايضاً
بل اصبحت لها ثقلها الواقعى والارض التى تتركز عليها . ولكنه افسد
البناء ببعض المفاجآت ، فلا يعقل اطلاقاً ان يفاجأ صادق شكري

نتمعيينه نائباً في البرلمان من غير ان يطرق سمعه أمر جليل كهذا الامر ،
بالاضافة الى ان موضوع النيابة جاء غاية في التكلف ، وقد سبق ليكون
درساً في الوطنية ، اذ كيف يصح ان يمدح كاتب وزيراً يزور الانتخابات
ثم يرد الوزير جميل الكاتب بمنحه النيابة وكأنه يعطيها من جيبه . ويبدو
التكلف في اجلى مظاهره في تلك الثورة الصاخبة التي يقوم بها (صادق
شكري) ثاراً لكرامته المهدورة ، طالباً الاجتماع بالوزير ليسمعه خطاباً
وطنياً طناناً . كما لا يصدق ان يلتقي صادق بصفية في بيت فوزي ، وقد
خفي عليه انها اخته وقد مضى على تعرفه بفوزي سنتان . وهذه المدة
كافية جداً ان يلم الانسان بأحوال معارفه كلها مع العلم ان محيط العراق
معروف بولعه في البحث والتنقيب عن الانساب والاحساب (٤٨) .

وفي تصويره لشخصيتي (صفية وسميرة) ضرب من الخيال ، فلا يعقل
ان تتصرف فتاة تصرف صفية وسميرة ، مثل دعوة صفية لصادق في
بيتها ، وعندما يتردد تقول له (اطرق الباب ، مالك تتردد . . لماذا تأخرت
الى الآن) (٤٩) واعترافها له بأنها تحبه ولم يحضر على تعارفهما عن
طريق المصادفة عندما استقلا العربدة معاً غير يوم واحد .

ويضطر الكاتب للتدخل احياناً لدرء صدع مثل هذه الفجوات ،
وليربط بين الاحداث ، ويعيد بحرى الحديث طبيعياً كما كان « ولكنه
خسر الحب او رفضه على زعمه ، وكانت له قصة غرام وهي كما
يلي » (٥٠) بهذه الطريقة يربط الكاتب بين نهاية الفصل الثالث الذي

(٤٨) عبد القادر حسن امين (القصص) ص ١٩٥ .

(٤٩) مجنونان ص ٥٨ .

(٥٠) المصدر السابق ص ٣٠ .

يتحدث عن حب (سميرة توفيق لصديق شكري) ، والفصل الرابع الذي يبدأ فيه الحدث الرئيسي في الرواية علاقة الحب بين (صادق وصفية) ، ولم يعد الجو عند المؤلف مجرد تلوين عاطفي للمنظر كما كان عند معاصريه في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية ، بل أصبح الجو إحدى الصور التي يتأني بها للمنظر الكلي النغمية المتسعة كنتيجة للانسجام الخفي للاتجاه نحو الموضوع . واصبحت البيئة الخارجية بظروفها عنصراً رئيسياً يتفاعل مع الشخصية ويؤثر عليها ، ولم تعد مظاهر البيئة جامدة وحيادية كما كانت عند غيره . ولكنه اضطر لاستعارة جو غربي احياناً ليجعل هذا الجو منسجماً مع انطلاق شخصياته المتحررة من قيود المجتمع ، فجعل (صادق وصفية) يستقلان عربية واحدة رغم ان احدهما لم يتعرف على الآخر من قبل ، وذلك عندما اوقفا العربية معا فينصحب صادق ويتركها لها ، ولكنها تقترح عليه ان يستقلها معا ، وهكذا يتم التعارف بينهما . وعندما جعل (صفية) تعيش في دار منفردة رغم ان اهلها يعيشون في بغداد ايضاً - وقد حاول الكاتب ان يبرز ذلك بحصول سوء تفاهم سابق بينها وبين اخيها فوزي - وعندما جعل صادق يزورها في بيتها الذي تسكنه بمفردها ، دون ان يشير ذلك دهشة اهل الحي وتساؤلهم . وعندما جعل (سميرة توفيق) تدفع نفسها بين ذراعي صادق تريده ان يقبلها وان يبادلها الحب ، وفي دار غير داريهما بل في دار صديقهما (فوزي) . كل ذلك يحدث في العراق البلد المحافظ وفي فترة ما قبل الحرب حيث كان تأثير التقاليد الاقطاعية والقبلية ما زال سائداً فيه . ولكن هذه الهمات البسيطة لا تغير من الحقيقة شيئاً في ان هذه الرواية تعد من افضل الروايات العراقية التي ظهرت في فترة ما قبل الحرب

العالمية الثانية .

ويجد الباحث نفسه في حيرة حين يلتمس الفارق في درجة الوعي بين عبد الحق فاضل وبين قصصي ما قبل الحرب الثانية ، من أمثال محمود السيد ، والخليلي ، وذنون ايوب ، وما نشأ عنه من نضج في ملموس في روايته (مجنونان) اذا قيست (بجلال خالد) لمحمود السيد او (الضائع) للخليلي او (الدكتور ابراهيم) لذنون ايوب .

وقد يكون لثقافة عبد الحق اثر في عمق وعيه ونضجه الفني . وقد سبق ان اشرنا (٥١) الى انه تأثر تأثراً كبيراً بالكتاب الغربيين ، وكان يقرأ لهم بلغتهم الاصلية ، فقد كان يجهد القراءة باللغتين الانكليزية والفرنسية بالاضافة الى الفارسية .

ومن مظاهر هذا النضج ان عبد الحق فاضل حين يقدم لنا شخصية (صفية) لا يقدمها كشخصية شاذة او غريبة او طريفة كشخصية (الضائع) التي قدمها الخليلي ، وشخصية (الدكتور ابراهيم) التي قدمها ايوب ، وانما يقدمها كشخصية سوية تناضل لتشق طريقها في الحياة ، تتغلب على الصعوبات التي تلاقبها في كفاحها من اجل اثبات وجودها وحريتها ، ولم تنشأ عن عيب فردي يميزها عن الآخرين ، بل كان حبها نتيجة حتمية للظروف الاجتماعية المحيطة بها ، والأحداث التي وقعت لها وانعكاس هذه الظروف والاحداث على نفسياتها ، ولا يقدم لنا الكاتب شخصية (صفية) لذاتها ، ولكنه يحاول ان يكشف عن مشكلة مثقفي الطبقة الوسطى من خلالها ، يحتفظ لها المؤلف بملاحمها الفردية الخاصة ،

(٥١) انظر رسالتنا في الما جستير (القصة القصيرة في العراق بعد الحرب العالمية الثانية) .

ويجعل حياتها تعبيراً عن احساسه بالمشكلة العامة للطبقة التي تنتمي اليها ، الطبقة التي تعلمت وثقفت وارادت ان تنطلق من العادات والتقاليد السقيمة السائدة في العراق ، والمرأة التي عاشت سنوات طوال في الحريم وارادت ان تأخذ مكانها الى جانب الرجل لتطوير هذا المجتمع ، المرأة التي ارادت ان تعبر عن حريرتها وحبها دون قيد او زيف .

وينمي الكاتب شخصياته مع نمو الحدث ، (صفية وصادق) ويأخذ من صفاتها الخارجية والداخلية الملامح التي تساعد على تكثيف الازمة ، مع تركيزه على حياتها النفسية (صفية وسميرة) فسميرة مثلاً « فتاة جميلة انيقة الثياب يبدو عليها انها تعرف هذا القادم - صادق - من قبل ، فهي لم تلمحه حتى اشاحت بوجهها عنه في صلف بين . . ولكنها تخاف نظراته وتخشى ان يراها تنظر اليه فيكشف ما تنطوي عليه نظراتها من الوجد الكظيم المحرق لانها لا تريد ان تظهر له في غير الانفة والكبرياء ولو انها تنسى احياناً اذ تلتقي عينها بعينه ان تكسب وجهها حياة العبوس والترف وتملأ نظراتها ما وسعها من المقت والازدراء . . ولقد عاودتها الآن ذكرى لذيدة لا تثير فيها غير الالم » (٥٢) . اما صادق « معروف لدى اصدقائه القليلين ببغضه للسيدات وبتهكمه عليهن وهي - سميرة - مغرمة بنوع خاص ، بخصلة من شعره غنيمة تستعصي ابدأ على المشط وتظل ملتوية على جانب جبينه المشرق » (٥٣) ، والسيد (حلمي) شيخ بدين لا تفارق الرزانة وجهه ، يشرب لفافات التبغ بكثرة ، ومحمد

(٥٢) المصدر السابق ص ٤ ، ٧ .

(٥٣) المصدر السابق ص ٧ .

رأفت اخرق كثير الضحك مرائي . وفي هذا القدر الضئيل من الصفات المادية يستخدم اللامحات التي تساعد على فهم طبيعة الشخصية وتبرير سلوكها . ولا يلجأ الكاتب الى حديث النفس المباشر . ولا الى المونولوج الداخلي يسوقه تيار شعور أو لا شعور ، بل يؤثر ان يصور الشخصيات من خلال حركاتها وحوارها ، او من خلال اللقطات الجانبية التي يرصدها لها ، فبعد ان يذهب زوار فوزي ويخرج لتوديعهم تنفرد سميرة بصادق في الغرفة ويتحدثان في المجال الفني عن صورة معلقة على الحائط ، نجد صادق يدير الحديث للتعريض بها :

« يجدر بالمرأة في مثل هذه الاحيان ان لا تطيل النظر في المرأة . فأخذ صدرها يرتفع وينخفض كالمنفاخ وقالت في حدة : لو كان لبعض الناس مرآة تريهم أنفسهم لكانوا اكثر تأدباً . . لا ادري ما عداؤك للمرأة ؟ انك لا تحترم المرأة كما ينبغي للرجال . فأجابها وهو يسوي ربطة عنقه ويزور سترته : أفتعتقدين عدم تأنقي في ثيابي امتهاناً للمرأة ؟ انك مخطئة يا سيدتي . اخرجها جوابه الاخير فرفعت يدها في وجهه وصاحت انك لا تستحي يا وقح اني احتقرك من كل جوارحي . تقدم منها بهدونه وبروده وبكل جرأة اخذ وجهها بين يديه . . ثم ألوى عليها وطبع على ثغرها قبلة طويلة ملتزمة » (٥٤) .

وشخصياته كلها من الطبقة البرجوازية الصغيرة وهو يعطف عليها ويصورها نبيلة طيبة طاهرة . وقد ركز اهتمامه على الشخصيتين الاساسيتين في الرواية (صادق وصفية) وقد مهد للحدث الاصلي فيها بوصف علاقات صادق وبيته ، ولم يبدأ روايته بداية حقيقة الا في الفصل الرابع ويوحى

لنا المؤلف في نهاية الفصل الثالث انه لم يفعل شيئاً في الفصول الثلاثة الاولى غير التمهيد للقصة الاصلية « كانت له قصة غرام وهي كما يلي » (٥٥) ولكنه لم يعتمد مطلقاً على التقرير في رسم الشخصيات ، بل يستعين بالحركات والحوار والتقاط الزوايا المناسبة لظهارها وكشفها .

ولا يتسم موقف المؤلف في تقديمه للشخصيات الثانوية بنفس عنايته بالشخصيات الرئيسية ، فهو لتركيزه على الشخصيتين الرئيسيتين يقدم الشخصيات الثانوية دفعة واحدة ، وبأسلوب مباشر « اما الضيوف فكانوا ثلاثة جاؤا يهثثون فوزي بزيادة راتبه . . احدهم فتاة جميلة . . اما الآخران . . السيد حلمى وهو شيخ بدين . . والسيد محمد رأفت . . الا ان يرسلها ضحكة خرقاء . . » (٥٦) .

وقد عمد الى المبالغة والتضخيم في تصوير بعضها ، كما في شخصية (سميرة) صاحبة الحظ السيئ ، التي كانت تحب صادقاً الا انها لم تجد منه غير الاعراض والقبل المفاجئة في دار صديق ، ولكن من تكون سميرة ؟ ومن أين جاءت ؟ وما شأنها في دار فوزي ؟ وكيف يتسنى له ان يختلي بها مرة واحدة يختلس منها قبلة ثم تختفي نهائياً من الرواية ، لقد أخفق المؤلف في رسم هذه الشخصية حتى بدت كصورة (كاريكاتورية) رسمت بريشة رسام فوضوي . وأسلوب المؤلف وثيق الصلة بالادب ، ففيه قوة التركيب العربي الجزل ، وقد امتزجت بأصالته التي لم يتخل عنها قط ، وبهذا تكون له أسلوب شخصي متميز متقن لم نجد عند قصصي تلك الفترة من يشابهه في الجزالة والقوة ، كما انه مدرك لمهمة الادب

(٥٥) المصدر السابق ص ٣٠ .

(٥٦) المصدر السابق ص ٣ - ٥٠ .

ادراكا تاماً ، لانه عندما يعرض مشكلة اجتماعية لا يصيغها باون قاتم من الاسى والدموع ، بل يمزجها بروح فكهة تبعث على الامل . ولكن اسلوبه لا يخلو من المواقف الخطابية « اني امثل الشبان الذين لا يعرفون لانفسهم مصلحة غير مصلحة الوطن ولا يعترفون بالمجد الزائف والوجاهة المزورة اللذين هما بجوهرهما على الامة خزي ووبال . اني امثل من الامة اولئك الذين يرون انفسهم مسؤولين عن اصلاح اخطاء الماضي ويجاهدون لدرء مفسد الحاضر واخطاء المستقبل . . » (٥٧) . والاستشهاد بالشعر احياناً ولغته القصصية اصيلة فيها سهولة العبارة ومرونتها ذات نغمات شعرية تشد القارئ اليها وتنقله الى اجواء الرواية ، اذ هو متحرر بما يقيد الاساليب القديمة ، وفي الوقت نفسه مكتسب من قراءة النصوص الادبية العربية بالنسبة لكثير من كتاب القصة في تلك الفترة .

يعاضد ذلك كله عنده حوار يدار بمهارة ، وهو على الضد من حوار (ذنون ايوب) . يسوقه بطريقة تكشف عن الشخصية وتنمي الحدث ، كالحوار الدائر بين صفية وصادق في العربية عند لقاءهما لأول مرة ، ذلك الحوار الذي طور الرواية ونمى الحدث حتى وصل به الى نهايته (٥٨) ، وقد يسرف احياناً في الحوار فيأتي مطولاً بملأ لا حياة فيه (٥٩) . ولم يتخلص عبد الحق فاضل من عيوب مرحلته تماماً ، فان عمله كان

(٥٧) المصدر السابق ١١٠ - ١١١ .

(٥٨) المصدر السابق ٣٥ - ٣٧ .

(٥٩) المصدر السابق ص ١١٠ - ١٢٦ ، ٣٣ - ٥١ .

خطوة قوية في تطوير القصة العراقية بالقياس الى تلك الفترة . ويكشف
عن موهبة عظيمة كان الامل فيها كبيراً اذا تابعت كفاحها في الطريق
الشاق . ولكنه استسلم لليأس وانقطع عن انتاجه فكانت روايته اليتيمة ،
رغم استمراره في كتابة القصة القصيرة .

ذنون ايوب

كان ذنون ايوب ١٩٠٨ . . من الكتاب الذين وضعوا الرواية الواقعية في العراق على الصراط الفني الصحيح ، وقد اعطاها شكلها الذي يجب ان تتخذه كنوع ادبي ، وكان قد تمثل بعمق روح التجربة ، فاستطاع بتمكنه من عناصر الخلق الفني ان يفرغ التجربة في القالب الفني فجاءت الرواية لديه متحررة من جميع ماضيها القديم في العراق . وقد اصدر ذنون ايوب ست مجموعات قصصية قبل ان يصدر روايته الاولى (الدكتور ابراهيم) عام ١٩٣٩ ثم روايته الثانية (اليد والارض والماء) عام ١٩٤٨ فرواياته الثالثة (الرسائل المنسية) عام ١٩٥٧ بالاضافة الى اثنتي عشرة مجموعة قصصية .

وقصص ايوب تعكس ذلك القلق الفني الذي انتشى منه المثقفون بين سنتي ١٩٣٠ - ١٩٤٠ وهو لا يقدم فلسفة معينة في قصصه ، ولكنه شعر بأن الحقيقة لا توجد الا في الواقعية وان الواقعية هي التعبير عن الديمقراطية ، وكان يحاول دوماً أن يعطي الحدث القصصي قوامه الارضي الانساني . ومن هذا الموقف ينبع مبدأ الالتزام في ادبه ، وبه يدخل ميدان المعركة وميدان النضال الاجتماعي والانساني ، يعمل لا للكتابة نفسها وانما يجعل من الكتابة وسيلة لغاية اخرى صريحة ينحاز تجاهها في هذا العالم الذي يقسمه الى طبقتين (ايديولوجيتين) متناقضتين (الايدولوجية الرأسمالية والايدولوجية البلوريتارية) وهو ينحاز

الى جانب الاكثرية مقابل الاقلية ، فيدلف اكواخ التاعسين وينطلق الى الحقول حيث يجهد العاماون من غير ملل ، ولناخذ على سبيل المثال ما يقوله (ماجد) احد ابطال روايته (اليد والارض والماء) « ان الربح قد اصبحت في نظري امراً ثانوياً لقد وجدت الآن معنى من معاني السعادة التي ينشدها الانسان في كثير من الاحيان فلا يجدها ، لقد وجدتھا في بريق عيون الفلاحين ، اننا قد انشأنا عملاً مفيداً لمئات من الناس ووفرنا قوتاً للآلاف واحيينا ارضاً ميتة . . » (١) .

كل ذلك ليكون الادب سلاحاً ، يذود به عن حق الضعفاء ويستمد منه ايماناً بانسانيته وعزيمة في كفاحه الدائب في سبيل حياة حرة ، لا يستعبد فيها القوي الضعيف ولا يأكل الانسان لحم اخيه الانسان ، لان الواقعية حين ترى في الادب فناً له رسالته الاجتماعية ، ترى ليه دوراً خطيراً في تنظيم المجتمع ، يؤثر في تطوره الانساني . وذلك يعني ان على الكتاب مسؤولية اجتماعية وطنية انسانية تفترض الاخلاص والصدق في العمل الادبي « فاذا كانت الدولة لا تحمي رعاياها فعلى الرعايا ان يحموا انفسهم بأنفسهم » (٢) . هذا ما يردده ماجد بطل (اليد والارض والماء) .

وشعر انه سيكون على جيل القصاصين ان يبدأوا من جديد بنظرة متحررة الى العالم حولهم وتستمد هذه الواقعية عناصرها من انه يصدر فيما يكتب عن تجاربه الشخصية وعن الصور والاحداث التي يراها ، ولا يلعب الخيال عنده الا الدور المحدود . وهو يدين بجمال قصصه

(١) ذنون ايوب (اليد والارض والماء) ص ٤٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٠ .

الى حينه اللاقطة لا الى وثبة خياله ، فسيرة (الدكتور ابراهيم) سيرة شخصية معروفة في العراق في تلك الفترة حيث يقول الدكتور ابراهيم للمؤلف الذي يروي القصة « وبرهنت للناس على ان الدكتور ابراهيم هو الدكتور الجمالي وليس انا » (٣) ويقول في مقدمة اليد والارض والماء « ان شككت في صحة ما ورد في هذه الرواية . . اقول عليك باضبارات الدولة واوراقها وستجد اذا ما سمحت لك الدولة بالكشف عن عوارثها ان الحقيقة اغرب من الخيال » (٤) ويعترف في بداية (الرسائل المنسية) انه سرق رسائل صديقه (عارف) « بل صممت على ان اسرقها ايضاً فلا ابذل من الجهد اكثر من ان اصفها ثم ارتبها دون زيادة او نقصان » (٥) ، وكان الاجدر بالكاتب الا يضم في رواياته صوراً منقولة عن المجتمع العراقي ، بل صوراً انسانية تعين القارئ على فهم هذه الحقائق التي تشتمل عليها هذه الروايات ، ولكنها امتازت بالصدق وفقدت شيئاً كثيراً من الحياة والتأثير ، وعلى الاخص روايته الاولى (الدكتور ابراهيم) فقد رأى المؤلف الوصولين المهرة يشقون طريقهم الى السلطات بواسطة الخداع والمكر والمال ، وذلك يسحق من هم اقل منهم مهارة في الخداع والقضاء عليهم لقد رأى طبقات جديدة محدثة النعمة تنشأ على اساس الاستحواذ على الاملاك وبالاختصار لقد رأى جميع العوامل الدنيئة والتي تعافها الفنس صادرة عن هذا المحك السحري الجديد للنجاح أعني النقود ، ومن هذا الواقع استمد المؤلف شخصية الدكتور ابراهيم .

(٣) ذنون ايوب (الدكتور ابراهيم) ص ٢٥ ، (اليد والارض والماء الاهداء) .

(٤ - ٥) ايوب الرسائل ص ٩ .

يؤمن أيوب بالادب الهادف ، وبأن الرواية لا تكتب ولا تقرأ لذاتها ولكن لاصلاح المجتمع - كما سبق أن بينا - ولذلك يرى ضرورة اتصالها به . وهذه الألوان المحلية التي تظهر في رواياته هي الجسر الذي يضعه بين الواقع الذي يكره والمستقبل الاشتراكي الذي يرجو . يقول في مقدمه روايته (اليد والارض والماء) (منذ بضع سنين يوم كانت الحرية الفكرية مغلوطة بألف قيد . . . وجدت نفسي في تلك الفترة في حالة حرج شديد قريب من اليأس فقد ضقت بقيود السياسة البلهاء وقیود المجتمع البليد المتزمت وقیود المتعصبين في السياسة ذلك التعصب الذي دونه التعصب الديني الأعمى فوطنت نفسي على الهرب من هذا البلد والتشرد في ارجاء العالم » (٦) .

ويعتقد أيوب في قرارته أن النضال لا بد ان يشمر ، وأن الانسانية لا بد أن تنتصر . وهو ما يفتأ يردد على لسان ابطاله في رواياته ما يردده (عارف) « لست جاهلـه مبلـغ تمردی علی المجتمع الجاهل وقوانينه الوضعية الحمقاء على عرفه الجامد البليد على فضائله التي يقدسها والتي لا أرى فيها الا أرذل الرذائل ، فلو اردت ان تهجي احد الناس أقذع الهجاء فما عليك ان تصفه بأنه رجل يحترمه الناس لأنه فاضل في نظرهم يراعي العرف والتقاليد ولا يشذ عنها قيد شعرة » (٧) ، وما تقوله سنية ! « ولـر تقدمت الزراعة العصرية لارتقى الفلاح حتماً ودخل دوراً جديداً لا أثر فيه لتلك العادات والتقاليد البالية » (٨) . وقد دأب على تقديسه للجماهير البدائية المتراسة ودفعها

(٦) أيوب (الرسائل المنسية) ص ٥٥ .

(٧ ، ٨) (اليد والارض والماء) الاهداء ص ١٠٦ .

الى مكافحة الفردية . والفردية عنده معناها الانفصال عن الجماعات المتراسة والعزلة والتنازع لا بين الأفراد والجماعة فحسب بل بين الأفراد انفسهم ويصبو كل منهم الى القوة والى الامتلاك والى اثبات وجوده بالوسائل العدوانية ، كما فعل كل من (الدكتور ابراهيم) ووالده الشيخ اسماعيل في رواية (الدكتور ابراهيم) والاقطاعيين ورؤساء الهيئات الادارية في (اليد والارض والماء) وعارف في (الرسائل المنسية) . ونستطيع القول ان ايوب رائد الواقعية الجديدة في العراق التي تطورت بعد الحرب الثانية واكتسحت الاتجاهات الأخرى في القصة العراقية ، وعلى الاخص القصة القصيرة ، لأنه يتلمس شخصياته من الطبقات التي تقف وجهاً لوجه امام الحياة في كفاحها اليومي المرير في سبيل البقاء ، وتتميز بطابع محلي يتمثل في عرض الصور الواقعية الشعبية بما يكسب بعضها صفة انسانية عميقة الدلالة لامتيازها بالصدق والاخلاص للمواقع وربطه بين الادب والوطن وابراز الخصائص الجوهرية لهذا الوطن وللناس الذين يعيشون فيه . وترتبط قصصه بالارض العراقية ارتباطاً وثيقاً وتعالج الواقع وتتحدث عن العراقيين البسطاء في حدود العراق وفي العصر الحاضر وتؤمن قصصه بأن الانسان كائن كريم ينزع دائماً الى حياة حرة سعيدة يعمل من اجلها وله القدرة على بلوغ ما يريد رغم العقبات التي يضعها المستغلون والحكام من ورائهم لعرقلة مسيرة الانسان نحو هدفه عن طريق قوانين تسنها الحكومة لخدمة الطبقة المستغلة المرتبطة بالاستعمار كل الارتباط .

واذا قلنا بأن ايوب بدأ يكتب بروح انسانية فلا نقصد بهذا العمق الانساني الذي يرفع الادب الى مستوى كبير ، وانما نقصد

التعاطف الاجتماعي او الديمقراطية الاجتماعية المتغلغلة في نفسه منذ نشأته . فانه يشعر بأعنف الحب نحو الطبقة الدنيا من الشعب العراقي ، يعجب ببساطتها الصافية وطويتها الساذجة الكريمة ويرثى لجهلها وقناعتها بالذل وانحطاط عيشها الذي تحياه ، ويشعر في ذاته وخز الألم الذي يضمه صمتها الأبدي .

وهو يعتمد على التحليل والتعليل يمزجها بالفن القصصي مع انفصال أسلوبه الدراسي العلمي والأدبي أحدهما عن الآخر . ودرست رواياته موضوعات خلقية حساسة دراسة حرة ، وقد انتفع بدراسة علم النفس وعلم الاجتماع والسياسة وما يتصل بالانسان ومشاكله الاجتماعية . وتكشف شخصية عارف في (الرسائل المنسية) رغم تعقدها وقلتها وتهربها ، خلال اضطرابها وتوترها عن مسارها النفسى بصورة واضحة . فعارف مصاب بالنرجسية فهو يستسيخ في رسالته الأولى الى حبيبته منطق حب عدة نساء في زمن واحد ، ويعترف بذلك في رسالته الثالثة أيضاً (٩) . ويقول لها في رسالته الخامسة « انى لا أحبك ولا اشعر بميل اليك بل ولا أعجب بك » ولكنه يقول بعد ذلك « انى احبها أجل ولكن على طريقي الخاصة لا على طريقتهما هي) والعلامة التى تكمن وراء هذا التناقض احساساته (بالنرجسية) . وطريقته في الحب تعني ان تحبه كما يحب هو ذاته ، وان تفنى فيه وأن تمتليء اعجاباً بعظمته وقدراته ، كما يمتليء هو بها وأن تفتت وجودها في وجوده ثم يظهر جوعه النرجسي الغريزي بقوله « انى لاشعر احياناً برغبة شديدة فى قضم بعض اجزاء

(٩) انظر محمد كامل عارف (دراسة نقدية للرسائل المنسية) ، مجلة الفنون (٢٤) ١٩٥٨ .

وجهك بل في إتهام كل جسمك اني اتصور لو استطيع أن أكل وأهضم جسمك الصغير واتمثلته حتى يصبح قسماً من كياني ». والرواية لمحات نفسية في مجموعة من الرسائل لا يربطها سوى وحدة شخصية عارف التي تفضح أبعادها بسلسلة متصلة من الاعترافات (١٠) وقد أفاد أيوب من المنهج العلمي في التعرف على الواقع تعرفاً صحيحاً ، وانعكست ازمته كمتتم على استخدامه لهذا المنهج ، وقد أفاد منه في المستوى الفكري اضعاف افادته منه في المستوى الفني . فلم يكن الترابط قوياً بين الأحداث ، والظواهر والافكار والشخصيات بل كان الانفصام واضحاً بين الشكل والمضمون . فقد تحدث أيوب بأسلوب تقريري سردي في رواية (الدكتور ابراهيم) ، وأفاض في عرض صور فاسدة لبعض الموظفين الكبار صفرت نفوسهم وانحط خلقهم وغدوا لا يؤمنون بمثل سام ولا بفضيلة ، واعتقدوا ان تسخير كل ما في العالم . واجب في سبيل الوصول الى ما يريدون من اطماع . وقد رضع (ابراهيم) الانانية والاستغلال مع حليب أمه ، فقد وجد أباه يحسن النفاق والتظاهر بالتدين لينخدع عقول السذج ، وقد جمع من ذلك ثروة طائلة ونهياً له نفوذ عريض « وقد أحسن المؤلف حين جعل أباه (فتاح فال) من ايران ، فقد ارتبط الفرس في ذهن العراقيين بالمكر والخديعة وهي صورة بطل الرواية التي عرضها الكاتب » (١١) . وكان (ابراهيم) في المدرسة مثال الطالب الذي لا يهمه شيء في الدنيا قدر ما تهمة مصلحته ونجاحه . وقد استغل نفوذ أبيه في الذهاب الى انكلترا وهناك تعرف بفتاة انكليزية ابنة قسيس كبير - له نفوذ واسع

(١٠) انظر محمد كامل عارف (المصدر السابق) .

(١١) جميل سعيد (التيارات الادبية الحديثة في العراق) ص ٦ .

في دائرة الدولة والاستخبارات ، وتزوجها . وحينما عاد الى العراق سلك كل الطرق غير الشريفة للحصول على الجاه والثروة ، حتى انكشفت أساليبه امام الناس جميعا . وعندما فصلته الحكومة من دوائرها بعد ان قام بأعمال تعتمد فيها مخالفة الأنظمة واللوائح من اجل الظفر (بالاكرامية) التي ينص عليها القانون في تعويض المفصولين من وظائفهم ، شد الرحال الى أميركا ليقضي حياته هناك .

وهذه الصورة مثال سيء لضرب من موظفي الدولة الكبار يسخرون المصالح العامة في سبيل مصالحهم الخاصة .

وهو يبدأ رواية (الدكتور ابراهيم) فيما سماه بالتمهيد على شكل تعليقات لا تدخل في صلب الرواية اطلاقاً ، تحدث فيه عما جرى له من شغب حصل من جرائه على عقوبتين هما : النقل والتوبيخ . وقد بدا غير معقول حديث الزوجة (جني) وهي تنقد زوجها وتنقد قومه امام المؤلف ، وكأنها غير راضية عن تصرفاته في حين اننا لم نر في سياق الرواية كلها شيئاً يدل على ذلك .

« وقد أورد آراء غير ناضجة تتمثل في تلك المحاوراة بينه وبين الدكتور ابراهيم عن أسلوبهما في الحياة اشترك فيها الانكليزي الضيف ، وذهب كل منهما يبرهن أن قومه يقصدون الحرية بأسلوب لا يعالو على أسلوب طلبة المدارس . وكانت صراحة الدكتور ابراهيم في رسائله للمؤلف صراحة من غير المعقول أن تصدر من شخص له مثل اخلاقه » (١٢) . وقد حفلت كثير من الفصول بسرد عام لأوضاع السياسة والمجتمع تضائل فيها نصيب الدكتور ابراهيم وبرزت شخصية القاص بأهدافها

وأرائها تنمى على المسؤولين مفاهيمهم المغلوطة فيما يتعلق بالشيوعية وغيرها من المبادئ التي جعلت ذريعة لكم لسد الافواه واسكات الاحرار . وقد وقف المؤلف يعظ رجال الحكم وينصحهم بأن يلزموا بجانب الصواب . وكذلك في حديثه عن النزاعات المذهبية والسياسية وفي حديثه عن القوانين وتلاعب الحكام بها ووضعهم القوانين لا من اجل تنظيم الرعية بل من اجل الحاق الضرر بأعدائهم مثل تشريع (قانون الذيل) الذي تم بواسطته فصل عدد من الموظفين غير المرغوب فيهم والذي اسهب المؤلف في الحديث عنه ، وفي حديثه عن الصحافة المأجورة وعن الطريقة المغلوطة في اختيار طلاب البعثات الى الخارج ، وفي الحديث عن رجال الدين وشعوذتهم .

ويرمي ايوب الى غاية ما برح يحيط اللثام عنها في كل مقدمة وفي كل اهداء شأن المربي الحريص على مستقبل طلابه وتابعيه يريد لهم النور يكافحون من اجله ، ويريد أن يعيشوا الحرية ويسعوا اليها ويريد ابطالاً مسلحين بالعقل والمنطق والجرأة في حربهم على الباطل . اما روايته الثانية (اليد والارض والماء) فهي لكثير اضاءة واشراقاً وقوة في البناء (١٣) .

يتمائل سليم للمشقاء من جروحه التي يصاب بها على اثر نزاع قبلي من اجل قطعة صغيرة من الارض ، بفضل عناية الدكتور (حسام) ، فيدعوه وخطيبته الدكتورة (هيفاء) وصديقهما المحامي (ماجد) الى

(١٣) يقول عنها سهيل ادريس (واما موضوع رواية أيوب الثانية اليد والارض والماء فهي اجمل موضوعات الادب الروائي الحديث ومن اكثرها اهمية في هذا العهد من تاريخ البلاد العربية) القصة العراقية الحديثة العدد ٤ - ١٩٥٣ .

مضارب العشيرة فيلبون الدعة ويكرمون اكراماً كبيراً . ويعرض احدهم على الضيوف فكرة المشاركة في عمل زراعي فتلاقي الفكرة ترحيباً ويستأجرون ارضاً اميرية في منطقة (النهروان) ، لتحقيق الفكرة . وتتضافر الجهود على شراء الآلات والبذور واصلاح الارض واعدادها للزراعة ، ويقام احتفال كبير بهذه المناسبة . ويقدم الشركاء القروض للفلاحين لشراء القوت حتى ينضج الزرع . وتدخل (سنية) في هذا المشروع بما تملك من مال اثر لقائها لماجد في دار الدكتور حسام واعجابها به . ويلقي الشركاء صعوبات جمّة في تسيير المشروع وتتجلى المشاكل عن فساد رجال الادارة وانتشار الرشوة ، والآفات الزراعية والعواصف الرملية وجشع الملاك ومحاولتهم السيطرة على الأرض بمساعدة رجال الادارة .

وأمام هذه المشاكل المتكاثرة على اسقاط المشروع يفشل المشروع ويخسر ماجد كل ثروته ولكنه يعرض خسارته بزواجه من سنية ، التي احبها ووجد فيها المرأة المثلى .

وتتشارك سنية في المظاهرات الشعبية التي تكتسح العراق ضد معاداة (بورتسمات) ، وينقذها ماجد من بطش رجال الامن ، ولكنه لا يتمكن من انقاذ (سليم) الذي يؤخذ الى المستشفى لمعالجة جرحه البليغ ، ويشرف عليه اصدقائه حسام وهيفاء حتى يتمثل للشفاء .

وهذا الصراع بين الفلاحين والاقطاعيين على تملك الارض يحدث دائماً لأنه وسيلتهم الأولى والوحيدة للانتاج وباستطاعته أي مؤرخ ان يقلب أوراق الصحف العراقية ليجد مثل هذا الصراع . ولكن الجديد في الرواية استخدام ايوب الناجع للعناصر النفسية التي عمات

على تحريك المأساة ، ثم اظهار ايجابية الشعب الناتجة عن الوعي الجديد . وبفضل استخدام المؤلف لهذه العناصر النفسية على اساس الخيال الواقعي السليم استطاع ان يعطي روايته قيمة انسانية خالدة ولم يبعد حين قال في مقدمتها (رؤيا بناها الخيال من لبنات الواقع وملاطه وزخرفها الفن بالوان المحيط واصباغه فهي خيال محض ان اردت واقعا محضاً وهي حقائق صادقة ان اردت حقائق عامة غير مربوطة بقيود أو حدود) .

واستطاع المؤلف ان يعطيها قيمة انسانية تأت من ان الناس قد تتحكم فيها الاوهام اكثر مما تتحكم فيها الحقائق ، كما عند فلاحى المنطقة التي زرعها ماجد . فهم يعملون ليل نهار لتحقيق الانتصار على الاقطاعيين الذين امتصوا دماءهم (وطلب ماجد من سليم ان يريح الفلاحين فضحك سليم وقال اطلب انت ذلك منهم اذا استطعت وسترى كيف يجيبونك واستمر العمل طيلة ذلك اليوم تحت اشعة القمر ولما اسيقظ في صباح اليوم الثاني وجد ان الخيل قد ابتعدت في الافق حتى كادت تغيب فيه وما كان العمل يتوقف الا لملء اكياس البذور أو لاراحة الدواب في فترات قصيرة) (١٤) وكذلك في صراع الشعب كله ضد الحكومة التي قيدته بمعاهدة مع الانجليز تستغله سنوات عديدة ، وتربطه بعجلة الاستعمار حتى رخص دم هذا الشعب المسكين المستغل .

وقد اعطانا المؤلف قيمة درامية تتأتى من تلك المفاجآت المحكمة التي استطاع ايوب بخيال موفى ان ينفث فيها الحركة والتشويق عندما كشف لنا سوء الفهم الذي تسرب للفلاحين بعد فشل المشروع والانقلاب

الذي طرأ على شخصية (سليم) بعد ان لمس خيانة عشيرته لأصدقائه
وشركائه (ماجد وزمرته) والتغير في مفهوم أيوب لا يقتصر في أذهاننا
بالصور الجميلة المتفائلة فأن نهايات السقوط والانهيـار تكتسب لونها
الاسود والحـصيلة الختامية التي تفوز بها أن جميع الطرق مسدودة
أمام الوسائل الفردية للمتمرد ، ولم يعد هناك سوى الثورة الشاملة .
هذا ما اكـدته الرواية في الآخر . ان موضوع ايوب في رواياته كان
على الدوام التعبير عن أمل الانسان في أن تتخطى ارادته كل العقبات
وأن ينتصر ، ولكنه عرض هذه الارادة بصور مختلفة وجميعها منتزعة
من البيئة العراقية ، فهو لا يكتب عن الماضي ولا يهتم به لانه متعلق
بالواقع بقوة . وتوزعت روايات ايوب بين قضية الاقطاع الديني
والاقطاع الزمني ، وقضية المرأة التي نادى بها كما نادى بالحرية
الكاملة للانسان ، وتمرد فيها على جملة التقاليد والشرائع والمواضعات
الاجتماعية . وقد تطور فن الكاتب بعد الحرب العالمية الثانية ، غير
ان هذا التطور تم ببطء في حدود فن الكاتب ، ولكنه اذا قيس بالتطور
العام الذي سار في شكل الرواية العراقية لا يعد تطوراً ، فقد ازدادت
الحبكة احكاماً وبدأت الوحدة العضوية بين بداية الرواية ونهايتها اشد
تماسكاً . هذا التطور فهو الاحسن كان يتم في فن ايوب ولكن
الرواية العراقية لم تقف عند الشكل الكلاسيكي لها او الاصولي الذي
اثر أيوب اتباعه وانما تطور تطوراً أوسع واستخدم كتاب الرواية
تفنيات جديدة واشكالا أكثر تنوعاً عند فؤاد التكرلي وانيس زكي
حسن وغائب طعمه فرمان (١٥) .

(١٥) انظر رسالتنا في الماـجستير .

يقول ايوب : « في يقيني ان اعظم مهمة يجب على الادباء والقصاصين منهم على الاخص ان يضطلعوا بها هي اعطاء صور صادقة لما يقع تحت أبصارهم من حوادث عجيبة وشخصيات غريبة وانظمة وقوانين حكومية وشعبية ويدخل ضمن ذلك تلك القوانين غير المكتوبة التي يقع تحت تأثيرها المجتمع ، تلك الانظمة المتعارفة والتقاليد المرعية التي تشرب احترامها في دمه والتي يتعصب لها فيعمى عما فيها من حسن وقبح وتزداد هذه الصور قيمة كلما اختلطت بشيء من التحليل يجمع بين نواحيها المتباعدة ومظاهرها المرتبكة فيسفر ما غمض من اسبابها وعلمها » (١٦) .

وقد اخذ الكاتب نفسه في رواياته بما قال ، على انه كان يعمى كثيراً في التحليل والوعظ ايماناً يجعل القارئ يسرع في تجاوز الصفحات والسطور احياناً هرباً من ذلك التحليل والوعظ ، وهو من اكبر ما يؤخذ على الكاتب من عيوب لأنه ينقل القارئ من قراءة رواية الى قراءة كتاب اجتماعي كما شحنت رواياته هنا وهناك بتدخلاته واطلالات رأسه ليبين رأياً او يسوق دليلاً او يرضي نفسه المتمردة ضد التقاليد البالية او ليوحى لنا بما يجب ان نؤمر به « الحرية . الحرية . تلك الكلمة المقدسة التي حارب البشر في مختلف الامم اجيالاً طوالاً لكي يتمتعوا بها ولا زالوا يحاربون من اجل تصفيتها وتجريدها من سوء الاغراض والمفاسد الفاسدة ليحصلوا عليها بأكمل شكل وأبهى صورة . بهذه الحرية سيتبين الخبيث من الطيب والحسن من الرديء والمخلص من الخائن . اني أرى ان يوماً سيأتي على هذه البلاد تطلق فيه الاقلام عقالها فتجول

في كل جهة وفي مختلف المقاصد . . . ولو احترمت الحرية في هذه البلاد لما قدر لتلك الصحف الهزيلة المذبذبة الخبيثة ان تبقى كالحشرات تعبت في خرائب قصر شامخ هدمته العاصفة ولم تبق على ساكنيه . . » ومع ان تدخله كان يجعله أحياناً وسيطاً مسلياً وباعثاً على التشويق والحماسة لما حوى من تمرد وانسانية ، فان تقاريراته الحدية وتدخلاته المستمرة تهوق سير الحادثة ، وتقطع خيوط الرواية وتشكل فيها نقيصة فنية (١٧) .

وكتابات ايوب تستهدف الفكرة السياسية والاجتماعية ، وقد حصر أمانيه في مستقبل افضل للطبقات العاملة ، وللشعب العراقي قبل كل شيء . ان اهداف ايوب سهلة يسيرة ، كأن يقص كأن يسجل حقيقة كان يكشف لنا عن عيب او نقص ، او كأن في معظم الاحيان يؤدي هذه الاغراض الثلاثة في وقت معا ، وقلما كان ايوب قصصياً بكل ماتحمل هذه العبارة من معنى . ذلك لأن القصصى يضع نصب عينيه ان

(١٧) نيللى كورمو (فيزيولوجية القصة) الاداب العدد (١) ١٩٥٤ . وهذه الخصائص تظهر في الرواية الاجتماعية التي تقدم فيها الدعوات الانسانية الى البطولة او الثورة او اي شكل من اشكال العمل الجماعي . ولعل الادب الذي يبتعد اليوم عن الطريق الذي تشقه امام الجميع هذه الجبرية التاريخية التي تلتخص في تغيير مجتمع ما . لعل مثل هذه الادب يوشك ان يسقط في التفاهة والخلو من المعنى ولكن ينبغي للآثر الفني مع ذلك الا يوضع لغاية منفعة فهو حتى اذا حمل رسالة اخلاقية فينبغي ان يتفادى الخطب الداعية الى الاخلاق وان قصة الفكرة هي دائماً قصة رديئة اذالم تقم فيها الفكرة بصورة ضمنية واذا بسطت بشكل نظريات بدلا من ان تنبثق انبثاقاً من الحبكة او من نفسية الابطال .

يعرض امام انظارنا رجالا ونساء ، ويجري وراء البحث عن عاطفة او اساس من اساس الفهم ، ومن ناحية اخرى نرى ان الهجاء يتتبع سقطة من سقطات الشخصية او زله من زلاتها ثم يحاول ان يشار منها وكانت الشخصيات التي يصورها شديدة الواقع والاثر عندما تكون انماطاً تمثل اسباب فشلها وسقوطها والكاتب لا يقوم بعملية اختيار. فلا تصميم ولا تخطيط دائما بل انسياب في عفوية وذهاب وراء مسارب جانبية وحوادث هامشية قد يكون لها مساس بهيكل الرواية كما يمكن نحو بعض الفصول وتظل الرواية كما هي دون ان يؤثر فيها هذا الحذف شيئا مثال ذلك الفصل الرابع الذي جعل عنوانه (عاهرة) (١٨) والقسم الذي اطلق عليه اسم (تمهيد) والذي يتحدث فيه المؤلف عن نفسه وعن نقله من بغداد ويشمل خمسة واربعين صفحة ، في رواية (الدكتور ابراهيم) بالاضافة الى افاضة المؤلف في التحليل والتفسير حتى درجة الاملال .

ويصر ايوب في روايته الثانية (اليد والارض والماء) على الايضحي بشيء من آرائه وأهدافه في الحياة من اجل فنية الرواية ، وقد اهتم فيها بالجزئيات دون التركيز على الاثر الاساسي لأن الاثر في نظره لا يتعلق كثيراً بتطور هذا الاثر بقدر ما يتعلق بتصوير الجزئيات وتجسيماها حتى لتطفى على الشخصية او الشخصيات الكبيرة في كيان الرواية كلها . كذلك ان الغرض الاول ، ارساء الثقل كله على تلك الامراض الاجتماعية ، والقاء اكبر قسط من الضوء عليها ليفضحها امام القارئ . « كما ان الجزء الاخير منها قد اقحم اقحاماً عليها لأن الكاتب

أراد ان يربط الزرع والزراع بالمظاهرة التي اقامها العراقيون احتجاجاً على معاهدت (بورتسمأوت) والتي ذهب ضحيتها عدد غير قليل من الناس . وكل ما اراد الكاتب ان يتحدث عن هذه الانتفاضة ، فألحقها بالرواية وربطها بها ، واتخذ من سليم بطلا في المظاهرة كما اتخذ منه بطلاً في المزرعة » (١٩)

وامتلأت رواياته بسهام النقد الحادة لمظاهر الحياة الاجتماعية في العراق الى درجة الحشو والاملال (٢٠)

كما زخرف هذه الروايات بالمواقف المصطنعة التي مأوردها المؤلف لاثبات وجهة نظره اولعرض فكره من افكاره اورأي من آرائه . فهو يريدان يجمع ما بين (ماجد) المحامي و (سليم) الفلاح الثائر الجريح في المستشفى ، فيجعل صديق ماجد الدكتور حسام وخطيبته الدكتورة (هيفاء) يقيمان حفلة لماجد في المستشفى يدار فيها الخمر ، ويجالسهم فيها (سليم) المريض في المستشفى (٢١) أو يضع كلاماً غير مناسب على لسان بعض شخصياته فيقول (زبالة) على سبيل المثال وهو فلاح متعصب لسنية المتحررة « لقد كسرت ام حسن (يعني زوجته) يد المسحاة على رأسى » .

وما يستلقت النظر في بنائه الروائي قلة الحركة ، وغلبة السرد ،

(١٩) انظر جميل سعيد (المصدر السابق) ص ٣٥ .

(٢٠) المصدر السابق : ١٠ - ١١ ، ٣٨ ، ٤٠ - ٤١ ، ١٤٣ - ١٤٤ ، ٢١١ ،

٥٤ ، ٥٥ ، ٦٠ ، ٦٨ ، ٧٤ - ٧٦ ، ٧٧ ، ٦٥ - ٦٦ ، ١٥٢ ، ١٦٠ - ١٦١ ، ١٦٨ .

١٧٠ ، ١٩٥ على التوالي .

(٢١) اليد والارض والماء ١٦ - ١٧ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ١٠٦ ، ١٢٩ ، ١٤٤ .

وعجز المؤلف من نقل قارئه الى جو الاجتماعات والاحاديث الدائرة بكثرة حتى يشعر أنه بين الابطال يعايشهم ويشعر بشعورهم ، ويشاركهم في مسراتهم وآلامهم ، فرواية الدكتور ابراهيم ليست الا دراسة لشخصية ابراهيم تتحرك رويداً رويداً وتغص بالتفاهات التي تبدو لا أهمية لها كتصوير علاقة (ابراهيم) الطفل بزوجة ابيه (سكينه) وابرار الاحساسات الجنسية لابراهيم عندما تضمه زوجة ابيه اليها « واخذتني بين ذراعيها وشعرت بجسمها وثنديها ملتصقين بي - ودفعني الخوف الى الالتصاق بزوجة أبي واخفاء رأسي بين ثدييها الصغيرين - ورقدت الى جانبي فالتصقت بجسمها اللين ابتغي الدفء واحسست بذراعيها تضمان جسمي الى صدرها الدافئ فانتشيت » (٢٢) .

وربطها بالعاهرة التي ضاجعها في دمشق « ما أعجب ما خامرني من الاعتقاد بوجود تشابه غريب بين عاطفتها وعاطفة سكينه زوجة أبي الصغرى » (٢٣) . كما ان الارتباط بين فصول رواياته ضعيف ، وتنقله من فصل الى فصل أشبه بتنقل كتاب السير الذين يعنون بأضاعة جوانب مختلفة ، ولا تترتب عليهم ان اهملوا الحبكة ، او انقطعت الصلة بين جانب وآخر . وقد حاول المؤلف ان يغطي ذلك الغيب عن طريق تقسيم روايته الى اقسام وفصول يضم كل قسم منها مرحلة من حياة الشخصية . فقد ربط المؤلف بين القسم الاول الذي يتحدث فيها الكاتب عن نفسه والقسم الثاني الذي يتحدث فيه (الدكتور ابراهيم) عن طفولته ، عن طريق هذا التقسيم رغم اختلاف طريق التسمية فيهما .

(٢٢) اليد والارض والماء ص ١١٠ .

(٢٣ ، ٢٤) اليد والارض والماء ص ٢٤ .

فالقسم الاول استخدم فيه المؤلف طريقة السرد عن طريق ضمير المتكلم ، بينما اتبع في القسم الثانى طريقة الرسائل التى كان يرسلها ابراهيم الى المؤلف . وسلك ايوب نفس الطريق في (الرسائل المنسية) اما في (اليد والارض والماء) فقد استخدم ضمير الغائب ولم يضطر الى تقسيمها الى اقسام كما فعل في روايتيه السابقتين ، بل اكثر من الفصول الصغيرة التى بلغت خمسة واربعين فصلا . وكان من الافضل ان يضم بعضها الى بعض ويختصر لتكون الفصول ادل على مراحل الرواية ونموها .

ويضاف الى ما سبق انه وقع في اخطاء متعلقة بالحدث فهو على سبيل المثال في (اليد والارض والماء) يذكر ان (المفوض) اخذ قطع الغيار اللتين بواسطتهما تشتغل مكائن السقي وأخبرنا المؤلف في الفصل نفسه ان الادانين قد اعيدتا (٢٤) فكيف اذن ذوى الزرع لانقطاع الماء مدة شهر كامل وليس هناك ما يحمل على الظن بفوات هذه المدة الزمنية ، ام ان ضغطه للاحداث احيانا اوقعه في هذا الخطأ فهو يقول على لسان الدكتور ابراهيم غير مهتم بالزمن « وقبل اتم دراستى في انكلترا بسنة واحدة اختليت بجنى . . » (٢٥) . في نفس الفصل الذي تحدث فيه عن وصوله الى انكلترا والدخول في جامعتها . مع العلم ان دراسته فيها استمرت ثمانى سنوات لأنه حصل على شهادة الدكتوراه في الزراعة من جامعاتها . وكان ذهابه اليها بعد انتهاء دراسته الثانوية مباشرة .

(٢٤) اليد والارض والماء ص ٨٦ .

(٢٥) تشيخوف (قال نموركي) ان شخصيات القصة ينبغي الا يكونوا

متسترين منعزلين عن الجماهير ص ١٢٨ .

والمادة الخام عند ايوب نماذج من الطبقة الوسطى بتقاليدهما ومشاكل اجيالها الناشئة هذه الطبقة التي اخذت تتطور بسرعة في العراق فيما بين الحربين وما بعد الحرب الثانية وترمى عنها القشور التي تحجرت قروناً حولها فكانت تملذذ باجتار عيوبها والتلمظ بنقائصها . وقصص أيوب كقصص عبد الحق فاضل كانت نوعاً من عقاب الذات جلدت به البرجوازية العراقية نفسها ، ليتكشف فيها الانسان المتطور المتألم وراء القواقع التقليدية المتحجرة ، وكانت خطوة متمردة في سبيل مجتمع جديد . وهو ككل فنان يستغل هذه النماذج فيشرح لنا فلسفته التي تدور حول الحياة وباعتبارها ظاهرة اجتماعية . وقد دفعه نزوعه الى نحو نقد تقاليد المجتمع الى العناية بالسرد اكثر من عنايته بالحوار . بل ان الحوار يبهت في روايتي (الدكتور ابراهيم) و (الرسائل المنسية) وتقوم مقامه حركة استطرادية ويبرز في هذه الحركة اهتمام خاص بالشخصية ، شخصية الكاتب نفسه وشخصيات أبطاله . وكثيراً ما يحس ذاته بل انه ليجعلها بؤرة التجربة . ولم يكتف بذلك بل يذهب الى تقمص الكثير من شخصياته . وفي هذه الحقيقة تكمن ميزات مخلوقاته انه يخلق نفسه فيها ويصورها كما تراه عيناه ، كما فعل في شخصية (ماجد) في اليد والأرض والماء وشخصية (عارف) في الرسائل المنسية . فما أحب الشخصيات الى نفسية المؤلف ، الرجال والنساء العاديين وكل فرد منهم ليس مجرد شخص بذاته بل هو قطاع من الحياة بأجوائها وأساليبها المختلفة ، مثل شخصية الفلاح سليم والفلاح زبالة والاقطاعي صالح جبر والمحامي (ماجد) والمدرسة سنية والدكتور حسام والدكتورة هيفاء في اليد والأرض وعارف المهندس وصها الارستقراطية في الرسائل

المنسية وسامي المهندس وغسان الضابط وجنى الانكليزية زوجة الدكتور ابراهيم ، وابراهيم نفسه ووالده شيخ اسماعيل وزوجته حسنية في (الدكتور ابراهيم) .

ولا يمكن ان ينفصل ابطال ايوب هؤلاء عن بيئاتهم التي يعيشون فيها . فالبطل عند ايوب هو الواقع نفسه ، وهو الحياة في وطنه تلك الحياة التي كان ابطاله جزءاً لا يتجزأ منها . وهو يمثل ابطاله في كفاحهم ضد حياتهم الاجتماعية الضيقة . لذا يعد هؤلاء الابطال ممثلين للتيارات التقدمية والنزعات الاصلاحية في المجتمع العراقي .

وقد جاء رسم شخصية الدكتور ابراهيم مضطرباً حيث أورد على لسانه اقوالاً لا يؤتها غيره « وذكر مثاليه بجرأة ومن دون حياء . وهذا امر مخالف لطبيعة الأشياء واذا كان الشخص لئيماً خسيساً كالدكتور ابراهيم . وقد عجز المؤلف عن اظهاره بمظهر الشرير الذي يسعى الى الغر اشباعاً لهواية الخسة والانانية في نفسه لأن المؤلف يرمي اللوم في تصرفات الدكتور ابراهيم على ظروف المجتمع كله الذي جعل منه ضحية له ، بالاضافة الى أن الدكتور ابراهيم نفسه كان يشتمز من بعض الاوضاع السيئة ، مما يلطف كثيراً من الأثر السيء الذي كان ينبغي ان تعكسه تلك السيرة المعوجة في نفس القارئ » (٢٦) .

ولا تتناسب نهاية الدكتور ابراهيم مع فظاعة الاعمال التي اقترفها فقد أثار الطائفية وأسهم في الشغب وحدث الفوضى وخان مسؤولياته ، وبعد هذا كله يغادر العراق الى الولايات المتحدة الاميريكية آمناً مطمئناً ليعيش هناك هنيئاً بما جمع من مال حرام . وهذا يناقض

النهج التعليمي الذي أراد إبرازه في هذه الرواية بالذات ، ويتنافى مع
المواعظ والنصائح التي زخرت بها روايته ، ولكن رواياته لا تقدم لنا
هذه الشخصيات المتميزة فقط بل تقدم شخصيات عراقية صميخة لا
يمكن ان تنقلها الى اي قطر آخر ، وتتصورها هناك مثل شخصيتي
(سليم وزباله) الفلاحين و (صالح جبر) الاقطاعي في اليد والارض
والماء والشيخ اسماعيل في رواية (الدكتور ابراهيم) وغيرها من
الشخصيات ، وهي فوق ذلك كله عراقية في صفات المشاكل الاجتماعية
التي تتحرك في داخلها ان مشكلة الأرض التي سلبها الاقطاعيون ، والماء
الذي سلب والطريق الزراعي الذي اعطى للاقطاعيين والمظاهرات التي
حدثت ضد معاهدة (بورتسماون) هي صفات واضحة للعراق ولا يخطيء
القارئ في ادراك ان العراق هو مسرح الحوادث وليست اي بلد
آخر . ولن يخطيء القارئ في معرفة زمن الرواية وهو المرحلة التي
أعقبت الحرب العالمية الثانية وهو يضيف الى ذلك تصويره الحسن
للريف العراقي بحيث نكاد نلمس سنابل القمح المزروعة في الأرض
الخصبة ، ونشم رائحة ارضه وغباره ، وينبض قلبنا فرحاً للأعراس
والاحتفالات الشعبية التي يقيمها الفلاحون في المواسم والأعياد ولكنه
يشوه هذه الصورة البديعة ببعض شخصياته الإصلاحية التي لا تنفك
عن التبشير والوعظ ، والجدل والمناقشة .

وأغلب تلك الجدليات والارشادات كتبت بلغة مدرسية . « والتصقت
هذه المبادئ بالجرائد والمجلات وحتى بالكتب سواء كانت علمية أم
أدبية أم قصصية واستترت الاغراض الشخصية وراء هذه الكلمات وغدت
أفعال تلك العبارات أسلحة ماضية بيد الأقوياء يقاتلون بها ، يهاجمون

ويدافعون فيفوزون ويندحرون أما القضاء والعدل والكفاءة والمحكمة المنطقية والعلم والنزاهة فلم يعد لها أثر لقد ضاع صوت العقل في هذه الزوبعة الهوجاء ولم يعد هنالك من يفتح أذنيه لسمع أو عقله ليفهم ورفع كل عقيرته ينادي على بضاعته ويشير لنفسه (٢٧) .

وبدت لذلك شخصيات المؤلف شخصيات تتسم بالطابع المسرحي في الحركة والحوار ، فأبطاله جميعاً باستثناء (سها) بطلة الرسائل المنسية يصيرون دائماً في لهجة خطابية ورنانة ويتحركون دائماً بأسلوب دراماتيكي مصطنع ، وعلى سبيل المثال شخصية (سنية) التي أقامها المؤلف في (اليد والأرض والماء) لتقوم بدور المرأة المتحررة ، فجعلها الخبيرة الاقتصادية التي تستطيع ان تكشف حجب الغيب ، وتنقد الوضع القائم على اسس علمية ، استمدتها من دراساتها المتصلة وجعل ماجد بطل الرواية المحامي وحامي الحريات والحقوق تلميذها المخلص يتلقى منها الوحي ، ويعمل بإشارتها وتنفع في روحه الحزم والمثابرة . أما هواية الكاتب الرئيسية فهي الاشتراك في المظاهرات ونقد الوزراء والانحاء باللائمة على من يتهم كل مصلح مطالب بحقوقه بالشيوعية الهدامة . فقد جند لها شخصية من شخصياته (سنية) المتفلسفة التي وقفت تخطب المتظاهرين خطاباً حماسياً ألهب الشعور واستدر التصفيق ، والفلاح العجيب (سليم) الذي ترك الحقل وجاء الى بغداد في شأن من شؤونه ، وأسهم في المظاهرة ووقع جريحاً والى هذا الرأي ذهب عبد القادر حسن امين (٢٨) .

(٢٧) ايوب (الدكتور ابراهيم) ص ٢١١ .

(٢٨) المصدر السابق ص ١٨٣ .

وتبدو شخصيات أيوب الروائية في بعض الأحيان وقد فقدت فرصها، وارتكبت أخطاء شنيعة بالرغم من تكريسها لجهودها في سبيل تحقيق هدفها . وهذا ناتج عن تمسك الكاتب بالواقع ورسمه قدر المستطاع . فقد كان من الافضل مثلاً لو نجح (ماجد) بطل (اليد والأرض والماء) ورهطه متخبطاً اشواك المجتمع صارعاً عوامل الجشع والانانية كما نجح عارف في (الرسائل المنسية) فذلك أجدر بخدمة اغراض الكاتب في الاصلاح .

والكاتب يصف شخصياته ويحدد بعض لمحات قشرتها الخارجية ، فهو يصف الدكتور ابراهيم على سبيل المثال بقوله « شديد السمرة ، مدبب الانف نحيف البنية في ميل الى الطول ويسير بخفة وحذر ويراقب بزوايتي عينيه دون ان يظهر عليه انه يراهم ترى ظل ابتسامة خفيفة على وجهه » (٢٩) . ويصف زوجة ابراهيم (جنى) بقوله « بنظراتها الرقيقة المنبعثة من حدقتين زرقاوين ذواتي لون فاتح وكان وجهها رقيقاً وشفتاها رفيفتين في طول لا يتناسب مع رقة الوجه والانف الاصغر وكانت رشيقة القامة لا تزيد في الوزن عن الدكتور ابراهيم ولكنها اطول منه قامته وكانت تتكلم بقوة وتنظر في عين الانسان رأساً وتسوق الحديث بصراحة دون تستر » (٣٠) وسار في نفس الطريق في وصف والد الدكتور ابراهيم ووالدته ، وهذا ما فعله في وصف ماجد وسنية في اليد والأرض والماء ، وهو يعتمد احياناً الى تعمق شخصياتهم واستيطان ما يدور في داخلها او تحليل نفسياتها وعواطفها ، فالدكتور ابراهيم يحدثنا عن احساسه بعد عودته من اكلترا قائلاً « وقد سلمت

على اخوتي بشيء من الاحتقار ومع أن أبي كان يسكن في هذه المرة بيتاً كبيراً في الموصل فقد غفت ذلك البيت ولم احتمل البقاء فيه أكثر من يومين . اما أمي فقد علمت انها ماتت فلم اشعر بشيء من الاسف اذا لم اقل بأني سررت ولقد رأيت كثيراً من رفاقي وصحبي يوم كنت تلميذاً معهم فتجاهلتهم جميعاً » (٣١) .

ويصف عارف عواطفه نحو زوجته في رسالة بعثها اليها في الرسائل المنسية قائلا « اي سها انني لا أحبك ولا اشعر بميل اليك ولا اعجب بك . ولكني اشعر بعطف عليك يقيدني الى حد الموت وكل ما اخشى هو ان أثور يوماً على القيد الذي كبلني فيتلاشى هذا العطف » (٣٢) . ولم يصور المؤلف قلق شخصياته وصراعها العميق ، وانما يعرضها لمواقف متضاربة ، ولجملته من المفارقات المتكاملة ، يرجع فيها تغليب احد المواقف التي تقفها الشخصية ، كما فعل في رسم شخصية (الدكتور ابراهيم) او يجعلها تنهزم من الحياة عموماً . وتبدو هذه الخاصية التي تتسم بطابع المأساة في شخصية (ماجد) بطل اليد والارض والماء ، وشخصية (سها) بطلة الرسائل المنسية .

ونجد في روايات المؤلف محاولة واضحة لرسم شخصيات منسقة يمنحها المؤلف خطأ لا بأس به من التماسك ، ويضفي عليها قدرأ من التطور كما فعل في شخصية (سليم) في اليد والارض والماء الذي نمت شخصيته من فلاح جاهل الى رجل مناضل نتيجة الأحداث التي مر بها . فقد بدأ من نقطة معينة هي تفتحه وتطلعه الى هدف يريد

(٣١) المصدر السابق ١٣١ (وكذلك) ص ٦ ، ١٧٨ ، ٨ ، ١٨٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ .

(٣٢) أيوب (الرسائل المنسية) ص ٢٠ .

بلوغه ويعاني عذاباً كبيراً في سبيل ذلك ثم ينتهي الى الفشل ولم يبلغ غرضه . وكذلك شخصية (عارف) الشاب المريض بالانرجسية وتقديس الذات .

وتميل بعض هذه الشخصيات الى العزلة والانزواء مثل شخصية نزار وسها ، وآخرين يعيشون في بؤرة الحياة ، يكافحون من اجل وجودهم ، مثل الدكتور ابراهيم وماجد وسنية والشيخ اسماعيل وسليم وزبالة ، وهم محبوبون لأنهم صريحون لا يخافون في الحق لومة لائم (٢٣) . ولكن هذه الشخصيات تفتقر الى الصبغة الانسانية فهم قسمان شخصيات خيرة مثل ماجد وسنية وسليم او شريرة مثل الدكتور ابراهيم ووالده الشيخ اسماعيل والاقطاعي صالح جبر . وتبدو هذه الشخصيات نماذج جامدة لا تحركها العواطف الانسانية بل يد المؤؤف . فهي تتحول على يديه الى مجرد ادوات ورموز لتنتقل لنا افكاره وآراءه في الحياة والمجتمع وربما نستطيع ان نفهمها فهما اوضح اذا قارناها به نفسه أو بموقفه من الحياة ، والقسم الاخر من عالم أيوب ينحصر في الشخصيات الشريرة وهم فريق رجال السياسة يحصى عليهم تصرفاتهم ويسجل مثالبهم ويتمق احياناً في سير نفوسهم لكشف عنصر الشر فيها وما انطبعت به اعمالهم من انانية وخداع ، واغفال المصلحة العامة التي فرض عليهم ان يسهروا عليها ، كما فعل مع الشخصيات التالية الدكتور ابراهيم ووالده الشيخ اسماعيل والاقطاعي صالح جبر . وينجح الكاتب في اثارة القارئ وملء صدورهم حقداً عليهم ، كما ينجح في اثارة الرثاء المشوب بالازدراء تجري في اعقاب اولئك الساسة الذين تنكروا على

ما اصابوا من مفاهيم بعد الدرس والتحصيل العالى وتجاهلوا المثل الاخلاقية العليا ، بينما يخلع على الابطال الذين يحبهم مثل ماجد وسنية وسليم وحسام وعارف صفات تقربهم من القلوب وتحيطهم بهالة من الاعجاب والاحترام ، وإن بدوا احياناً غربي الاطوار لا يستطيعون التلاؤم مع الحياة .

ولغة الكاتب معبرة بصورة عامة ، ون كانت لا ترتفع الا قليلا عن الاسلوب الصحفي البسيط . ولا يخلو اسلوبه من اخطاء لغوية ومرد ذلك الى سرعته في النشر ، فقد استعمل كلمة (المؤجر) يريد بها (المستأجر) لأن المؤجر الحكومة التي اجرت الارض والمستأجر هو ماجد وليس مؤجراً (٣٤) . واللغة يجب ان تحرص على الا تغطي الكلمات الشوهاء على كتاباتنا تلك الكلمات التي توجد في الأرض القاحلة للاستعمال الرسمي والتي تحملق نحونا في صفحات الجرائد واعمدتها (٣٥) .

وليس من السهل ان نقول ان لأيوب أسلوباً خاصاً به لانه ان اديب كثير القراءة تمتزج مطالعته بعضها ببعض فتتال في كل فترة من حياته نصيبها في خلق لون من الادب . فقد اصطنع لنفسه اول الأمر أي في فترة ما بين الحربين أسلوباً سهلاً لا يأبه باناقته ، ومال اخيراً أي بعد الحرب العالمية الثانية الى اسلوب رصين يحرص أشد الحرص على سلامته واناقته واصالة جرسه .

ونمت دعايته ورقته وغلب طابعها على كتاباته كلها ولكنها لا توجد

(٣٤) انظر عبد القادر حسن امين (المصدر السابق) .

(٣٥) فيرا انبرا (انا ومهنة الادب) مجلة الشرق العدد (٦) ١٩٥٧ .

الا عند رسم اللوحات المستمدة من وصف الاشخاص لا من تركيب
الحوادث فهو يسخر من الدكتور ابراهيم بقوله « وكان اكثر الجميع
اهتماماً بالدور الذي اسند اليه فقد شرع بتنفيذ مهمته فور خروج
زائريه فحبر مقالة ضافية ينتقد فيها شؤون الزراعة ولم يعتمد على احصاء
او تقرير او بحث او تحر ذاتي فهو اكبر من ان يعتمد على مثل هذه
الامور والا فما فائدة الشهادة العالية» (٣٦) .

ويستعين بمثل هذه السخرية للنيل من يضعه هدفاً لنقده ، وقد
يسف احياناً في نقده بذكر نعوت مختلفة مثل قوله وهو يصف خصام
مراجع مع الدكتور ابراهيم في دائرته « ورفعه عن كرسيه كما يرفع
جروا ورمى به الى الارض » (٣٧) .

ولم يكن ثمة مناص من ان يصبح ايوب مالكا لزمام السخرية
اللاذعة وأن يسود فيها لانه استهجن كثيراً من التقاليد والاتجاهات التي
كانت سائدة في مجتمعه ، على انه مع استهجانه للكثير من هذه التقاليد
والاوضاع لم يكف عن ابداء مظاهر الاعجاب ببعضها الآخر ، ومن
اجتماع هذا الاعجاب والاستهجان ولدت السخرية في نفسه ، ولكن
اشد السخرية واكثرها ايلا ما تملك الصور الفارقة التي يوفق الكاتب
الى رسمها أحياناً « . . . وشكت امرأة زوجها الى الفتاة وأدعت بأنه
لا يحبها لانه شيوعي وشتم ضابط الشرطة احد المتهمين بهذه التهمة
بقوله : أدبسية ليننكراد كاعد بموسكو يشرب عرق وانتم تبشون الدعاية
هنا . وانتهى لواط من المواط بفلام وخرج توأ فاجتمع برفيق كان

(٣٦) ايوب (الدكتور ابراهيم) ص ١١ .

(٣٧) المصدر السابق ص ١٦ .

يقرأ مقالا في السفرور وتحبيذه فصاح بوجهه ؛ اما تستحون من مطالعة هذه الوريقات التي تنشر المبادئ الشيوعية والاباحية « (٣٨) .

وفي هذه الروح الساخرة تكمن المأساة فسخريته نابعة من الالم الذي يعيشه الشعب العراقي مقيداً بقيود اجتماعية وسياسية ثقيلة . أما حوارهِ فيكشف عن تمكن المؤلف من استخدام الحوار وقدرته على ادارته رغم ما يلوح بأنه يعبر عن افكار محدودة ، يوزعها بالتناوب على ابطاله ، لكى يصل من خلال الحوار الى ما ينبغي عرضه من آراء وافكار اصلاحية وإن عد ذلك ضعفاً في البناء لانه لا يساعد على رسم الشخصيات وتطور الحدث .

وقد استخدم المؤلف حواراً بلغة سليمة سهلة ، تجمع بين رصانة الفصحى ومرونة العامية ، التي يسمونها (باللغة الوسط) وهذا حوار حسن ولا سيما وان ادبنا العربي ينتشر في جميع الدول العربية التي تربطنا بها اساساً اللغة العربية . والكاتب الماهر هو من يستطيع ان يطعم اللغة بخصائص لغة الافراد او المقاطعات ، على ان يدخلها في روح اللغة العامة ، ومعنى هذا هو ان روح اللغة - أعني خصائصها المميزة - يجب ان تحترم حتى في الحوار الواقعي نفسه « والواقعية الحقيقية ليست في الالفاظ وانما هي الآراء . فالكاتب القصصى الذي يقتصر في تصوير شخصياته على الآراء الواضحة التي تبدي عادة ، لا يؤدي رسالته ، اذ من واجبه ان يمددا جريئة تفتح الابواب وتشق الحجب » (٣٩) وقد جعل ايوب شخصياته تتكلم بمستوى لغوي واحد في بعض

(٣٨) المصدر السابق ص ١٦ .

(٣٩) جورج ديهامل (دفاع عن الادب) ص ٢٢١ ، ٢٢٣ .

المواقف وخاصة اذا كانت اللغة المستعملة غير العامية التي نتكلم ونفكر بها في الحياة ، فيهدم اساسها الواقعية التي هي السبب في كيانه لأن الحدث انما يقوم على الاشخاص وتفاعل بعضهم مع بعض فان جاءت محاكاة الاشخاص ناقصة جاء الحدث ناقصا وبالتالي انعدمت الواقعية . ولعل السبب في ذلك ان كتابنا ومنهم المؤلف لم يتخلصوا بعد من المفهوم القديم للادب الذي يقوم على الصياغة اللفظية ، وهو يختلف تماماً عن المفهوم الذي قامت عليه الرواية في الاداب الغربية ، وهي الرواية التي يحاول كتابنا تقليدها . يصف الكاتب مادار في اول لقاء للدكتور ابراهيم مع اهل صديقه (تومي) في انكلترا « وخاطبت اخاها قائلة : لست اغتفر لك ان يكون لديك صديق عربي جنتلمان فلا تعرفني به الا بعد هذا الوقت الطويل . فأجاب ضاحكاً : لم ار منه ما يشجعني فقد كنت لاحظ نفوره من الاختلاط بالفتيات وكنت ارى وجهه يحمر حتى الاذن عندما يتكلم مع احدى التلميذات فلم ارد ان ازعجه ولكن لم اكن اعلم انه فارس موفق الى هذا الحد في ميدان اجتذاب القلوب فحذار يا (جني) انه فارس عربي من اسرة عريقة ، فأجابت (جني) تالله ما اخبثك . وأجبت على الفور : ان الأنسة لتجذب القلوب النافرة وتطلق اللسان المتلثممة انها لا تتكلف ولا تتعجرف وان رقعتها لتفيض فتعدي . وصاحت الفتاة بأمرها : ماما او تسمعين بأي لغة يتكلم هذا الفارس العربي الغزل ؟ . ونظرت الأم الى الاب وقالت : ما اسرع مائالفا تالله من كان يظن ان عند العرب مثل هذه اللباقة . كم من الزمن قضيت في لندن يا بني ؟ . فأجبتها متباهياً : سنة واحدة ياسيديتي فصاح الاب : آه ان من يراك يظنك قد ولدت وترعرعت في هذه

البلاد ولولا لونك الاسمر لما استطعت ان اعلم انك عربي .
وقالت الفتاة : كم اتمنى ان يكون لي لونه اذن لأصبحت فتنة
في هذه البلاد . . . » (٤٠)

ويشبهه ايوب محمود احمد السيد في انهما لا يكتبان الا ما يريانه
ويلمسانه . وتعد كتابات ايوب امتدادا لكتابات محمود السيد لأنهما
سلكا طريقاً واحداً في كتابة الرواية بهدف الاصلاح الاجتماعي ونقد
الايوضاع السياسية في العراق ، قبل اهتمامهما بما يستلزمه الفن وهما
يتشابهان في كتاباتهما بما فيها من صدق وتجارب شخصية وتشعرك
اللغة او الكلمة ان مشاهداتهما قطع من نفسيهما ويجاريهما في ذلك
جعفر الخليلي ، الا أنه يختلف عنهما ، لأنه قصر اهتمامه على الظواهر
الاجتماعية دون ان يسلك دروب السياسة في كتاباته كما فعلا .

ولذنون ايوب فضل كبير على القصة العراقية فقد ضرب للمقصصين
العراقيين مثلاً رائعاً للكاتب كي يخلص لغته ويوقف عليه همه ، وقد
استرعى المؤلف منذ ان نشر مجموعاته القصصية وروايته الدكتور
ابراهيم في الثلاثينات انتباه مواطنيه لبساطة موضوعاته وانجاهاته الثقافية
والتعليمية ، كما لفت نظر النقاد للسببين السابقين . وحمل المستهزقون
اسمه ومؤلفاته الى بلاد اوربا وخاصة روسيا فعرفت بفضلها شيئاً من
الادب العربي في العراق .

وظهرت رواية خالد الدرة (افول وشروق) عام ١٩٥٣ . وقد اختار
الكاتب لها هذا الاسم لانه يتسق مع فكرة الرواية كما يقول بأن ثمة
فتاتين حسناوين اولاهما ثرية من عائلة عريقة وثانيتها خادمة ربيبة

في نفس هذا البيت الثري العريق . تطورت بهما الأحوال ، فاذا بالاولى تسير بها المزالق حتى تؤدي بها الى وهدة ننتة ، ويأفل فيها نجمها ، واذا بالثانية تنتشلها الاقدار رويداً رويداً حتى تسمو ويشرق سعدهما (٤١) .

ورقعة الرواية واسعة جداً ، يبدأها الكاتب في اواخر العهد العثماني ويتجاوز بها مرحلة الحرب العظمى الاولى . ويستعرض الكاتب التطور الذي طرأ على الأسرة الكبيرة الثرية ، اذ ينقلب حلمها من هدوء وعيش مطمئن ، الى صخب الخملات فيباح فيها ما هو محرم كمعاقرة الخمر ولعب الميسر وانفصام الرابطة الزوجية ، مع تحول مفهومها الى ما يشبه مفهوم الشؤون التجارية ، القائمة على المصلحة المشتركة .

وقد ربط المؤلف كل ذلك بخيط واحد ، هو الحب الذي الهب غرائز (شامل) تجاه خادمتهم (فاطمة) التي مالبت ان تركت الدار بعد ان غرر بها ابن سيدها ومضت بها الايام حتى اصبحت مغنية مشهورة ردت عنها حبيبها القديم (شامل) وابقتة تغيساً في جحيم غرائزه الملتهبة . وقد تجنب الكاتب العنف في اثاره العواطف فالحب بين شامل وفاطمة حب جسدي آلى . وقد تعرض الكاتب في روايته لمشكلة البغاء في العراق وهي مشكلة تعرض لها اغلب القصصيين العراقيين وعلى الاخص في مجال القصة القصيرة (٤٢) وهي مشكلة خطيرة تجابه البلد الناشئ ، ولكنه اسرف في وصف (الشروق) الذي احيطت به

(٤١) خالد الدرة (أفول وشروق) ص ٤ .

(٤٢) انظر رسالتنا في الما جستير (القصة القصيرة في العراق بعد الحرب العالمية الثانية) .

فاطمة بعد سقوطها باكتساب المكانة الكبيرة ، والمنزلة المحترمة في عالم الفن والشهرة ، وهو بهذا يخالف تقاليد المجتمع الراهن واعرافه (٤٣) وقد حاول المؤلف ادخال القارئ في عالم مرئى من الاشكال والالوان التي تعكس الروح العراقية ، كما عمقت الاوصاف البيئية الجغرافية الحقيقية الانسانية ووضعتها في موضعها وخلقت الصدق والدقة فقد تضمنت الرواية صوراً مستمدة من محيط بغداد والبصرة ، تشابكت فيها العادات واختلطت الصفات ، وساح بنا الكاتب بين الطبقات الغنية السائدة والطبقات الفقيرة المسودة ، وصف افراح ابنائهم وميولهم ورسم عاداتهم وأهوائهم « وفي بداية الزقاق المؤدي الى دار الوجيه برهان الدين يوجد دكان صانع الكباب - علي ازغر - الايراني وكثيراً ما يرى هذا الرجل الاحدب منهمكاً بمروحته لاعداد الكباب للغرباء من النازحين الى بغداد من نواحي العراق المختلفة فما كانت بغداد تعرف المطاعم الأنيقة كما هي عليه الآن وكان الدخان يتكاثر حول الأجراس المختلفة الحجم (. . .) يعلن بواسطة هذه الاجرس عن بضاعته . . . » (٤٤) . وتتمياً للكاتب ان يرسم لوحات زاهية الالوان ناطقة بالصدق . عندما صور انحلال الطبقة الغنية في العراق وبشر بزوالها الناتج عن تفسخها واضمحلالها ، فلم يجد شامل بطل الرواية ما ينفقه على موائد القمار غير سرقة مدخرات امه ، أما اخته المدللة فلم تجد غير الفسق والفجور وسيلة لقتل سأمها وضجرها . ورسم الكاتب كذلك لوحات تمثل الواقع اقوى تمثيل ، فحدثنا عن دقائق العادات في البيئة العراقية « لهذا السبب كانت البغدادية تفتنم

(٤٤) لافول والشروق ص ١١. (٤٣) انظر عبد القادر حسن امين (القصص) ص ٢٠٥.

الفرصة حين يخلو الطريق من الرجال لاكل المارة ، ولا تعيد الحجاب الى وجهها الا اذا مر رجل محترم تقنع انه في عداد الرجال . . . اما الرجال العاديون فما كان النسوة المحترمات ليأبهن منهم وما كانت ايديهن ترتفع لاعادة الحجاب من اجلهم» (٤٥) .

ولانصور واقعية الكاتب الحياة بخيرها وشرها تصويراً تسجيلياً ، وانما تفهم الحياة وتفسرها من وجهة نظر خاصة ترى منها مطامع الطريق لتنتهي الى خلق الاثر الذى هو في الظاهر يماثل الواقع ، ولكنه في الخفاء يفصل عنه انفصالاً تاماً .

وجوهر واقعية الكاتب في روايته (افول وشروق) ليس ما يحدث بالفعل بل الكشف عن الدلالة الكبرى لما يحدث ، فهو ينظر الى الانسان لا على انه صورة ترسم للمتعة والتسلية ، بل باعتباره كائناً اجتماعياً متطوراً وان تطوره يكون بتحسين واقعه وتهيئته الفرص لكي يستكمل سيادته في الحياة .

ويعيب رواية خالد الدرة ، التعليل والاستطراد ، فاذا تحدث عن شأن من الشؤون ، وأحس بأن القارىء قد لا يكون في جانبه . أو قد لا يؤمن بما يقول ، مضى بحماسة يسرد العمل والاسباب ويبسط الامر بسطاً ، دون أن يدرك أنه بعمله هذا ، قد ابتعد عن فنية الرواية واقترب من روح البحث العلمى ، مثال ذلك براهينه التي اوردها ليؤيد رأيه بأن جمال المرأة العراقية فريد في بابه لا يدانيه اى جمال على وجه البسيطة (٤٦) .

(٤٥) المصدر السابق ص ١٣ - ١٤ .

(٤٦) المصدر السابق ص ١٢٧ .

اما الاستطراد فيتجلى في ميله الى اشباع الموضوع والاحاطة بأطرافه كلها ، حتى ينسى في كثير من الاحيان ، ما كان قد بدأ به اول مرة (٤٧). فقد تحدث عن المنافسة التي قامت بين عباس السوري والدكتور زيدان في خطبة (نصيرة) وكيف انتهت بانتصار عباس ، يؤيده ثراؤه وجاهه المزيف ، وانخذل الدكتور زيدان الذي نشأ فقيراً من الجاه والمال ، فلا يكتفى الكاتب بأن يجمال الامر اجمالاً ، بل يستطرد الى بحث طويل يتعلق بحياة عباس السومري ، ثم يتركه ليعود بعد حين الى الدكتور زيدان فيسهب في الحديث عنه ، مع ان القارىء سبق واحس بانتقال الكاتب الى مرحلة اخرى من تطور هذه العائلة ، فلم تكن هذه العودة المفاجئة الا فضولاً وحشواً . وقد يدفع هذا الحشو الكاتب الى مستوى هابط يعتمد فيه التكرار والافاضة بغية الاثارة السطحية ولا ريب ان الصورة النمطية المصممة للحدث تتطلب مهارة فنية بينما الصورة الهامشية السريعة المكررة لانستوجب قدرة فنية . فمأساة الأم (زنوبة) تتكرر على ابنتها (فاطمة) في شخصية اخيها غير الشرعى (شامل) . ومن خلال عرض الكاتب للحوادث المقدسة المتتابة المتكررة يفقد عنصر التشويق الفنى وكأنه يسرد تاريخاً لأسرة عراقية غنية ، وعندئذ يتدخل الكاتب نفسه ليخبرنا عن وجهة نظره ، أوليربط بين الاحداث المبعثرة « وللقارىء ان يتساءل كيف تم لعللى ازغر ان يرى شفيقة هانم وان حجاب المرأة المسلمة كان على اشده في ذلك العهد المظلم ؟ وللإجابة على هذا السؤال علينا ان نتطرق الى عادة

(٤٧) المصدر السابق ص ٩ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٥٨ - ٥٩ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٢١ ،

١٢٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٧ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٠ .

عربية وما نحن نستمع الى حوار جرى في دار شفيقة هانم وابنتها وابنتها لتعرف الى ما انحدروا اليه من هوان ولبعد مرة ثانية الى نفس المقصورة حيث كانت نصيرة واخوها « (٤٨) . والى هذا الرأي ذهب عبد القادر حسن امين (٤٩) .

وهذا ما يدعو الى اعادة النظر في بعض الفصول لتجمع الشتات في مكان واحد ، تتقارب فيه وجوه الشبه وتلاحم الصلات .

وقد وهب الكاتب شخصياته الحياة عن طريق رسم الخطوط الخارجية والداخلية لها ، حتى تظهر وتبرز ملامحها . وهذا الرسم يحتاج الى دقة ملاحظة وبراعة في الوصف حتى تتجسم الشخصية في خيلة القارئ (فبرهان بك) « رافع الرأس معتدل القامة مهيب الطلعة مفتول الشاربين الاشقرين اللذين يزينان وجهه الوردى ويتسلط عليهما أنفه القفقا سي المستقيم وتطل من فوقه عينان عاديتان تنطقان بمعاني الدهاء وكثيراً ما ينطبق عليهما حاجباه الاشقران الكثبان تنطقان بالمر ، وكان يلفت النظر بملابسه الافرنجية التي لم تكن مألوفة في ذلك الوقت الابين الموظفين ورجال الجيش والبوليس » (٥٠) اما زنوبة « فقد علا نهداها وتورد خداهما وافرع جسمها المشقوق وتسربت الحمرة على شفتيها المترعتين . وحسن هندامها مما كانت تغدقه عليها سيدتها من ملابسها الحريرية الانيقة » (٥١) ويستمر المؤلف في وصف شخصيات

(٤٨) المصدر السابق ص ١١٨ ، وكذلك ص ١٣ ، ١٢٥

(٤٩) عبد القادر حسن امين (القصص) ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٥٠-٥١) المصدر السابق ص ٩ ، ١٦ .

الرواية وصفاً خارجياً وثيقاً ، ويجيد في وصف التطور النفسى (لفاطمة) وتساميتها ، حيث تشمئز من التدهور الخلقي الذي انحدرت الاسرة اليه تلك الأسرة التي ولدت فاطمة في بيتها خادماً . كما وفق الكاتب التوفيق ذاته في رسم مراحل الانحدار الذي انساقت نصيرة اليه حتى امست اقرب الى المومس منها الى المرأة الشريفة ذات الصون والعفاف .

ومن ناحية اخرى نجد ان الشخصية عنده لم تعد مجرد شىء نستمتع به ، بل غدت الشخصيات فعالة تؤثر في الاحداث وتخلق المشاكل ثم تحلها فيما بعد في ظروف مغايرة . فعندما يغتصب شامل خادمتهم-م فاطمة ، تهرب من دار سيدها وتلغقها دور البغاء وتبدل اسمها باسم (سهام) ، وتتحدد على الفور معالم لقائها التالى مع شامل . ويبدأ الحدث تطوره من خلال التوتر المتغير بينهما ومن خلال بعض الوقائع القليلة من جانب الشخصيات الاخرى . وهكذا يخلق التوازن بين كل عناصر الحبكة ويشكلها . فليس هناك اطار خارجي ولا مجرد حبكة آلية ، بل كل ما هنالك شخصية وحدث في الوقت نفسه .

وتنكشف الشخصية عند الكاتب في صميم مفهوم الزمن ، ويتحدد به مصيرها آخر الامر فنجد ان (فاطمة) خادمة كامها تمنح جسدها لسيدها (شامل) كما فعلت امها (زنوبة) مع ابيها (برهان بك) ولكن الزمن تغير بين جيلين فهى لا تقبر نفسها كما فعلت أمها باستمرارها على الخدمة في دار سيدها ، بل تترك الدار لتشق طريقها في الحياة . ولم يتح لها الزمن غير العهر . ولكن ما ان تلمع في عالم الغناء حتى تتغير تماماً وتنقلب الى امرأة اكثر نبلا من سيدتها القديمة (نصيرة) التي دفعت بحكم الزمن والاحداث الى قتل فراغها بالفجور والتهتك

فكانت اشد عمراً من العاهرات أنفسهن .

وجميع شخصيات المؤلف تعاني الالم وتمارس تجارب قاسية مريرة على الاغلب ، ولكنها مع ذلك لا تكاد تعرف اليأس او الانهيار . وأغلب هذه الشخصيات تعرف كيف تصمد وتقاوم وتستقبل حياتها بصدر منشرح وآمال كبار . فقد كان المؤلف مشبعاً بالحياة والتفاؤل الذي يمثل الروح العراقية ، ولم يكن نقده للحياة الطبقة الفنية الانقد الرجل الواثق من مثله الاعلى .

أما اسلوب الكاتب فلم يبرأ من الاسلوب الصحفي البسيط والعجالة الصحفية مثل قوله « ولا حاجة بنا ان نصف حفلة المهر وما اعقبها من حفلات ساهرة ، ودعوات هامة ، مادمنا قد ذكرنا مبلغ ثراء ووجاهة الطرفين ، وما اشتهروا به من اسراف وتبذير » (١) . وبدا غير مفهوم ان يصف الكاتب - على ازغر - بائع الكباب صاحب الحلقة الدميحة ، بذى العيون السود والانامل الرشيقة ، كما انه من الصعب ان ينفس انسان عن قلقه النفسى بالنظر الى امرأة ، نظرات شهوانية تائهة .

وقد يرجع تأثر الكاتب بأساليب الصحافة الى اشتغاله بالعمل الصحفي ، فقد كان يصدر مجلة (الوادي البغدادية) وصرح بذلك في مقدمة الرواية حيث قال : « ولما كانت الاسباب التي نوهت عنها لم تسعني باتمامها في فرصة واحدة ، لان امد تعطيل المجلة ينتهي فأعود للانصراف الى عملي الصحفي فأنسى هذه القصة وتتبعثر اوراقها وتضيع

(٥٢) المصدر السابق ص ٥٩ .

او يضيع قسم منها ولا اعود فيها الى التفكير الابعد ان تغلق الحكومة مجلتي واعدود الى الاعتكاف في داري فابدأ بجمع ما تبعثر من اصول هذه القصة ، وابدأ بكتابة فصل منها حين تتوق نفسى للكتابة ، وكثيراً ما يكون الفصل الذي اكتبه بعيداً عن تسلسل هذه القصة «(٥٣) . وقد جعله ذلك ينسى انه اخبرنا ان شفيقة هانم بنت قصرأ لها جديداً وانتقلت اليه في حين ان حديثه في اواخر القصة ، يشعر القارىء بأن الاسرة مازالت في الزقاق الضيق من الحى القديم (٥٤) . كما يفهم من بعض العبارات التي ساقها (٥٥) الكاتب ان شامل قد اعتدى على عفاف (فاطمة) قبل ذهابه الى بيروت مع انه ذكر(٥٦) ان الامر قد حدث بعد عودته من بيروت وقد كتب خالد الدرة سيرة ذاتية باسم (المشعوذ) تحدث فيها عن ذكرياته عند ما كان طالباً في كلية الحقوق العراقية ويعيب هذا الكتاب ان المؤلف لم يعرف فيه الاقتصاد في الكتابة ، ولم يفرق بين التفاصيل الهامة التي تعين على خالق العمل الفنى السليم وبين التفاصيل الثانوية التي ينوء بها العمل الفنى . فهو يصف لنا دقائق حياة شخصياته ، فيحدثنا عن استاذة في الكلية حديثاً مسهباً عن ميوله واتجاهاته وملبسه ومطالعاته وانفعالاته ولحظات سروره وحزنه مما يبعث الملل في نفس القارىء ويدفعه الى العزوف عن اتمام قراءة الكتاب .

(٥٣) المصدر السابق ص ٤ .

(٥٤-٥٦) المصدر السابق الصفحات على التوالى ٣٤ ، ٥٢ ، ٤٠ ، وانظر

رسالتنا في الماجستير .

وصدرت للدرة كذلك مجموعة قصص قصيرة باسم (طبيعة الاشياء)
اما كتابه (في قفص الاتهام) الذي ظهر عام ١٩٤٧ فهو مقالات
ومحاضر محاضرات ، اجراها الكاتب بأسلوب قصصي لبعض الشخصيات
الكبيرة في العراق ليتخذ منها وسيلة للتشجيع .

ويعد فؤاد التكرلي (١٩٢٢) من افضل كتاب القصة العراقية في
قصته الطويلة (الوجه الاخر) عام ١٩٦٠ (٧٥) . وقد درس التكرلي القانون
وشغل مناصب عدة في وزارة العدل العراقية . وقد دفعه شغفه بالادب
الى كتابة القصة وبدأ فيها بداية حسنة ، اعجب بعبد الملك نوري
وقلده في اقصيصه مستمداً مادته من اللاوعي يسردها على شكل ذكريات
يؤلف بين اجزائها بخيوط من واقع البطل .

تعرض القصة هذه في قسمها الاول ملامح شخصية - محمد جعفر -
خلال مسيرته الصباحية - في شارع الرشيد - متجها الى محل عمله وخلال
عمله في دائرة حكومية واحاديثه مع الموظفين . وزوجته حامل مشرفة على
الولادة ، ولكنه لا يملك دراهم لنقلها الى المستشفى . وهي تطلب
اليه ان يعود بها الى اهلها تضع عندهم ولدها البكر ، ولكنه يرفض
طلبها لان اسرتها فقيرة . ويعيش محمد جعفر في دوامة من المشاكل
تنتهي بولادتها طفلاً ميتاً ، واصابتها بالحمى بعد حمى نفاس قوية .
وما يلبث محمد جعفر ان يسأماها ويهجرها بعد ان يحب - سليمة - ابنة
صاحبة الدار التي ينزل فيها ، ويحس في جسدها الدفء الذي افتقده
في جسد زوجته . ويمثل محمد جعفر الشباب الضائع في العراق جيل
ما بعد النكسة ، فقد حدث له يوماً ان ادرك انه لا يكتب الا لانه

يكتب ، ولم يكن يدري بالضبط لماذا يكتب او لماذا يجب ان تكتب على الاطلاق ! .

وكانت هذه الفكرة هي مبدأ التلاشي عنده بقيم لم يكن يملك سواها يوماً من الايام ، وبقي جاهلاً بعد ذلك أكان انقطاعه عن الكتابة اراديا ام انه العجز الابدی الذي يتسلسل بجفاء ويقضي على كل شيء (٥٨) أليس عبثاً ان يفكر الكاتب بهذا الشكل ، ثم أليس غريباً على الكاتب الملتزم ان يتهاوى ويهرب من محاولة انقاذ شخص يحتضر في الشارع ؟ ثم يتساءل وهو يجلس في عربة عامة : ماذا يعني كل هذا ؟ هو ببساطة نقصان في تكوينه الخلقي اما ماذا يعني (٥٩) فهو يبرر بهذا تصرفاته الخاطئة (٦٠) .

وحينما كان ينتظر ان تسترد زوجته وعيها بعد موت الوليد احس بنداء الجنس بشكل مسهور يود ان يلتهم كل فتاة ، من سليمة الصغيرة الى فتيات العربة العامة . كان يسير في الشارع ويفكر بأن الآخرين معزولون عن محنته . « الشك المستديم في الا تكون بشراً ومن يدري فقد لا نستطيع كلنا على الدوام ان نثبت حقيقة اخرى تنقض هذا الشك انه الوجه الاخر الهارب منها على الدوام » ويسخر من الشرف قائلاً « ان الشرف لا يوقف آلام البشر ، ولا حتى آلام فرد ، ولكنك تستطيع ان ترفض هذا الالم بضمير مطمئن وأنت في فراش وثير دافئ وبين احضانك امرأة نضرة ستكون انذاك رغم آنف الاخلاقيين انساناً شريفاً . يا للمسخف » من الذي يدفع محمد جعفر الى الحديث مع نفسه بهذا الشكل

(٥٨ - ٥٩) فؤاد التكرلى (الوجه الاخر) ص ٩٣ ، ٩٠ ، ١٢٣ .

(٦٠) انظر باسم عبد الحميد حمودى (في القصة العراقية) ص ٣٦ - ٣٧

أهو عمى زوجته الذي جاء اثر ولادتها المجهضة ؟ انه يفكر قبل ان ينالم ان يعيش عمى زوجته ولكنه لا يتمكن من معاينة هذه الفكرة بسبب خط سيره الاناني الملتزم للمفردية ولرفض اشياء مجتمعة كثيرة . ان المؤلف يرسم صورته بصبر ودقة ، وبطله يفكر بصبر وهو يلقي عليه الاضواء اكثر من اي شخصية اخرى في الرواية ، ويدفع له دائماً بمقويات فكرية في الرفض وعدم الرفض في الماضي والحاضر . فالعالم كله مربوط بزوجه العمياء و (بكومبيالات) سيد موسى الذي تزوج سليمة (٦١) .

وقد جاءت صورته واضحة المعالم غير متشابكة الخطوط ، مشرقة صادقة تفيض بالحياة والحركة تحمل القارىء على الاندماج بها كل الاندماج لانها تذكره بعالم ما فتى يعايشه ويعهده . فهو يجيد تصوير الزوجة العمياء وهي تبكي وتصرخ متألمة لانها سمعت ان سليمة قد ارتدت حليها . حركة اصابعها المتشنجة هذه تدفع الالم فوراً الى نفس القارىء . وزوجها المفكر يرهقه دائماً نداء الجنس فيحاول ربطه بمسألة اقناع سليمة بأن تدفع زوجها المرابى العجوز الى تأجيل عملية دفع ثمن الكومبيالات . وهو يحاول ان يشعر نفسه بأنه يؤدي خدمة لسليمة اذا اتصل بها جنسياً ، ولكنه يفشل فكريباً وعملياً ، ويروح مع افكاره التي يدخلها المؤلف بصورة واضحة حتى في فراش البطل .

ويحاول البطل في النهاية ان يكون منطقياً مع نفسه ومع المجتمع ومع تفكيره . ان الذي يهمه تحقيق فكرة لا تمس احداً غيره ، وهو يريد ان يعمل شيئاً لا يمس احداً غيره . وهو في هذا لا يصفي لنداء

احد سواء ، طلق زوجته واوصلها الى بيتها دون ان تعلم انه فعل ذلك . حاول ان لا يحتك بسليمة اول الامر ولكنه نجح بعد ان اعطته موعداً في منتصف الليل ، لم يستمع الى كلمات اسماعيل عامل المقهى فسار في الشوارع » كان يمشي بتناقل ويحاول ان يعرف سر فرحته بمنتصف الليل . منتصف الليل يعني سليمة ، يعني النهاية المنطقية التي ارادها البطل لنفسه ، لقد برز وجهه الآخر مدلى بأفانية .

ونحن لا نكتشف معنى للمجنس في قصة التكرلى ، ولا تفسيراً لأزمة الجنس فيها ، ولا علاجاً لقضية الجنس عند الاجيال المعاصرة . أننا نكشف تحليلاً واعياً للطبيعة الانسانية في الفرد ، واحاطة شاملة بالعناصر المكونة لهذه الطبيعة ، ثم ابراز الجنس كعامل ايجابي يدفع الانسان . غير ان هذه القوة الدافعة تصطدم دائماً بالنماذج التي تعيش حياتها في غيبوبة انحطاط العيش والوعي ، تصطدم بجذر سمكة تدين صاحبها وتخطط حياته بلون المأساة . مأساة التناقض المريع بين العناصر الأصلية في طبيعة الفرد ، وهي تستمد القليل من مأساة الوجود الانساني والكثير من مأساتنا الاجتماعية ثم تنفرد في النهاية بخصائص ذاتية مستقلة نابعة من ضراوة الصراع الذي لا يحل بين الانسان ونفسه وبين الانسان والمجتمع وبين الانسان والطبيعة . ولا يصبح الجنس على هذا النحو وحشاً ضارياً ، لانه لم يشكل في ذاته جرهر المأساة وان كان احد معالمها الرئيسية . ولقد استوحى المؤلف احداثه وشخصه وافكاره من زاوية واحدة من جانب واحد . فهو يجز شخصياته الى فلسفة وجودية يتكلم عليها ، ويجري الحذف والزيادة بمقتضى هذا المفهوم . واكثر ما تبدو هذه الاضافات في الجانب النفسي في القلق والتردد والارتعاش والخوف والاحجام والكآبة (ان حياة الانسان امام الموت شخص لا معنى له

ومى بدونه مأساة مريعة لا يطاق التفكير فيها - ماذا يمكننا ان نعمل امام الانسان الذي ستكونه ؟ انه مخلوقنا وهو الآله الذي لا يرد - وكذلك الماضي وما يهم حقاً هو - الان - واكننا لانتجرد وننفض الماضي او تلك العملية الآلية الحيوانية - انه محكوم ان يعيش وان يشاههم » . ويتميز المؤلف بأن صورة الفنية سواء كانت لشخصياته ام لاحدائه ، تحمل في رحمها معنى الشمول وسمو الواقع ، فهو يتوخى دائماً ان يكون التركيب العام للمصور منتزعا من صميم الواقع بحيث يمكننا ان نجد صنوا لشخصياته فى الشارع اذا ما نزلنا اليه ، فنحن نألف شخصيات مثل محمد جعفر واسماعيل خادم المقهى وأبو خليل الموظف القديم وعبيد الفراش وسيد هاشم المرابي وام سليم صاحبة الدار التي تؤجر غرفها للنزلاء البسطاء وابنتها الرقيقة سليمة .

ومعظم شخصيات التكرل مستديرة بمعنى انه يستطيع ان يعطينا كل جوانب هذه الشخصيات ، وكل ما تحمل من آراء وافكار تلزمها على الدخول فى صراع مع الوجدان والمجتمع . فقد رفض - محمد جعفر - مثلاً ان يموت كالابله مع زوجته العمياء رغم ان عماها كان بسببه ، ورفض ان ينقذ الرجل الذي يحتضر، ورفض ان يستمتع الى نصائح اسماعيل ، ورفض كل شيء الا نفسه .

وشخصيات الكاتب معذبة فى حياتها لا تلقى الا ما يؤذي ، وما يهاكس الرغبات والآراء ، ولا تلتفت اليها الحياة بعين ولا تكاد تشعر بوجودها ولا تشعر بأن لها حقاً فى العناية والرعاية ، ان اصحاب هذه الشخصيات ضائعون شاعرون بهذا الضياع ، ويبدو عليهم انهم يبحثون

عن سر ما يلقون وكثيراً ما سألوا انفسهم ولجوا في السؤال ، ولا يريدون
السؤال الا جهلاً وقلقاً ، ولكنهم مع ذلك مواظبون مواصون ما هم
عليه من خلق وما هم عليه من ضياع وقلق (٦٢) .

وتصوير الشخصيات السلبية امر صعب ، ويقضي بالقصة ان تكون
باعثة للمسخط على الحياة مشبذة لهم قارئها فضلاً عن ان مثل هذه
الشخصيات لا يمكن ان تكون محور عمل فني ناجح اذ انها لضعفها
لا تخلق صراعاً قوياً بين ارادات مختلفة فتجىء الرواية فافترق لا حياة
فيها خالية من ذلك العنصر الذي يثير القارئ ويهز عواطفه عاجزة
عن ان تخلق فيه من التعاطف مع بعض شخصيات الرواية ما يفتح
وعيه الباطن لما يريد ان يلقى القاص اليه من ايماءات وهكذا تفشل
مثل هذه الروايات من الناحيتين الاجتماعية والفنية معا (٦٣) .

الا ان المؤلف نجح في ان يبعث فينا امتعاضاً من شخصية (محمد
جعفر) وتبرماً بها . ثم اوضح لنا الجانب انساني غير السلبي في شخصيته
بعد ان هجر زوجته ، وعاد ليعاشر سليمة زوجة سيد هاشم نزيله في
الدار . وليس هذا الموقف ايجابياً في الحقيقة بل سلبيته من نوع آخر
الا ان الضياع الواقع فيه محمد جعفر وعمى زوجته يدفعنا الى
التعاطف معه .

وقد رسم المؤلف شخصياته بطريقة عملية موضوعية ، توازن تماماً
بين النمو الداخلي والخارجي للشخصية وخاصة شخصية محمد جعفر فقد
اخذ بعض الملامح الخارجية ليتكىء عليها في رسم الملامح الداخلية

(٦٢) انظر على جواد الطاهر (في القصص العراقية المعاصرة) في ٢٧ ، ٣٠

(٦٣) الدكتور عبد القادر القط (في الادب العصري المعاصر) المقدمة .

وتحليل العواطف والاحساسات الخفية الكامنة في العقل الباطن ، الذي استغرق مساحات كبيرة من الرواية .

وهناك عنصر فني هام في القصة ساهم في كشف الشخصيات وتصويرها بطريقة ناجحة ، وهذا العنصر هو استخدام الكاتب لما يسمى بوجهة النظر الشخصية . فالكاتب ينظر بعيون اشخاصه . ويفكر برؤوسهم . ويحس بحواسهم في الوصف والصورة واللغة . فمحمد جعفر يذهب الى سيد هاشم لاقتراض مال منه يعينه على مصروفات ولادة زوجته . ولكن « ماذا يبقى لهذا الانسان لو انتزعت عنه كل امواله كل آلاف الدنانير وحجج الدور والكومبيالات التي يملكها ؟ سيبقى له غذاؤه الذي لا يدفع له ثمناً قط وستبقى له ملابسه التي يأخذها من اقربائه واصدقائه ولكنه لا بد ان يموت . لا يمكنه ان يحيا دون امواله رغم انها لا تدخل في حياته لقد فضل ان يفقد بصره على ان يصرف فائض سنة على مداواة عينيه ولكن اني هذا معنى ما ؟ » (٦٤) .

وهو يجيد خلقه لشخصه للمتناسب في الانفعال والتوازن في المشاعر والاحساسات . ان الشخصية في الادب قوامها شروط الامكان لاشروط الوجود ، ومن هنا كان مطلب قاعدة الفن الشخص الحية الممتازة لا النماذج العادية ، ومن هنا الجمال الفني في الرواية . وفن الكاتب في عرض شخصه ان يعرفنا بالنماذج التي يخلقها من طرق تفكيرها ومناهج عملها وبذوات روحها ، ويخلق شخصه ويتخيلها دون شرحها او تحليلها وهو يترك لذهن القارئ الشرح او التحليل من مجموع الاعمال التي يقوم بها الاشخاص والافكار التي يديرها على السنتهم والحوار الذي

يجريه على افواههم .

وقد بنى المؤلف القصة بطريقة هندسية ووظيفية محضة . فكل ما يذكر فيها من افكار وآراء وعادات وملامح الشخصيات يؤدي وظيفة معينة خاصة به . وهذه الوظائف الصغيرة مهندسة كلياً بحيث تخدم الهدف العام للرواية في نفس الوقت الذي تؤدي فيه وظائفها العادية بالنسبة للحادثه او المناسبة التي ذكرت لها مع الانسجام التام بين شكل الرواية وموضوعها ، وبراعة الكاتب في انتقاء الازمات الفنية والخلقية لخدمة اهدافه .

ولا يطفى نسيج القصة عند التكرار على بنائها ، فالحوار والوصف والتراكيب والتعبير كل ذلك يأتي بنسبة معينة متوازنة . وتعتمد طريقته على تقبل حبكة بسيطة الخطوط ولكنها يستعملها بطريقة انطباعية تجعله يمسك بأهداب كل الدقائق التي تسير الرواية لا في ترتيب منطقي ، ولكن في الطريقة التي تتدفق بها على عقلية شخوص الرواية والرواية على هذا النحو تكاد تصبح حديثاً يدور في خاطر الشخوص ، واذا كانت قد احتفظت بتماسك كيانها فذلك لأن المؤلف قد احتفظ بالموضوع الرئيسي بها ، وسار به في نظام بديع . ولقد ساعدت دقة ملاحظته على ملاحظة كل هذه الحالات النفسية التي تلمع وتختفي مراعاة في اثاره هذه العلاقات الانسانية التي لم تدرك من قبل .

وقد اعجب المؤلف بأسلوب التداعي وتبناه في منهجه ، حتى لتبدو روايته سلسلة من الخواطر وسيما من المونولوج الداخلي . انه ليحكم الوعي في اللاوعي فلا يدع الزمام يفلت من يده (٦٥) . وان افلت

مرة وابتعد عن البداية واضاع على القاريء معالم الطريق فانه لا يفلت اكثر من المرة والمرتين (٦٦) وهو يجيد المنولوج من حيث هو فن مطلق (٦٧) كما يضمن لروايته التهويق اللازم ليمدها بالنشاط والحيوية فيلجأ الى الجنس كعنصر مهم ، الا ان الكاتب يستخدمه بنزاهة وشرف فهو لا يعرى جساد النساء امامنا .

وشيء آخر جدير بالاهتمام في هذه الرواية ، ذلك ان تحديده الواضح للمظروف والشخصيات والجو النفسى يخاق بالضرورة احداثاً خاصة لا يمكن تواجدها الا في عمل ادبي بعينه ، فاذا اعتبرنا العلاقات الجنسية احدى العلاقات الاجتماعية مثل العلاقة بين محمد جعفر وسليمة ، نجد انها تولدت تلقائياً وبطريقة ذاتية في صميم البناء الروائى حيث اصبحت هذه الاحداث في خدمة المضمون الأشمل لهذا البناء ، ولكننا نشعر بفراغ وتباطؤ في السير الدرامى لو ان هذه الحادثة اوتلك نزع من مكانها .

فأسلوب الرواية يستمد اكثر صفاته من مزاج المؤلف وطباعه ، فلا هو جاف قاس ولا هو لين ضعيف ولا هو مزخرف منمق متكلف . انه اسلوب مركز خفيف النبض والكنه يغرى بالمتابعة ، يوازن فيه الكاتب بين الثقل والحرارة العاطفية ، وبين الشاعرية والتجريد وهو اسلوب واقعي عميق .

وقد كان المؤلف معنياً بالكلمات ودلالاتها البعيدة وحركة الاسلوب وسعه اللوحة ، وتناسب الخطوط والالوان ، وهو في عنايته بدلالات الكلمات يبذل قصارى الجهد في اختيار الكلمة والاسلوب ودقة الاحساس تمكنه ان يمس اعماق الاشياء ، فنجد يصفها في صور بما يناسبها في

(٦٦) الوجه الآخر ص ٥٣ .

(٦٧) على الجواد الطاهر ، في القصص العراقية المعاصرة ص ٣٣ .

هدوء اوصخب وفي تناسب واحكام في دقيق ولغة المؤلف في مجموعها سليمة ، وجعله سليمة بل انها تكاد تستحيل شعرآ في بعض الاحيان وأننا لنحس بالايقاع الموسيقى والقصد الى هذا الايقاع هنا وهناك (٦٨) (ثم تركها بفتة- افزته كل هذه الاعمال ، شعر بتخاذل وارتجاف ، ترامت على الحائط ورامها . واخفضت رأسها الى الارض فانسدل شعرها على وجهها واخفاه . لبث يراقبها خلال الظلام الشفاف لم يصدر منها صوت ما ، وبقيت تحت السماء السوداء ، كحيوانين جريحين يخشيان الحركة . كان ذهواه اقوى من الاعياء الذي يهد جسده ، رآها تعتدل في وقفتهما ثم تساب جنبه كالشبح الخائف لم يلمح وجهها الا في لحظة خاطفة على الضوء الباهت بدت له تقاسيمها يجعلها انطباع مرير بالالم والذل كالطفل البريء يعذب دون ان يعلم السبب في ذلك وشم نفخة خفيفة من عطرها الساذج قبل ان تختفي في الظلام سمعها تفتح باب غرفتهم وتغلقها دون ضجة وكانت الدار ساكنة والنجوم تخفق بصمت في سمائها البارية) (٦٩) . والمؤلف يعني بلغته وتقويمها تغيب عنه اشياء سببها خارج عن نطاق تكوينه الادبي ، وذلك انه لم يدرس اللغة العربية دراسة المتخصص ولهذا تفوته بين الحين والحين كلمة هنا واعراب واملاء هناك (٧٠) .

(٦٨) الوجه الاخر ص ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ .

(٦٩) الوجه الاخر ص ١٥٤ .

(٧٠) الوجه الاخر ص ٨٨ تمتلا ٩٢ سئل الملاحظة ، ٩٥ ضالة ، ١٠١ يختبأ ١١٣ ورائهما ١٢١ ردائها ١٦٨ انكائتها ١٦٩ اشمز ١٥٣ فاجئته والصحيح تمتلي ، سأل ، ضآله . يختبي ، وراهما ، انكائتها ، اشماز ،

اما حوار الكاتب فيتلاءم والمؤتف في الرواية - وان غلبت عليه العامة ، وكان الافضل الاقلال منها قدر الامكان . وهو يبينه في ذبذبة نفسية وايحاءية ومرونة طبيعة ، ويفصله في جمل معبرة على قدر الشخصيات ، ويلجأ اليه في الوقت المناسب ، ويقربه في الفاظه من الاستعمال السهل . فالحوار بسيط يأتي في مكانه ليتقدم بالحدث وبالشخصية الى امام ، ويقرب فيه من الاستعمال العادي وبجملة سهلة . وقد نجح التكرلي في تصويره الدقيق للاحاساسات العميقة لدى شخصه من خلال المونولوج الداخلي ، وفي رسم حس انساني متنفض ، وهو في الغالب حس شاك متالم معذب . وحوار التكرلي اغلبه عامي مرتبط بطبيعة اللهجة الشائعة في بغداد حيث تدور احداث الرواية . ويعمد الكاتب احياناً الى وضع كلمات عامة في نسيج الرواية ، وهذا مخالف للقواعد الفنية المتعارف عليها (٧١).

ظهرت قصة غائب طعمه فرمان (النخلة والجيران) عام ١٩٦٥ بعد ان صدرت له مجموعتان قصصيتان (حصيد الوحي) ١٩٥٣ ، و (ولود آخر) ١٩٦١ . ويدل تطور المؤلف من كتابة القصة القصيرة الى كتابة الرواية على وضوح الفكرة لديه ، واتصال الموضوع بالحياة القومية حيث يعبر عن مقومات مجتمعه ومقومات الحياة المعاصرة تعبيراً يدفعه الى الابتكار

فاجأته ، ص ١٠٥ ازادها ، ٦٠ ، ٨٨ ، ٩٨ ، ١٢٢ كانت بطنها ١٧٢ مستنفذ ١٩٤ احد سيارات ١٢٧ احدى مظاهر ١٤١ التعميس ١٥١ ، ١٥٤ اخفض والصحيح زادها ، كان بطنها ، مستنفذ ، احدى ، احد ، التعس ، خفض ، وانظر علي جواد الطاهر (المصدر السابق) ص ٣٤ .
(٧١) الوجه الآخر ص ٨٨ .

والاصالة والانطلاق .

وتأثرت روايته بالنزعة الانسانية رغم اتجاه المؤلف نحو البيئة المحلية ، واتخاذها منبعاً يستمد منه مادة روايته ، فكان صادق التعبير عن مجتمعه وعن القيم الانسانية صريحاً بينه وبين نفسه في نقل ما يجري في البيئة المحلية من وقائع واحداث وشخوص وحوار ، منتقياً شخوصه من عالم لا يبعد عن محيط المدينة العراقية ، وقد ذهب البعض الى القول بأنها ليست رواية في الواقع ، بل هي سجل اجتماعي اتخذ شكل السرد القصصي لبلوغ اهدافه ، والا فإين البطل فيها ، واين الحادثة الكبرى التي يندفع اليها تيار السرد ، والتي تتأزم عندها الامور ثم تسير الى انفراج تعقبه النهاية ، ويرى هذا الفريق انها ليست رواية بالمعنى المفهوم ، لانها عدة قصص وهذا يسلبها الشكل الفني المنسق ، ويضعف من تأثيرها الفكري والفني على القراء (٧٢) .

والحقيقة أن بطل الرواية الطبقة المنسحقة في العراق في سنوات الحرب العالمية الثانية ، والحادثة الرئيسية فيها هي الحرب وما تركت من اثر مادي وفكري واجتماعي على هذه الطبقة .

تسجل (النخلة والجيران) احداث هذه الحقبة تسجيلاً فنياً ، قبل ان يكون اجتماعياً . انها تتأمل هذا الذي يحدث ، وتناول به وتتخذ منه موقفاً ، ولا تكتفي بأن تسرده وتقرره ووسيلة هذا التسجيل شخصيات انسانية نجدها فعلاً في مجتمعا ولكنها دخلت لاواعية الفنان وواعيته على السواء ، فأصابها من التغيير والتبديل والحذف والاضافة ما جعل منها نماذج انسانية وفنية في وقت واحد ، اي اشخاصاً حقيقية بين

(٧٢) دار نقاش كثير حول هذه الرواية في الصحف العراقية .

يمتون للمواقع بعيد من الروابط .

ولا تكتفي الرواية بتسجيل الحوادث ولا حتى بمجرد تصويرها
تصويراً فنياً لأنها ليست مجرد عرض لآثر الحرب على الطبقة المنسحقة
من الشعب العراقي ، ولكنها تبيان لما في هذه الحياة من متناقضات وازمات
وقطورات ، ويشوب هذا التصوير المتأثر بالأفكار الحديثة المطالبة بالإصلاح
الاجتماعي شيء من التمرد يظهر في اظهار عيوبها وأصولها الكامنة ،
على ان العرض الفني يقوم على اساس التصوير الحي للمجال والحوادث
والشخصيات وحدة فنية منسجمة ، وفي تطور محكم الحلقات يحبى فيه
كل شيء من جهة التطور الرئيسي للموضوع وتنحو هذه الرواية منحنى
الواقعية النقدية التي تضع الموقف الى جوار الصورة الفنية ، وترى
المستقبل الواحد وراء نماذج الحاضر المتغير والماضي المسرع الى المغيب .
والواقعية النقدية بصميم طبيعتها اقرب الى التشاؤم ، ولكن من
الخطأ النظر الى هذه الرواية على انها ادب حزين ، إنها مشحونة
بسخرية اصيلة فمن يؤمن بتفاوت الانسان وصموده وبسالته في قهر
الصعاب التي تواجهه وبقدرته على التطور وعلى تحسين احواله المعيشية ،
يلجأ الى السخرية ليخفف من حدة المأساة بابتسامة حكيمة مشرقة
طبيعية وبطريقة غير مباشرة . مثل هذا الحوار الذي يدور بين بعض
شخصيات الرواية عن السرق السوداء ، « فسألت اسومة العرجة ،
فقال رديفة زوجة حمادي العربي مظهرة معرفتها بالاسواق :

كل الاسواك سودة يعني العوينة الي مليان سيان اسود خايس هم
يسموه سوك ابيض منين يجيله البياض ؟ .

قال صاحب : السوك السوده التي يتاجرون بيها بالخفية .

فعادت رديفة تعترض : وايش واحد يتاجر بالخفية ؟ يعني عندك بضاعة هسه وماحد يشتريها منك . . عيني الناس من الماكو تشتري الكحل من العين » (٧٣) .

وقد شملت هذه الرواية وجوهاً من الحياة ، حسنة وسيئة وواجهتها تحت اضواء مختلفة ومن زوايا مختلفة . وقد عالجت شؤون حي قديم من احياء بغداد بعطف ، وحورت غرائز سكانه الخلقية والاجتماعية بهيئة جمالية ، دون ان تظهر وجهة نظرها في الحياة والمجتمع بطريقة الوعظ المباشر والدعاية المكشوفة . ولكنها تستنتج بوجه عام في اتجاهها لاختيار الحوادث والاحداث وتنسيقها وتطويرها وفي خلق الشخصيات وتفسيرها ، والقاء الاضواء الكاشفة التي توضح الجانب الخفي منها .

وهي رواية جماعية تتكون من احداث عديدة يجزئها المؤلف الى اقسام وفصول ، ولكنه يجيد تحريك تلك المجموعات من البشر التي تتقدم كلها نحو غاية واحدة ، فتلتقي وتتعارض ثم تتقابل ثانياً في اللحظة المناسبة . وهي رشيقة لا يترث فيها السرد الا ليلقي ضوءاً على شخصية من الشخصيات أو موقف من المواقف . وقد تدبر المؤلف كل شاردة وواردة واحكم عرضها وافاد منها . ويجعلها الوصف الدقيق المتواضع وبساطة الالوان والفة الامكنة والمهجات ، شبيهة بالملوحات الفنية ، فما ان يلقي المؤلف نظرة فاحصة الى المكان حتى يصفه وهو يريد ابراز هذه المشاهد بوضوح تام تترك في نفوس القراء ذكريات رقيقة ترتبط بها سلسلة احداث قصصية ، كما ساعدنا على استحضار مختلف المظاهر التي تتلخص فيها منطقة الرؤية من بغداد . . ولناخذ

نموزجاً له يصف فيه مقهى من مقاهي بغداد :

« كانت عيناه تدمعان من الدخان وكأنه يجاس في المقهى لأول مرة . . وكانت كل الوجوه حوله مسمرة على قطع الدومينو الحديدية (مغناطيس) قال لنفسه عبالك (مغناطيس) ما عدهم بالدنيا الا الدومنة . وتذكر كيف كان صاحب له حين كان يقضي الساعات الطوال منكباً مثلهم على الطاولة الصغيرة السوداء هذا مرض هذا ابتلاء هذا ادمان مثل شرب الترياك » (٧٤) .

وهو لا يكتفي بوصف السكان كما يراه هو بل كما تراه الشخصية ايضاً (٧٥) .

وقبل ان نعرض لدراسة البناء الفني في - النخلة والجيران - لا بد من استعراض الاحداث في الرواية وشخصها ، على الرغم من أن احداثها تستعصي على التلخيص لتشعبها وكثرة زواياها .

(سليمة الخبازة أو أم حسين) تقطن هي وحسين في الدار التي تركها لهما (علاوي) بعد وفاته وتشترك مع هذه الدار في جدار واحد طولة (الحاج احمد اغا) الذي اصبح من اثرىء الحرب . الى جانب الطولة خان كبير تقطنه مجموعة من البشر (حمادي) العربي وزوجه رديفة ، ورزوقي الفراش وزوجته (خيرية) وفي الغرفة الثالثة تقطن (فتحية) بائنة الباقلاء . وتحتل الغرفة الرابعة ثلاث اخوات آنسات . اما (مرهون) السائس فيشارك الخيول مسكنها في الطولة . ويضع

(٧٤) النخلة والجيران ص ٢١٢ .

(٧٥) انظر شجاع مسلم العاني (النخلة والجيران) جريدة الجمهورية العراقية لعام ١٩٦٥ .

(حسين) يده في جيوب بنظلمونه ويذرع الشوارع والارصفة ويفزو السينمات بعد ان يتزود كل يوم بربع دينار من (صاحب ابو البايסקلات) من الثروة القليلة التي تركها والده المرحوم الى جانب درهم تدفعه له سليمة (زوجة ابيه) يومياً . وقد تحضى (تماضر) صديقتها بشيء من هذه الدراهم واضطرت (تماضر) للهروب من اهلها بسبب محاولتهم ارغامها على الزواج من تاجر بعمر ابيها ، وسكنها حسن عند (الخالة نشمية) التي تشابه مآساتها مأساة تماضر وسقطت مثلها لتحترف السمسة وتتخذ من نزيلتها (تماضر) سلعة تؤجرها لمن يملك مالا اكثر من (عمران) البستاني .

اما (مصطفى الدلال) فهو شخصية تسليقية يحاول ان يصبح من اثرياء الحرب فيغري (سليمة الخبازة) بالاشتراك في فرن للخبز فتدفع له ما ادخرته يبدها في السكاير الاجنبية والخمر . ويعود من جديد ليغامر محاولا ارتقاء السلم الى طبقة اجتماعية ارفع من طبقته . فسليمة (كنز يدها صنعة والله يعلم) جم دينار جوه راسها) بالاضافة الى انها تملك داراً . وتوافق سليمة ، الا ان حسين يبيع الدار فينتهي مصطفى الا اننا لا نحس طابعاً مادياً ، يتميز به هذه الشخصية لانه لا ينتمي الى الطبقة البرجوازية ولا الى الطبقة العاملة حتى نفهم من استهتاره انهياراً لطبقته ولعدم محاولة الكاتب تطوير شخصيته بحيث يجعلنا نبصر حداً لمأساة الواقع المنفجع من خلال وعي الشخصية نفسها .

وعلى العكس من مصطفى شخصية (خيرية) ، وهي ترمز الى هؤلاء الذين لا يملكون وعياً ناضجاً يفتح عبونهم على واقعهم الاجتماعي ، ويجعلهم يقفون على حقيقة الصراع الطبقي الدائر في المجتمع . وتنحاز اخيراً

الى الشعب بعد ان ينقل زوجها مرزوق من فراش المدير الى فراش
الاوراق (٧٦) .

ويقوم العمل الروائي فيها على الرصد القطاعي الحي لفئة من
الطبقة الكادحة ، وقد تساوى السرد والتحليل في هذا الرصد القطاعي
في فصول القصة حتى النهاية .

ويصمد المؤلف الى استعمال الالوان ذات الدلالات الواضحة البعيدة
عن الغموض والقتامة ، وهو يعني من وراء ذلك نقل حدث بحسب
ومن ثم الدلالة على الشخصية التي تعيش في ثنايا الحدث .

ويتم التناول الفني في الصورة عند لقاء اللون الواضح المشرق على
الحدث المثقل بأخلاق الافراد والمجتمع ، وبمفاهيم اجتماعية وجماعية .
وتبرز الصورة من ثم مكتملة الابعاد تامة النمو الفني وقد ادت
الدلالات الأخلاقية التي اراد ان ينقلها المؤلف بأمانة واخلاص وبساطة
ما اريد منها .

(فمصطفى الدلال) ذو شخصية مزدوجة ، يؤدي الفرائض الدينية
ويحفظ القرآن عن ظهر قلب حين يجلس ليشرب الخمر ، ويسرق ما
ادخرته امرأة فقيرة مثل (سليمة الخبازة) طول حياتها ليصرفها على
ملاذه ، ثم يتزوجها لانها تملك بيتاً ورثته عن زوجها (علوان)
صديقه . ثم يبيع البيت وينهار مصطفى كما انهارت طبقة المتسقين
بعد انتهاء الحرب .

و (حمادي العربي) شخصية متفائلة ، يحب لعمله متفان فيه
يحب خيوله ويتعاطف معها اكثر مما يحب ويتعاطف مع اي انسان

(٧٦) انظر شجاع مسلم العاني (المصدر السابق) .

آخر . يناغي حصانه وكأنه يناغي حبيبته ، بل يحبه ويخاف عليه اكثر
من زوجته نفسها . فحين يرتفع صياح زوجة (رديفة) تنذره بالطوفان
الذي ستحدثه (خيرية) من جراء رميها لماء الغسيل في الدار ليخاطبها .
دون ان يلتفت اليها (تغركين بالجهنم لتخوفين الخيل) . وحين يشفى من
مرضه يقول لزوجته « - رديفة تعرفين شمشتهبي ؟

- شمشتهبي ؟

- حصان .

- يا حصان اكثر ؟

- رديفة انت تعرفين اشلون مزينة تطلع جريق جراق جرقوق ،
جريق جراق جرقوق ، وانت راكبة وراء وبيدج الرشمة وين متجريه
يجي بيدج ، هاي يامريه هييجي » (٧٧) .

ونلاحظ في هذا الحشد الكبير للشخصيات والاحداث ان الاحداث
والموضوعات عادية وليست واقعية فحسب انها موضوعات الناس العاديين
من الطبقات الكادحة والمحرومة يعالجها ببساطة متناهية وجرأة كبيرة .
ويظهر فيها التمرد ، تمرد (صاحب) على الانكليز وعلى الحكومة الموالية
للأنكليز (حكومة جايفة مثل طولة حاج احمد اغا تريد لها شلع من
الاساس) ، وتمرد حسين على حياته الضائعة التافهة . والى جانب التمرد
تلقى السخرية والنقد الصريح نقد لمظاهر المجتمع العراقي كتمتاليد
الزواج والجلوس في المقاهي ووسائل العلاج الرديئة في المستشفيات (٧٨)

(٧٧) انظر شجاع مسلم العاني (المصدر السابق) .

(٧٨) غائب طعمة فرمان (النخلة والجيران) ١٢٢ - ١٢٣ ، ٢١٢ ، ١٦١ -

وعندما يلامس المؤلف الاطار الاجتماعي له والحالة الانسانية التي فيه تشييع الروح الفكهة الساخرة او الناقدة احياناً في لقطاته او تحليلاته ، ومن حيث ان نطاق تأليفه لا يعدو واقعاً اجتماعياً للناس العاديين ، يتفاعل معه بانسانية متفائلة .

وهو يستلهم من واقع الانسان العادي في المجتمع رسم الجوانب المظلمة في الحياة وتعريتها ، والهزء من التناقض فيها ، الا انها مع ذلك تشع بالتفاؤل والامل وحب الحياة . والهدف الغني الكبير الذي رمى اليه المؤلف من وراء ذلك ، اعادة احياء دنيا كاملة من الناس بأفكارها وآرائها واحساساتها وتميزاتها ومغامراتها ومزاياها ونواقصها .

وقد بنى الرواية بطريقة هندسية ووظيفية محضة . فكل ما يذكر فيها من افكار وآراء وعادات وملامح للشخصيات يؤدي وظيفة معينة خاصة به ، وهذه الوظائف الصغيرة مهندسة كلها بحيث تخدم الهدف العام لها ، في نفس الوقت الذي تؤدي فيه وظيفتها العادية ، بالنسبة للحادثة او المناسبة التي ذكرت لها مع الانسجام التام بين شكل الرواية وموضوعها ، وبراعة الكاتب في انتقاء الازمات الفنية والخلقية لخدمة اهدافه .

ويلجأ الكاتب الى وسائل فنية يضمن بها التشويق اللازم ويكسب بها روايته النشاط والحياة ، فهو يلجأ الى الجنس مثلاً كعنصر تشويق مهم ، الا ان الكاتب يستخدمه بنزاهة ، فهو لا يعري اجساد النساء امامنا

بل يكفي بأحاديث تمس الجنس من السطح كأحاديث (الخالة نشمية) والى جانب الجنس يستخدم الكاتب السياسة والسخرية ، ويدل استخدامه للسياسة على ذكاء خالص ، وعلى معرفة لجمهوره القارىء ولا سيما الجمهور العراقي معرفة تامة .

ويلجأ الكاتب كذلك الى سرعة التنقل بين حوادث الرواية واشخاصها ، تجنباً لاملال القارىء ، فيبدأ الفصل الواحد بطريقة غامضة لا نعرف منها مباشرة اي شخصية يتحدث عنها الكاتب . او يختم الفصل بحادثة لم تستوف تطويراً وحكاية ليظل اهتمامنا بها مشبوباً .

وهو يلجأ ايضاً الى عنصر تشويق آخر ، فالفصل الثامن عشر هو الفصل الوحيد الذي يستخدم فيه الكاتب اسلوب الانتقال السريع من مكان الى مكان في فصل واحد ، فهو ينقلنا من جسر بغداد حيث صور لنا زبائن بائع (الفشافيش) ، الى شارع الرشيد ، والى الحى القديم الذي يسكنه حسين ، ثم الى دار سليمة الخبازة (٨٠) .

وتتنوع الشخصيات تنوعاً طريفاً كمرهون السائس وحمادي العربي وزوجته رديفة وزوجة مرزوق (الحكومة الله يسلمها) ومصطفى وعجمود ابن الحولة الشقي وصاحب مؤجر الدراجات المناضل وسليمة الخبازة . الى آخر حشد كبير من الشخصيات .

ويشيع في الرواية الوصف التفصيلي لكثير من العادات التي اندثرت أو كادت ، والتي تربطنا بها روابط عاطفية وفكرية كثيرة ، كالافراح والتزاور والجلوس في الزقاق الضيق للحديث ، ومقهى (الطرف) واشقياء المحلة الى آخره ، ولناخذ هذا الحديث بين سليمة الخبازة ومصطفى على

(٨٠) شجاع مسلم (المصدر السابق) .

سبيل المثال (- وشوفي قبل ما جان يكدر يطلع بالليل ، حتى يطلع له جني من طولة الحاج احمد اغا جان انت الناس تشيل بجيوبها مخايط للطنطل والحراية اكثر من الملائكة في بيت مسكون ، وهمة ما شاء الله طفل ما يخاف ويجي نص الليل اشكد عمره محصن بالله ؟
- نزول عليه شمدريني يمكن عشرين .

- يعني بعده صغير سليمة خاتون الدنيا وتتغير تركض ركض ولازم واحد يلحك بيها . فأبوه لم ير بغداد جان يروح لسلمان باك على دابة » (٨١) .

وشيء آخر جدير بالاهتمام في هذه الرواية ذلك ان تحديده الواضح للظروف والشخصيات والجو النفسي يخلق بالضرورة احداثاً خاصة لا يمكن وجودها الا في عمل ادبي بعينه ، فاذا اعتبرنا العلاقة الجنسية احدى العلاقات الاجتماعية مثل العلاقة بين حسين وتماضر ، رأيناها قد تولدت تلقائياً وبطريقة ذاتية في صحيح البناء القصصي ، بحيث اصبحت هذه الاحداث في خدمة المضمون الاشمل لهذا البناء ولحكنا نشعر بفراغ وتباطؤ في السير الدرامي لو ان هذه الحادثة أو تلك نزعنا من مكانها .

وقد نجح الكاتب في خلق الجو القصصي الذي لا يلبث ان يحتوي القارئ ، يخلقه بفن وقصد وكأنه لا يتفطن ولا يقصد يخلقه ويلقي بك في مساربته وفي وقائعه فتبصر سليمة الخبازة التي اتعبتها الحياة ، ومحمود بن الحولة الذي اتعب الحياة ، ومصطفى الوصولي التسلقي ، وحسين الذي يعيش على هامش الحياة ، وغيرهم من الشخصيات .

ويتمتع المؤلف بمواهب عدة من بينها قدرته على خلق حوادث
حية ، واتصافه بالصبر والافادة عندما يعرض اشخصياته وهي تندرج في
التفاعل بعضها مع بعض ، ومعرفة المجتمع العراقي تلك المعرفة التي
جعلت تفاصيل احداثه تنبض بالحياة فهي تفاصيل جميلة جذابة .
على ذلك كله لم ينقذ الرواية من الفضول القارىء يحس بالافتعال والجفاف
في سخرية حسين من الفلاح - الشروكي - الذي يذهب الى معسكرات
الانكليز ليجد له عملا . والفصل الخاص بحفلة الويسكي التي تقيمها
سليمة الخبازة بعيد عن الصدق الفني القائم على الاقناع السايكولوجي
كما لم يمد الكاتب جيداً لذلك الانقلاب الخطير في موقف خيرية من
الحكومة (٨٢).

وتحتشد في روايته نماذج عديدة من الطبقة العاملة ومن هم ادنى
منهم من المطحونين والضائعين ، مثل (محمود بن الحولة) و (حسين
علوان) و (تمضر) صديقة حسين و (نشمية) السمسارة .
ويبدو ان المؤلف يعني بعمق واقع مجتمعه وما فيه من تناقضات ،
تؤدي - بالبداية الى الصراع الطبقي ، المتمثل في صراع (مرهون)
السايس (وحمادي) العربي من محمد اغا صاحب الطاولة التي هدمها
ليحصل على مبالغ كبير من المال ، وليحولها الى مصنع للسكاير ، وبعد
ان فتحت عليه الحرب باب الثروة ، ونضال (صاحب) ضد الاستعمار
وضد مشردي الاستعمار من الاشقياء امثال محمود بن الحولة الذي
يعيش طفلياً على مجتمعه .

وقد ذهب المؤلف الى ما وراء الصراع الطبقي بما يسمى بالتطلعات

الطبقية التي نجدها عند مصطفى الذي يخطط للزواج من سليمة الخبازة لأنها تملك داراً ورثتها عن زوجها ويعدها مصطفى (كنز بيدها صنعه الله ليعلم جم دينار جو راسها) ، وكذلك تستجيب سليمة الخبازة لطلب مصطفى فتتشيء فرناً كهربائياً لتسنع الخبز بالاشتراك مع (الارمنى) وتتزوج من مصطفى ظناً منها انه غني .

ويتميز الكاتب بأن صورته الفنية سواء كانت لشخصياته ام لاهدائه تحمل في ثناياها معنى الشمول ، فهو يتوخى دائماً ان يكون التركيب العام للصورة منتزعا من صميم الواقع ، بحيث يمكننا ان نجد صنوا لا بطلاله في الشارع اذا ما نزلنا اليه ونألف نحن حمادى العربجي ومرهون السائس وحسن بن علاوي وصاحب (ابو البايסקلات) ومحمود بن الحولة وسليمة الخبازة وغيرهم .

ومعظم شخصياته شخصيات مستديرة ، بمعنى انه يستطيع ان يعطينا كل جوانب هذه الشخصيات وبكل ما تحمل من آراء وافكار تلزمها على الدخول في صراع الوجدان والمجتمع .

وشخصية (حسين) شخصية سلبية (وتصوير الشخصيات السلبية امر صعب ، ويفضى بالرواية الى ان تكون باعثة للمحط على الحياة مشبقة لهم قارئها ، فضلا عن ان تلك الشخصيات لا يمكن ان تكون محور عمل فني ناجح اذ انها لضعفها لا تخلق صراعاً قوياً بين ارادات مختلفة فتجىء القصة فاترة لا حياة فيها خالية من ذلك العنصر القوي الذي يشير القارئ ويهز عواطفه عاجزة عن ان تخلق فيه من التعاطف مع بعض شخصيات القصة ما يفتح وعيه الباطن لما يريد ان يلقيه القاص اليه من ايحاءات ، وهكذا تفشل مثل هذه القصص من الناحيتين

الاجتماعية والفنية معاً» (٨٣) .

الا ان المؤلف نجح في ان يبعث فينا امتعاضاً من شخصية حسين وتبرماً منها ثم اوضح لنا الجانب الثاني ، غير السلبي في هذه الشخصية بعد مقتل صديقه (صاحب) . فشعوره بالضيق الذي سببه موت صاحبه واضطراره لبيع داره تلبية لرغبات تماضر المتزايدة ، بسبب من الحالة نشمية ، وفقده اخيراً لتماضر - كل ذلك يدفعه لقتل محمود بن الحولة (ظل شيء بالدنيا غير اني وسجيننة وتماضر وراح صاحب وراح الحوش وراح اني هم ارواح ذ لا على بختك) وليس هذا الموقف الحقيقية ايجابياً ، بل انه سلبي من نوع آخر (٨٤) . الا ان الضياع الذي يقع حسين فيه ، وموت (صاحب) يدفعنا للتعاطف معه ، فلم تكن السكن التي غرزها في رقبة الشقي محمود سوى ايدان بتحواله هو الى شقي . وفي الوقت الذي نرى فيه حسين يستغل زوجة ابيه ، ويأخذ منها المال الذي تكسبه بعرقها ، يصرف هذا المال على تماضر الفتاة التي ضيعها اهلها ، وتحولت الى بائعة للجسد . ويبعد المؤلف في كشف منابع الطيبة في نفس حسين عند ذهابه الى زوجة ابيه بعد بيعه للدار ، متوسلاً اليها ان ترجع اليه ثانية (ارجعي من اجل خاطر ابويه هالايام هوايه دا احلم بيه . وانفجرت باكية هذا البكاء المر الذي يغسل كل ضغينة من قلبه . قال وهو يتقدم نحوها : - لا تبجين والناس تستمع اسكتي - وطوقها بذراعه ولثم فوطتها - ما عندي بالدنيا غيرج) (٨٥) .

(٨٣) الدكتور عبد القادر القبط (في الادب المصري المعاصر) المقدمة .

(٨٤) انظر شجاع مسلم (المصدر السابق) .

(٨٥) النخلة والجيران ص ٢٧٠ .

وقد رسم المؤلف الشخصيات بطريقة عملية موضوعية ، توازن تماماً بين النمو الداخلى والخارجي للشخصية الواحدة . فمحمود بن الحولة « فقى مديد القامة هزيلها طويل الوجه والذراعين والساقين لا ينم مظهره عن قوة خاصة لولا عيناه الواسعتان الرقحتان وفكاه العنودان المتصلبان وحدث ابن الحولة بصاحب تحديقة طويلة هوجاء . . . واخيراً قطع ابن الحولة تحديقته الطويلة قائلاً وهو ينزل عتبة الدكان : زين آنى الك والتفت ابن الحولة الى صاحب ونظر في وجهه صامتاً ثم استدار بعدها وسار في الشارع المظلم يهز رأسه بوعيد » (٨٦) .

وتتميز هذه الشخصيات في حياتها الداخلية والخارجية وتعدد انواعها بتفرد كل منها بميزات واضحة محددة عن باقي الشخصيات كما تحمل الشخصيات دلالتها الفكرية والاجتماعية ، وتقرب من الفردية الانسانية والفردية الرامزة ، لانها بدت في ابعادها الثلاثة وتفاعلت مع الحدث كشخصية صاحب (ابو البايـ كلات) على سبيل المثال . فان موته على يدي الشقى ابن الحولة يرمز الى انتصار الفردية المتمردة على الروح الثورى ، وانتصار قوى الشر على قوى الخير ، ويرمز الى الضياع الاجتماعى لطبقة بأسرها .

وقد اهتم المؤلف بالملاح الداخلية لشخصياته ، واتكأ عليها في تحليل عواطف الشخصية واحساساتها الخفية الكامنة في العقل الباطن نفس اهتمامه بالملاح الخارجية ، فهو يصف (مصطفى) وصفاً خارجياً بقوله « افندي نحيل فوق رأسه الصغير سدارة وفي يده مسبحة . . عينيه الصغيرتين . . اخرج علبة سيجاير قصديرية صدئة وراح يلف له

سيكارة مدلياً سبحته في معصمه وبدالها رجلاً رزيناً مملوءاً حكمة ورواء بمسبحته الطويلة وباطراقة المتجهدين « (٧٨) ثم يكشف لنا المؤلف نواياه السيئة عن طريق الاستبطان ، بعد ان اعطانا مظهره الخارجى الدال على النفاق والرياء « هالدورة هم تغفلت ؟ هالدوره اعضها بسنوني اريد اطلع حك الرفسه والتسلبيه وكل سنين القهر ، بس عاد ديزي قهر صارلى عشرين سنه ادك وكل شىء ممحصل ، لا بيت ولا مريه ولا فلس جوه المنخده والدنيا مال فلوس . . صدك الى ما عنده فلس مايسوه فلس ومحد ينفع بالدنيا مثل متنفع الفلوس ومنو اغنى من الانكليز ، نص الدنيا الهم ويعيشون ناس من الملك ورئيس الوزراء وانت نازل الى سايق السيارة ، ظلت على ، اني المنكوب بنطروني ، ييزي قهر ، خل ادخل وياهم وجم واحد اغتنى منهم ، يا ماسووا بيوت « (٨٨)

وهناك عنصر فني هام في الرواية ساهم في كشف الشخصيات ، وتصويرها بطريقة ناجحة ، وهذا العنصر هو استخدام الكاتب لما يسمى (بوجهة النظر الشخصية) فالكاتب ينظر بعيون اشخاصه ويفكر برؤوسهم ويحس بحواسهم ، في الوصف والصورة واللغة السردية . فهو يتحدث عن سليمة الخبازة على سبيل المثال قائلاً « كان ذلك النهار طويلاً امري مرارتها . . والناس في ذلك اليوم أكلوا قلوبها » ويقول ايضاً « شافت الجسر الحديدي الذي لم يهتز ولم يتأرجح بها مثل جسر الكاظم وكانت السيارات رايعه جايه وشافت الصالحية وابو حصان فيصـل وركبت سيارة ام العانة » وحسين الذي تحتل السينما جزءاً كبيراً من حياته الفارغة ، « يرى وجهه في المرآة شاحباً مظلملاً مثل

لقطة قليل جهنمي » .

وتبدو شخصيات (فرمان) معذبة قلقاً لأنه يراها كذلك في الحياة وغالباً ما تنقسم حالة الادراك الانساني لشخصياته بالتوازي بين الافراد في السلبية (مرهون السايكس) والايجابية (صاحب ابو البايسكلات) والهدوء التام (سليمة الحبازة) والعنف (محمود ابن الحولة) وبين اقصى افاق البساطة البدائية (رديفه زوجة حمادي الحوذني) والتعقيد المغني (مصطفى) .

وهو لا يعرض هذه الحالات الذهنية دون هدف او قصد ، بل يدرك تمام الادراك مالها من تأثير على اسلوب الكتابة وايقاعها ومستواها . والاسلوب جزء لا يتجزأ مما يحاول المؤلف عرضه ، وبذلك تندر التشبيهات والاستعارات لانه يوضح حالة نفسية ما ، دون ان يعمد الى اثارها بالتمثيل والصور الكثيرة كما لاحظنا في تصوير انفعالات (مصطفى) . ويكثر من استعمال النعوت وافعال الصيرورة والتحول فتكاد اذا غابت عنك الشخصية فترة من الزمن لاتنفك عن الشعور بأنها مازالت تحيا في هذه الفترة وان لم تتصل بها (دس يده في جيبه واخرج عليه سكاير قصديرية صدئة وراح يلف له سيكارة مدلياً سبحته من معصمه ونقرات آلية صامتة ، سليمة الحبازة . . . واخرج مصطفى ساعته من جيبه وفتح غطاءها ونظر فيها عميلاً بقرصها نحو التنور ، ساعة تسعة الا عشرة . . . نعلانة ؟ قالت بصوت ناعس - لا عيني نوم الدجاج ؟ صمت وكأنه لم يسمعها ثم بدأ بداية اخرى - شو حنين ماكو ، نايم أمت له : هو يطلع من المغرب وما يجي الا نصف الليل » (٨٩) ونرى

بعد ذلك ان اسلوبه يشبه مجرى الحياة العادي .

اما الحوار فواقعي ينبع من الشخصية ذاتها ويكشف عنها ويحمل خصائصها، فقد التزم الكاتب في حوار حواره حدود الشخصية المرسومة فلم ينطقها الا بما يتلاءم معها . وقد ابانت الشخصيات عن ذوات نفوسها عن طريق الحوار ، سواء كان حديثاً مع شخصية اخرى او حديثاً داخلياً ولكن دون ان تعلمو تغمتها على مستوى الكلام العادي المألوف ، ويمتاز الكاتب ببراعته في خلق الجو من خلال الحوار ، ويظهر ذلك جلياً حينما يعرض المجموعات وهي تتحاور فيما بينهما ، فتجده يخلق جواً هاماً يغمر المجموعة كلها ولكنه في الوقت نفسه يحتفظ لكل فرد منها بجوه النفسي الخاص (٩٠) . فاذا ما قارنا بين الكلام الذي يصدر عن حسين او صاحب او مصطفى ار محمود بن الحولة لأحسنا بالفرق الكبير في تفكير شخص وشخص من خلال لمحات شعبية عراقية ، ورأينا ان كلام الذي يقوله مصطفى مثلاً لا تقوله سليمة الخبازة :

- هايزه ، اشتغل بالحرام .

- عجيب القرن بيه اجازة

- ويطلع الف صمونه في اليوم

- يطلع اكثر ، راح تشوفين بعينج

- واروح لذاك الصوب ؟ .

- منطقة الانكليز من الاول

(٩٠) يقول امرسون : ان الافصاح الواعي عن الفكر لفظاً او فعلاً لغاية ما هو فن ، بيدوان هذا قول صائب وهو يعادل ما قلناه آنفاً من ان الفن هو التعبير الواعي الموجه الذي يفرض عليه المرء ضبطاً وسداة . جبرا ابراهيم جبرا (الحرية والطوفان) ١٥٢ .

- خوش ، تشتغل للانكليز هالمرة

- وانت اش يجيبج عليهم ، الفلوس تجي لج حاضرة .

- ويكون حظي جبير ، واخلص من التنور» (٩١) .

ولكن المؤلف اسرف في الحوار ولم يستطيع ان يوازن بين

الحوار والوصف والحركة كما ينبغي (٩٢) . وكأنه نسي قول غوركي بأن

على القصصي ان يجعل ابطالة يعملون اكثر مما يتحدثون (٩٣) .

وقد استعمل الكاتب العامة في الحوار ، وتد اجاد في ذلك لان

اللغة عنصر مهم في حياة الشخصيات ووجودهم الواقعي ، الى جانب

خدمتها للاشارة والحركة ، كما استخدم العامة في السرد ايضاً عندما

يصور الموقف من وجهة نظر الشخصية (٩٤) .

(٩١) النخلة والجيران ص ١٨ .

(٩٢) انظر شجاع مسلم (المصدر السابق) .

(٩٣) النخلة والجيران ٦ - ٨ - ١١ - ١٢ - ١٥ - ٢٢ - ٢٤ - ٢٦ - ٣٧ -

٤١ - ٤٦ - ٦٣ - ٧٧ - ٨٤ - ٨٨ - ٩٥ - ٩٧ - ١٠٥ - ١١٤ - ١٢٦ - ١٥٠ - ١٦١

١٦٨ - ١٦٩ - ١٧١ - ١٩٢ - ١٩٤ - ٢٠٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٩٤) وضعنا دراسات مستفيضة لكل من : شاكر جابر ، هلال ناجي ،

حازم مراد ، آدمون صبري ، انيس زكي حسن ، موفق خضر ، ياسين حسين ،

بالاضافة الى دراسة مسببة عن الرواية الواقعية في العراق ولكن الاستاذ

المشرف ارتأى حذفها لطول البحث .

كما حذف فصلا عن الرواية العراقية النفسية وفصلا آخر عن كتاب

الرواية الاكراد . وستنشر قريباً .

خاتمة الجزء الاول

خاتمة الجزء الاول

هذه الدراسة اول جهد مستكمل الجوانب احاط بجميع من كتب في فن الرواية العراقية اوحاول الكتابة فيها . والرواية العراقية نامية ككل حياة لا يستطيع الباحث في حدود طاقته البشرية وامكانياته القصيرة ان يوفيهما حقها من الاستيعاب والعمق . ويمكننا تلخيص اهم نتائج هذا البحث في ظاهرتين بارزتين اولاهما : ان تطور الرواية العربية في العراق تأثر الى حد كبير بمحاولات اكتشاف العراقيين لشخصياتهم ومقومات حياتهم الفكرية والادبية وترددتهم في هذه المحاولات بين التأثر بتراثهم العربي القديم كما في مقامات محمود شكري الالوسي وبين التأثر بالحضارة الغربية المنقولة كما في قصص محمود السيد .

وقد بدأت المحاولات الاولى في الرواية العراقية في اوائل القرن العشرين تلك المحاولات التي بدأها سليمان فيضي في محاولته الروائية الاولى (الرواية الايقاظية) والمتأثرة بالتراث العربي القديم من جهة وبالقصص العربي من جهة اخرى .

وكان للترجمة اثر كبير في ظهور الرواية العراقية وكان للقصص العربي في مصر ولبنان نفس الاثر كما ظهر رد الفعل في مجتمعنا ضد الحضارة الغربية وطابعها الاستعماري العدواني قبل الاحتلال الانجليزي وبعده فأثر في عودة مجتمعنا بعنف الى محاولة بعث التراث القديم لمواجهة تيار الحضارة الغربية الجارف وقد تركت محاولة بعث التراث القديم اثرها الواضح على الشعر باعتباره اكثر الفنون الادبية اصالة

ولكنها لم تترك اثرها في الادب الشعبي الذي كان ينظر اليه نظرة ازدراء .

وتجاوبت الرواية تجاوباً عميقاً مع المجتمع وحاجات الناس والظروف القومية وتطورت تطوراً فنياً كبيراً قائماً على الدراسة الواعية لهذا الفن عند الامم الشرقية في القديم والحديث . واكثر كتاب الرواية عندنا من الادباء الهادفين ذوى الرسالة الذين يابون بفنهم ان يكون وسيلة للتسليمة العابرة وازجاء الوقت .

وتزايد عدد القصص مع الزمن واصبحت الرواية من اهم صور تعبير الفن الادبي بعد الشعر من حيث كثرة الانتاج ولكن عددها يقل اذا قيس بالقصة القصيرة .

اما الظاهرة الثانية التي تلخص نتائج بحثنا فتتمثل في ان تغير اتجاه القصة في العراق لم يكن مجرد تغير سطحي ظاهري ولكنه انعكس على خصائصها ومقوماتها الفنية فكانت القصة التعليمية اقرب الى المقالة التي تتناول موضوعاً علمياً وهي لا تعبر عن احساس الاديب بل تنقل انا افكاره وآراءه .

وقد درست الروايات التعليمية في العراق وهي روايات لم يهتم أحد بدراستها من قبل وبينت اثر الروايات التعليمية في الاقطار العربية الاخرى على هذه الروايات .

ولم تحاول رواية التسليمة ان تجابه الواقع بل حاولت ان تهرب منه اما الى الماضى البعيد او القريب كالرواية التاريخية .

وقد وجدنا ان الرواية التاريخية في العراق تنقسم الى ثلاثة اقسام: الرواية التاريخية الفنية المتمثلة في روايات داود سلوم وبهنام وديع ، الرواية التاريخية

التسجيلية التي سجل كتابها احداث التاريخ كما وردت في الكتب واكدوا هذا الاهتمام بذكر ارقام المصادر التي استمدوا منها المعلومات في حواشي رواياتهم ، اما القسم الثالث من الرواية التاريخية فقد جمع فيه الكتاب بين التسجيل والفن القصصي فخلقوا شخصيات لا وجود لها في كتب التاريخ الى جانب شخصيات تاريخية وعنوا بالفن الروائي عنيتهم بالحدث التاريخي مثل روايات سليمان صائغ وشعبان رجب الشهاب . ولم يسبق احد الى دراسة هذا النوع من الروايات وغاب عن الدارسين للرواية العراقية - وهم قلة قليلة - سبق الاشارة اليها .

وحاولت الرواية الرومانسية أن تهرب الى الاحلام والامال والقصور المعلقة في الهواء . وقد وجدنا ان هذه الروايات تتشابه في البناء والشخصيات والاحداث والموضوعات الدائرة حول العواطف الجامحة والحب العنيف الجارف ووجدنا ان اكثر هذه الروايات خالية من الغنية الروائية . وقد درسنا عدداً غير قليل من هذه الروايات بعضها لم يشر اليه احد من الباحثين .

ثم تناولت بالبحث لونا اعتمد على الاساطير والخرافات المتأثرة بالادب الشعبي يمكن ان نسميه بالرواية الشعبية ، ونعتقد ان هذه الدراسة عن الرواية الشعبية هي الاولى من نوعها وقد وجدنا في بعض هذه الروايات شبيهاً واضحاً بينها وبين الادب الشعبي العربي القديم . وهذه الروايات لا تؤمن بالعلاقة السببية بين اجزائها وانما ينصب همها في تسليمة القارئ وابعاده عن واقعه والشخصية الانسانية فيها قد تكون منتزعة من التاريخ ينقلها المؤلف كما هي او ينتزعها من خياله ويضفي عليها مسحة من الغرابة والبحث عن الواقع او ينتزعها من القصص

الشعبى والخرافات ويحيطها بأجواء غريبة من الجن والاولياء وأهل الكرامات .

اما الرواية الواقعية فقد كان منها لوان لون يكتفى بتسجيل الواقع كما رأينا في بعض ألوان الرواية التاريخية حيث جابهت هذه الروايات الواقع وعبرت عن احساس الاديب بها وقد حالت عوامل كثيرة دون تطورهما فجعلتها تسجيلا للواقع كما هو .

ولون فني سعى الى خلق واقع في عميق قد يكون اكثر عمقا واحساساً من الحياة نفسها او محاولة للتعبير عما يعانيه المواطن العراقي من انسحاق وتفتت دون استسلام للواقع بل اندفاع نحو مستقبل افضل وحياة اكثر بهجة وسعادة وذلك لتأثير عوامل ادبية واقتصادية وسياسية دفعت الرواية الواقعية الفنية الى واقعية جديدة اكثر تطوراً ولكنها اكثر بعداً عن الواقع ، حتى انها تطبع احياناً بطابع خيالى يقر بها من الحساسية والعاطفية .

وقد وجدنا ان الرواية الفنية في العراق لم تكتمل جوانبها قبل الحرب العالمية الثانية عند محمود السيد وذنون ايوب وان بدت اكثر فنية عند عبد الحق فاضل وكذلك لم تتضح معالمها بعد الحرب عند خالد الدرة ولكنها استوت رواية فنية بعد ثورة الرابع عشر من تموز بسبب المؤثرات السياسية والاجتماعية الاقتصادية كما بدت في روايات فؤاد التكرلى وشاكر جابر وغائب طعمة فرمان .

اما الرواية الوجودية فلم يتبلور مفهومها بعد عند النفر القليل الذين حاولوا الكتابة فيها مثل انيس زكى في رواية السجين .
ان الكتاب في الثلاثينات واوائل الاربعينات هم الذين اعطوا الرواية

العراقية قيمتها وبهر انتاجهم بالخير . وعندما حلت نهاية الاربعينات واشرقت شمس الخمسينات كل جيل جديد يأخذ طريقه الى النور ، ومع الظلام الذي يكتنف اعماله فانه يحاول جاهدا ان يبلورها . وقد شهدت الرواية العراقية تجارب جديدة في فنياتها وسواء كان الامر بالنسبة للجيل الجديد او بالنسبة للاجيال التي سبقته فانا نعد النتائج التي توصلنا اليها والآراء التي بسطناها غير قاطعة ولاهي بدورها الاخيرة وان كانت خطوات اولى على الطريق .

وكل ما اردنا من هذا البحث ومن دراستنا له ان نعيش فترة من الوقت في تجربة او محاولة جادة ونحن نتساءل هل استطاعت القصة العراقية ان تقدم فناً متلامح فيه خصائص البيئة تمكنا ان ننسب اليها كلمة عراقية ؟ فنجيب ان نعم لان القصة العراقية قصة محلية قبل كل شيء .

المصادر والمراجع

المصادر

الروايات العراقية

مؤلف	اسم المؤلف	اسم الرواية	محل الطبع	السنة
١	ابن الفرات	مأساة اللطيفية	مطبعة الاديب - بغداد	١٩٦٤
٢	ابو أنيس زكي حسن	العذاب	مطبعة الجزيرة - بغداد	١٩٣٨
٣	احمد صبحي	التأهون	مطبعة الشمال - كركوك	١٩٦٥
٤	ادمون صبري	زوجة المرحوم	مطبعة الوفاء - بغداد	١٩٦٢
٥	آكوب كبرائيل	لخالة عطية	شركة التجارة والطباعة	١٩٥٩
٦	ابو أنيس زكي حسن	اعجائب الزمان في	مطبعة الكاظمية - بغداد	١٩٢٨
٧	بهنام وديع	صروح عروس البلدان	دار مكتبة الحياة - بيروت	١٩٦١
٨	تاج الدين العمري	السجين	الاخطبوط	١٩٥٩
٩	جعفر الخليلي	الايام الممياء	مطبعة التمدن - بغداد	١٩٩٥
١٠	جميل حمزة جميل	والناس الحمقى	صفحة في زوايا النسيان	مطبعة الخياب - بغداد
		في قرى الجن	مطبعة الراعي - النجف	١٩٤٤
		الضايح	مطبعة الراعي - النجف	١٩٤٨
		القلوب المتوجعة	شركة نصر الله - بغداد	١٩٦٥

مسلل اسم المؤلف	اسم الرواية	محل الطبع	السنة
١١ حازم مراد	التائهة التافهة	مطبعة سفيان الاعظمى	١٩٥٥
		- بغداد	
»	اين تذهبين	مطبعة الوفاء - بغداد	١٩٦١
»	الحب اقوى	دار البصري - بغداد	١٩٦٧
١٢ حسين ورة الكافلي	الولادة وابن زيدون	بغداد	١٩٦٢
١٣ حمدي علي	شيخ القبيلة	مطبعة دار الحديث - بغداد	١٩٥٢
»	باهرة	مطبعة النجاش - بغداد	١٩٥٤
١٤ خالد الدرة	افول وشروق	مطبعة الوادي - بغداد	١٩٥٣
١٥ خضر الشابندر	الزوجان المنتهران دار الجاحظ		١٩٦٤
١٦ ذنون ايوب	الدكتور ابراهيم شركة الطباعة والتجارة		١٩٣٨
		- بغداد	
	اليد والارض والماء	»	١٩٤٨
»	الرسائل المنسية	دار اللواء - بغداد	١٩٥٥
١٧ رضاء الدين العبدري	الخطيئة	مطبعة المعارف - بغداد	١٩٤٨
١٨ سليمان الصايغ	يزدان دوخت	مطبعة النجم - بغداد	١٩٥٣
١٩ سليمان فيضي	الرواية الايقاظية	- البصرة	١٩١٩
٢٠ شاكر جابر	الايام المضئئة	مطبعة الجمهورية - بغداد	١٩٦١
»	الهارب	دار الجمهورية - بغداد	١٩٦٧
٢١ شاكر خصبان	الحقد الاسود	مطبعة الخال - بيروت	١٩٦٦
٢٢ شعبان رجب شهاب	سلمى التغلبية	مطبعة المعارف - بغداد	١٩٤٩
٢٣ شهاب احمد المهادي	نبي العذريين في القرن العشرين	مطبعة المثنى بغداد	١٩٥٦

السنة	محل الطبع	اسم الرواية	اسم المؤلف	مستل
١٩٤٦	مطبعة الزمان - بغداد	في سبيل الخلود	صاحب الصباغ	٢٤
١٩٥٤	مطبعة الجامعة - بغداد	غياوة نبيه	»	
١٩٤٧	مطبعة مكتبة المعارف - بغداد	هدنا الى الخان الكبير	صالح رشيد	٢٥
١٩٢٩	مطبعة الاهالي - بغداد	البنادق المسروقة	صبري عبد الله	٢٦
١٩٦٢	مطبعة الوفاء - بغداد	الله في صدور	طاهر العميد	٢٧
		العداري		
١٩٥٦	الشركة الاسلامية - بغداد	المسلم الثائر	طاهر مظفر الرشيد	٢٨
١٩٣٨	مطبعة الرابطة - بغداد	مجنونان	عبد الحق فاضل	٢٩
١٩٦٧	دار الجمهورية - بغداد	الظالمون	عبد الرزاق المطلبي	٣٠
١٩٥٧	مطبعة النجاح - بغداد	فتاة الريف	عبد الله حلمي ابراهيم	٣١
١٩٥٥	مطبعة الزهراء - النجف	ارينب	عبد الله حسون العلي	٣٢
١٩٤٩	مطبعة الراعي - بغداد	نهاية حب	عبد الله نيازي	٣٣
١٩٥٣	مطبعة دار المعرفة - بغداد	اناميد	»	
١٩٤٤	بغداد	رجل الاسرار	عبد الكريم عباس	٣٤
١٩٦٣	مطبعة الامة - بغداد	نسرين	عبد اللطيف العبادي	٣٥
١٩٥٥	مطبعة الخير - عشار	سبي بابل	عبد المسيح بلالا	٣٦
١٩٥١	مطبعة المعارف - بغداد	حمدي	عبد الواحد خماس	٣٧
١٩٥٤	مطبعة دار المعرفة - بغداد	طريق الشوك	»	
١٩٦٧	مطبعة الجمهورية - بغداد	دموع الوداع	عبد الوهاب النعيمي	٣٨
١٩٣٩	المطبعة المصرية - دمشق	من بنات الناس	عربي عراقي	٣٩

مؤلف	اسم المؤلف	اسم الرواية	محل الطبع	السنة
٤٠	علي الشبيبي	رنة الكأس	مطبعة العربي - النجف	
٤١	علي سبيل	والصيف على الابواب	مطبعة الزعيم - بغداد	١٩٦١
٤٢	غالب آل يحيى	لقيط بين القصور	مطبعة المعارف - بغداد	١٩٦١
		والاكواخ		
٤٣	غالب عبد الرزاق	قالت الايام	مطبعة الارشاد - بغداد	١٩٦٥
٤٥	غالب علي الدودي	يا ظالمني	بغداد	١٩٥٦
٤	فائب طعمة فرمان	الخنزلة والجيران	المكتبة المصرية - بيروت	١٩٦٦
٤٦	فلك الدين الكاكاني	بطاقة يا نصيب	مطبعة دار الساعة - بغداد	١٩٦٧
٤٧	فؤاد التكرلي	الوجه الآخر	مطبعة الوفاء - بغداد	١٩٦٠
٤٨٤	فهمي ع . مصطفى	ابن الناطور	مطبعة ام الربيعين	١٩٣٠
			- الموصل	
٤٩٠	فيصل الياسري	كانت عذراء	المطبعة العربية - بغداد	١٩٥٢
٥	لطيف عبد الحسني	مات النهار	المطبعة الحيدرية	١٩٦٥
			- النجف	
٥١	ليل عبد القادر	نادية	مطبعة المثني - بغداد	١٩٥٧
٥٢	محمد حسن النمري	في الفرات الاوسط	مطبعة النجاح - بغداد	١٩٣١
٥٣	محمد صالح بحر العلوم	العفة	مطبعة الكاظمين - البصرة	١٩٣١
٥٤	محمد طاهر توفيق	قصة يوسف	مطبعة المعارف - بغداد	١٩٥٥
٥٥	محمد المهدي الحسين	ابراهيم	مطبعة الآداب - النجف	
	الشيرازي			
٥٦	عمود احمد السيد	في سبيل الزواج	مطبعة نهمان الاعظمي - بغداد	١٩٢١

مستند	اسم المؤلف	اسم الرواية	محل الطبع	السنة
٥٧	محمود شكري الآلوسي	مصير الضعفاء	مطبعة الاعتماد - بغداد	١٩٢٢
٥٨	مرتضى الشيخ حسين	جلال خالد	مطبعة دار السلام - بغداد	١٩٢٨
٥٩	مرزء حمزة شير علي	مقامات الآلوسي	المطبعة الحجرية كربلاء	١٣٧٤ هـ
٦٠	موفق خضر	قصة من الجنوب	المطبعة العربية - بغداد	١٩٤٨
٦١	ناجية حمدي	رياض	مطبعة الراعي - بغداد	١٩٤٨
٦٢	نجم سليمان	المدينة تحتضن الرجال	مكتبة النهضة - بغداد	١٩٦٠
٦٣	نور الدين داود	اربعة نساء	مطبعة المعارف - بغداد	
٦٤	وهي حسين كوزة جي	مأساة طفلة	منشورات البصري بغداد	١٩٦١
٦٥	هلال ناجي	ضحية المكائد	مكتبة الحبيب - البصرة	١٩٤٩
٦٦	ياسين حسين	الشمعة الأخيرة	مطبعة الشمال - كركوك	
٦٧	يحيى عباس	بغير قلوب	دار العلم للملايين بيروت	١٩٥١
٦٨	الزقاق المسدود	مكتبة النهضة - بغداد	١٩٦٦
		كما يموت الآخرون	مكتبة النهضة - بغداد	١٩٦٦
		الثالث	مطبعة الجامعة - بغداد	١٩٥٣
		فتاة بغداد	مجلة الزنبقة - بغداد	١٩٢٢

المراجع

(أ)

- | السنة | محل الطبع | الكتاب | اسم الكاتب | مسلسل |
|-------|---------------------------------|--------------------------------------|----------------|-------|
| ١٩٦٠ | دار الكرنك - القاهرة | اركان القصة | أ. أ. فورستر | ١ |
| | | ت كمال عياد جاد | | |
| ١٩٥٨ | - القاهرة | ابراهيم احمد العدوي حركات التسلسل ضد | | ٢ |
| | | القومية العربية | | |
| ١٩٦١ | مطبعة العاني - بغداد | الشعر السياسي في العراق | ابراهيم الواصل | ٣ |
| ١٩٥٢ | مكتبة الانجلو المصرية | تيارات ادبية بين الشرق والغرب | ابراهيم سلامة | ٤ |
| | - القاهرة | | | |
| ١٩٥٩ | دار المعارف - بيروت | الشعر والشعراء | احمد ابو سعيد | ٥ |
| ١٩٥٩ | دار الشرق الجديد بيروت | فن القصة | «» | |
| ١٩٦٢ | مكتبة النهضة المصرية | اصول النقد الادبي | احمد الشايب | ٦ |
| | - القاهرة | | | |
| ١٩٦٦ | الدار القومية القاهرة | مكسيم جوركي | احمد محمد عطية | ٧ |
| ١٩٦٥ | دار الجيل للطباعة | بناء الرواية | ادوين موير | ٨ |
| | - القاهرة | ت ابراهيم الصيرفي | | |
| ١٩٤٥ | دار سعد للطباعة والنشر بالقاهرة | توفيق الحكيم | اسماعيل ادهم | ٩ |

- | السنة | محل الطبع | اسم الكتاب | اسم الكاتب | مسلسل |
|-------|---------------------------------|--|-----------------------|----------|
| ١٩١٩ | مطبعة الحكومة البصرة | تاريخ العراق | الاب انستاس الكرملي | ١٠ خلاصة |
| ١٩٦٠ | مطبعة الفجر - الرباط | تاريخ القصة والمسرحية | الحسن السائح | ١١ |
| | | في الادب المغربي . | | |
| ١٩٥٦ | مكتبة الانجلو المصرية | تاريخ القصة والنقد في | السباعي البيومي | ١٢ |
| | القاهرة - | الادب العربي . | | |
| ١٩٤٩ | دار الكشف - بيروت | فصول من تاريخ العراق | المس بيل | ١٣ |
| | | القريب . ترجمة جعفر خياط | | |
| ١٩٦١ | مكتبة المعارف بيروت | دراسات في النقد ترجمة | الن تيت | ١٤ |
| | | عبد الرحمن ياغي | | |
| | رسالة ماجستير جامعة القاهرة | الشعر الشعبي في الفرات | اميرة نور الدين | ١٥ |
| | | الاوسط | | |
| ١٩٥٦ | دار بيروت | اميل زولا ترمضان لاوند | اميل زولا | ١٦ |
| ١٩٤٠ | دار الكشف - بيروت | الرمزية في الادب العربي الحديث . | انطون غطاس فرح | ١٧ |
| | | | | |
| ١٩٦٤ | دار النشر للمجاميعين - بيروت | معالم الادب العربي المعاصر | انور الجندي | ١٨ |
| | | | | |
| ١٩٥١ | لجنة النشر للمجاميعين - القاهرة | نماذج فنية | انور المعداوي | ١٩ |
| | | | | |
| ١٩٣٩ | الجامعة الاميريكية - بيروت | العوامل الفعالة في الادب العربي الحديث . | انيس المقدسي | ٢٠ |
| | | | | |
| ١٩٦٢ | مطبعة اتحاد الادباء ببغداد | القصة العراقية | باسم عبد الحميد حمودي | ٢١ |

السنة	محل الطبع	اسم الكتاب	اسم الكاتب	مسلسل
١٩٦٢	دار النهضة العربية القاهرة	تعريف بالرواية الروسية	بانكو لافرين	٢٢
١٩٦٣	مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة	ترجمة مجد الدين حنفي ناصف	بدوي طبانة	٢٣
		التيارات المعاصرة في النقد الادبي .		
١٩٦١	مؤسسة روز اليوسف - القاهرة	عمالقة الادب ت/ دريني خشبة .	برتون راسكو	٢٤
١٩٤٨	دار الفكر العربي القاهرة	الادب الانجليزي	بول دوتان	٢٥
١٩٦١	مكتبة المعارف بيروت	عالم شتاينبك الرحيب	بيتر ليسكان	٢٦
		ترجمة عبد اللطيف شرارة		
١٩٥٩	لجنة التأليف والترجمة	فنون الادب ترجمة زكي نجيب محمود .	تشارلتون	٢٧
	مكتبة الآداب - القاهرة	فن الادب	توفيق الحكيم	٢٨
١٩٤٣	دار الهلال - القاهرة	زهرة العمر	«»	
١٩٥٦	دار بيروت	الادب الاسباني ترجمة بهيج شعبان .	جان كامب	٢٩
١٩٦٢	مطبعة الانصاف بيروت	القصة العراقية قديما وحديثا	جعفر الخليلي	٣٠
١٩٤١	مطابع دار الكشاف بيروت	حوادث العراق	جعفر خياط	٣١
١٩٤٩	مطابع دار الكشاف - بيروت	العراق دراسة في تطوره السياسي .	«»	
١٩٥٣	دار اليةظة العربية دمشق	مراسلات بين غوركي وتشينخوف	جلال فاروق	٣٢
١٩٦١	دار الثقافة - بيروت	الادب الامريكي	جميل جبر	٣٣

مسلسل	اسم الكاتب	اسم الكتاب	محل الطبع	السنة
٣٤ جميل سعيد	نظرات في التيارات	الادبية الحديثة في العراق .	معهد الدراسات العربية	١٩٥٤
٣٥ جميل سلطان	فن المقامة والقصة		دمشق	١٩٥٣
٣٦ جميل صليبا	الاتجاهات الفكرية في	بلاد الشام .	معهد الدراسات العربية	١٩٥٨
٣٧ ج . بندونشين	علاقة الفن بالواقع	الافكار الجديد - بيروت	القاهرة	١٩٦١
٣٨ ج . جومبية	ترجمة فؤاد ايوب	ثلاثية نجيب محفوظ	مكتبة مصر - القاهرة	
٣٩ جورج ديهاميل	ترجمة نظمي لوقا	دفاع عن الاب	لجنة التأليف والترجمة	١٩٤٣
٤٠ جون بول سارتر	ادباء معاصرون ترجمة	جورج طربيشي .	دار الآداب - بيروت	١٩٦٥
٤١ حسين قباني	فن كتابة القصة	الدار القومية - القاهرة		١٩٦٥
٤٢ حسين مروه	قضايا ادبية	دار الفكر - القاهرة		١٩٥٦
٤٣ خضر العباسي	شعراء الثورة العراقية	مطبعة دار المعرفة	بغداد	١٩٥٧
٤٤ خليل رشيد	الادب الشعبي	مطبعة الادارة المحلية		١٩٥٨
٤٥ داود سلوم	تطور الفكرة والاسلوب	في القرن العشرين .	دار المعارف - بغداد	١٩٦٠
(٢٢)	الادب المعاصر في العراق		مطبعة المعارف	بغداد ١٩٦٢

مسلسل	اسم الكاتب	اسم الكتاب	محل الطبع	السنة
٤٦	ذنون ايوب	مختارات ذنون ايوب	مطبعة اللواء - بغداد	١٩٥٧
٤٧	راى وست	القصة القصيرة ترجمة سمير عزام	دار صادر - بيروت	١٩٦١
٤٨	رشاد رشدي	فن القصة القصيرة	مكتبة الانجلو المصرية	١٩٥٩
			- القاهرة .	
	«»	مختارات في النقد الادبي المعاصر .	«»	١٩٦١
	«»	مقالات في النقد الادبي	«»	١٩٦٢
٤٩	روفائيل بابو اسحق	تاريخ نصارى العراق	مطبعة المنصورة بغداد	١٩٤٨
٥٠	روفائيل بطلى	الادب المصري في العراق	دار المعارف - بغداد	١٩٤٣
	«»	الصحافة في العراق	معهد الدراسات العربية	١٩٥٥
			بالقاهرة .	
٥١	رشدي صالح	الفنون الشعبية	المكتبة الثقافية القاهرة	١٩٦١
٥٢	روبرت اسبيلر	تطور الادب الامريكى	المؤسسة الاهلية	
		ترجمة توفيق ثائع .		
	«»	الادب الامريكى ترجمة محمود محمود .	مكتبة النهضة المصرية	
			- القاهرة .	
٥٣	روجر كوفلان	عالم فوكنر الرحيب	مكتبة الحياة - بيروت	
		ترجمة سامي حنا		
٥٤	روي كارون	الاديب وصناعاته ترجمة جبرة ابراهيم جبرة	مكتبة منيمنة - بيروت	١٩٦٢

مسلسل	اسم الكاتب	اسم الكتاب	سجل الطبع السنة
٥٥ زكي صالح	مقدمة في دراسة العراق المعاصر .	مطبعة الرابطة - بغداد ١٩٥٣	
٥٦ زكي مبارك	ملاحم المجتمع العراقي	القاهرة ١٩٤٢	
٥٧ سامي الكيالي	الادب العربي المعاصر في سوريا .	دار المعارف القاهرة ١٩٥٩	
٥٨ ستيفن سفايج	دستوفسكي ترجمة فريد انطونيوس .	دار ابن المقفع ١٩٥٥ - دمشق	
٥٩ سعيد الجليلي	منية الادباء	الموصل ١٩٥٦	
٦٠ سعيد الديوجي	ارجوزة السيد خليل البصير	مطبعة المجمع العلمي ١٩٦٥ العراقي ببغداد	
٦١ سليمان فيضي	في غمرة النضال	شركة الطباعة والتجارة ١٩٥٢ ببغداد	
٦٢ سومرست موم	دروس من الحياة ترجمة حسين القبانى	الدار القومية - القاهرة	
٦٣ سيد حامد	تطور القصة القصيرة في مصر	رسالة ماجستير جامعة ١٩٦٥ القاهرة	
٦٤ سيد قطب	النقد الادبى	دار الفكر العربى القاهرة ١٩٦٠	
٦٥ سهير القلماوي	النقد الادبى	معهد الدراسات العربية ١٩٥٥ بالقاهرة .	
٦٦ سهيل ادريس	محاضرات عن القصة في لبنان	معهد الدراسات العربية ١٩٥٧ القاهرة	

مسلسل	اسم الكاتب	اسم الكتاب	محل الطبع	السنة
٦٧	شاكر النابلسي	تشيكوف والقصة القصيرة	دار الفكر العربي القاهرة	١٩٦٣
٦٨	شاكر مصطفى	القصة في سوريا	معهد الدراسات العربية	٥٨/٥٧
٦٩	شeldon نورمان	سنكلر لويس ترجمة عبد الفتاح المنياوي	مكتبة القاهرة الحديثة	١٩٥٦
٧٠	شوقي السكري	موجز تاريخ الادب الانجيزي ترجمة عبد الله عبد الحافظ	الدار المصرية للمكتب القاهرة .	١٩٥٨
٧١	شوقي ضيف	الادب العربي المعاصر	دار المعارف - القاهرة	١٩٦٤
«»		المقامة	دار المعارف - القاهرة	١٩٥٤
«»		في النقد الادبي	القاهرة	١٩٦٢
٧٢	صفاء خلوصي	دراسات في الادب المقارن	مطبعة الرابطة - بغداد	١٩٥٨
٧٣	طه حسين	من ادبنا المعاصر	الشركة العربية للنصر القاهرة	
«»		فصول في الادب والنقد	مطبعة المعارف - القاهرة	
«»		الوان	دار المعارف - القاهرة	١٩٥٢
٧٤	طه محمود طه	القصة في الادب الانجليزي	الدار القومية القاهرة	١٩٦٦
«»		دراسات لاعلام القصة	عالم الكتب - القاهرة	١٩٦٦
٧٥	عباس خضر	القصة القصيرة في مصر	الدار القومية القاهرة	١٩٦٦
«»		الواقعية في الادب	دار الجمهورية - بغداد	١٩٦٧
٧٦	عباس العزاوي	تاريخ الادب العربي في العراق .	دار المعارف - بغداد	١٩٥٨
«»		تاريخ العراق بين الاحتلالين	شركة الطباعة والنشر بغداد	١٩٦٦

- مسلسل اسم الكاتب اسم الكتاب محل الطبع السنة
- ٧٧ عباس محمود العقاد مراجعات في الآداب والفنون المطبعة العصرية - القاهرة
«١» القصة الأمريكية دار اخبار اليوم القاهرة ١٩٥٦
مكتبة مصر - القاهرة
- ٧٨ عبد الحميد جودة السحار همزات الشياطين «٢» القصة من خلال تجاربي معهد الدراسات العربية ١٩٦٠
القاهرة
- ٧٩ عبد الحميد يونس الهلالية في التاريخ والادب مطبعة جامعة القاهرة - القاهرة
الشعبي ١٩٥٦
«٣» الاسس الفنية للمنقد الادبي
«٤» فن القصة القصيرة في ادبنا الحديث .
«٥» الظاهر بيبرس
- ٨٠ عبد الرحمن ياغي الحياة الادبية في فلسطين حتى النكبة . رسالة دكتوراه - جامعة القاهرة
- ٨١ عبد الرزاق الحسني تاريخ الصحافة في العراق مطبعة الزهراء بغداد ١٩٥٧
- ٨٢ عبد الرزاق الهلالي تاريخ التعليم في العراق شركة الطبع والنشر ١٩٥٧
الاهلية ببغداد .
- ٨٣ عبد القادر البراك اعلام من الشرق مطبعة الرجاء - بغداد
- ٨٤ عبد القادر حسن امين القصص في الادب العراقي مطبعة المعارف ببغداد ١٩٥٦
الحديث .
- ٨٥ عبد القادر المقط في الادب المصري دار مصر للطباعة القاهرة ١٩٥٥
- ٨٦ عبد الكريم العلاف بغداد القديمة مطبعة المعارف ببغداد ١٩٦٠
- ٨٧ عبد الكريم ابو التمن هذا هو العراق دار الكشف - بيروت ١٩٥٣

- مسلسل اسم الكاتب اسم الكتاب
٨٨ عبدالكريم اليافي دراسات فنية في الادب العربي .
٨٩ عبدالرحمن الجليلي محاضرات في الاقتصاد العراقي .
٩٠ عبد الله عبد الجبار التيارات الادبية الحديثة
٩١ عبد الله كنون احاديث عن الادب المغربي الحديث .
٩٢ عبد المجيد لطفي نظرات في الادب الكردي
٩٣ عبد المحسن طه بدر التطور والتجديد في الشعر المشرق الحديث
٩٤ عبد المنعم الحفني تيارات ومذاهب فنية وادبية جديدة
٩٥ عبد الوهاب محمد المسيري الرومانتيكية في الادب الانجليزي
٩٦ عثمان الجليلي الحجة على من زاد على ابن حجة
٩٧ عدنان بن ذريل ادب القصة في سورية
٩٨ عز الدين اسماعيل الادب وفنونه
- السنة محل الطبع
١٩٦٣ مطبعة جامعة دمشق
١٩٥٥ مطبعة القاهرة - القاهرة
معهد الدراسات العربية ١٩٥٩ بالقاهرة
معهد الدراسات العربية ١٩٦٤ بالقاهرة
مطبعة الصباح - بغداد
رسالة ماجستير جامعة القاهرة
دار المعارف - القاهرة ١٩٦٣
دار المصرية - القاهرة ١٩٦١
مؤسسة سجل العرب ١٩٦٤ - القاهرة
مطبعة ام الربيعين ١٩٣٧ - الموصل
دار الفن الحديث دمشق ١٩٦٦
دار الفن الحديث دمشق ١٩٦٦
مطبعة الاعتماد القاهرة ١٩٥٥

السنة	محل الطبع	اسم الكتاب	مسلسل اسم الكاتب
١٩٦٢	دارالمعارف - القاهرة	التفسير النفسي للادب	عز الدين اسماعيل
١٩٦٢	اتحاد الادباء بغداد	مقالات	علي جواد الطاهر
١٩٦٧	المكتبة العصرية بيروت	في القصص العراقي المعاصر	(١)
١٩٦٤	مطبعة مصر - القاهرة	دراسات في الرواية المصرية	علي الراعي
١٩٦٣	دارالمعارف - القاهرة	من الادب الافريقي	علي شلش
	الدار القومية - القاهرة	ارنست همنجواي	علي محمد علي
١٩٦٥	مطبعة العاني - بغداد	دراسة في طبيعة المجتمع العراقي	علي الورد
١٩٦٤	رسالة ماجستير	عمر محمد الطالب القصة القصيرة في العراق بعد الحرب العالمية الثانية	١٠٤
١٩٦٥	منشورات دارالبصري - بغداد	عواد مجيد الاعظمي نزعات في الفكر الاوربي	١٠٥
١٩٥٩	بغداد	دراسات ادبية	١٠٦ غالب الناهي
١٩٦٢	بيروت (دار الآداب)	ازمة الجنس في القصة العربية	١٠٧ غالي شكري
١٩٦٤	مكتبة الزناري القاهرة	المنتهمي	(٢)
١٩٦٤	المطبعة العصرية لبنان	كلمات من الجزيرة المجهولة	(٣)
١٩٦٣	منشورات عويدات - لبنان	الادب الفرنسي الجديد	١٠٨ غائيان بيكون
	الدار المصرية للطباعة بالاسكندرية	ترجمة نبيه صقر .	١٠٩ فاروق خورشيد في الرواية العربية

مسلسل	اسم الكاتب	اسم الكتاب	محل الطبع	السنة
فارو خورشيد	مغامرات سيف بن ذي يزن	دار الهلال - القاهرة	١٩٦٤	
«»	اضواء على السير الشعبية	المكتبة الثقافية القاهرة	١٩٦٤	
«»	على الزئبق	دار الهلال - القاهرة	١٩٦٧	
١١٠ فاطمة موسى	بين اديين	مكتبة الانجلو المصرية القاهرة	١٩٥٦	
١١١ فان تيغم	الرومانطيقية ترجمة	دار بيروت - بيروت	١٩٥٦	
	بهيج شعبان	مطبعة دار البلاد بغداد	١٩٦١	
١١٢ فائق بطى	الصحافة العراقية	مطبعة اسعد - بغداد	١٩٦٥	
١١٣ فتح الله القادري الموصل	ملحمة الموصل	الدار القومية - القاهرة	١٩٦٦	
١١٤ فتحي الأبياري	الجنس والواقعة	مطبعة الاستقامة القاهرة	١٩٦١	
«»	محمود تيمور والاقصوة العربية	دار النشر للمجامعات القاهرة	١٩٦٠	
١١٥ فردريك هوفمن	وليم فولكنر ترجمة احمد شناوي	دار الثقافة - بيروت	١٩٦١	
«»	القصة الحديثة ترجمة بكر عباس	مطبوعات الشرق - القاهرة		
١١٦ فلاديمير برميلوف تشييكوف	ترجمة الدكتور عبد القادر القط .	منشورات عويدات بيروت	١٩٦٠	
١١٧ ف . ل . سوليه	الرومانطيقية في الادب الفرنسي ترجمة احمد دمشقية	مركز الشرق الاوسط القاهرة	١٩٦٦	
١١٨ فؤاد دواره	في القصة القصيرة			

السنة	محل الطبع	اسم الكاتب	اسم الكتاب
١٩٦٥	الدار المصرية القاهرة	ل . ج . بوشى	الملمهة في المسرحية والقصة
		ترجمة ادوار حلليم	
١٩٦١	مطبعة رويال - القاهرة	١٢٠ لاي بن فينست	نظرية الانواع الادبية
		ترجمة حسن عون	
١٩٥٥	دار بيروت - بيروت	١٢١ لويس رينو	الادب الهندي ترجمة فريد شعبان
١٩٢٦	مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت	١٢٢ لويس شينخو	الآداب العربية في القرن التاسع عشر .
١٩٦٠	دار المعرفة - القاهرة	١٢٣ لويس عوض	دراسات في ادبنا الحديث
١٩٦٢	دار الآداب - بيروت	«	الاشتراكية والادب
١٩٦٥	وزارة الثقافة - دمشق	١٢٤ ليوس هورتيك	الفن والآداب ترجمة بدر الدين قاسم الرفاعي
١٩٦١	مطبعة شفيق - بغداد	١٢٥ ليندي درور	في بلاد الرافدين ترجمة فؤاد جميل .
١٩٥٩	المكتبة الاهلية - بيروت	١٢٦ ليون ايدل	القصة السايكولوجية ترجمة محمود السمرة
١٩٥٩	دار المعارف - القاهرة	١٢٧ ماهر نسيم	الادب الشيوعي
١٩٥٦	دار الفكر - القاهرة	١٢٨ ماوتسي تونج	مشاكل الادب والفن ترجمة كمال عبد الحلليم
	المطبعة السلفية - بغداد	١٢٩ محمد بهجت الاثري	اعلام العراق
١٩٣٣	مطبعة السياسة القاهرة	١٣٠ محمد حسين هيكل	ثورة الادب

- مسلسل اسم الكاتب اسم الكتاب
 ١٣١ محمدرشادحسن المقامة في نشأة القصة القصيرة .
 القاهرة .
 مكتبة الوحدة - الدار ١٩٦١
 البيضاء .
 مطبعة دار السلام - بغداد
 ١٣٣ محمداهرالعمرى تاريخ مقدرات العراق السياسية
 ١٣٤ محمد عبد المنعم صور من الادب الحديث
 محمد غنيم هلال الرومانتيكية
 (()) المدخل الى النقد الادبي
 (()) المواقف الادبية
 (()) النقد الادبي الحديث
 ١٣٦ محمد فهمى عبدالمطيف الوان في الفن الشعبي
 ١٣٧ محمد جمال الدين الادب والمجتمع
 ١٣٨ محمد محمد حسين الاتجاهات الوطنية في الادب
 ١٣٩ محمد مصطفى هداره مقالات في النقد الادبي
 ١٤٩ محمد مفيد الشوباشي القصة العربية القديمة
 (()) الادب والفن في ضوء الواقعية
 ١٤١ محمد مندور منهج البحث في الادب واللغة .
 بيروت
- السنة محل الطبع
 رسالة ماجستير جامعة
 القاهرة .
 مكتبة الوحدة - الدار ١٩٦١
 البيضاء .
 مطبعة دار السلام - بغداد
 مكتبة الانجلو المصرية القاهرة
 مكتبة النهضة - القاهرة
 الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٢
 معهد الدراسات العربية ١٩٦٣
 القاهرة
 دار النهضة العربية ١٩٦٤
 القاهرة
 المكتبة الثقافية القاهرة ١٩٦٤
 الدار القومية القاهرة ١٩٦٢
 المطبعة النموذجية ١٣٨٢ هـ
 بالاسكندرية
 دار القلم - القاهرة ١٩٦٥
 المكتبة الثقافية القاهرة ١٩٦٤
 دار الفكر العربي - القاهرة
 دار العلم للملايين ١٩٤٦
 بيروت

مسلسل	اسم الكاتب	اسم الكتاب	محل الطبع	السنة
محمد مندور	في الادب والنقد	لجنة التأليف والنشر	القاهرة	١٩٥٢
«»	الادب ومذاهبه	معهد الدراسات العربية	دار الآداب - بيروت	١٩٥٥
«»	قضايا جديدة في ادبنا الحديث .	دار الآداب - بيروت	دار المعرفة - القاهرة	١٩٥٨
«»	نماذج بشرية	دار المعرفة - القاهرة	مطبعة المعارف بغداد	١٩٦١
١٤٢	محمد مهدي البصير نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر .	دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت	دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت	١٩٤٦
١٤٣	محمد يوسف نجم فن القصة	دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت	دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت	١٩٥٥
«»	القصة في الادب العربي الحديث .	بيروت	بيروت	١٩٦٠
«»	القصص اللبناني في النهضة الحديثة .	رسالة ماجستير من جامعة القاهرة	رسالة ماجستير من جامعة القاهرة	١٩٦٠
١٤٤	محمود امين العالم في الثقافة المصرية	دار الفكر الجديد بيروت	دار الفكر الجديد بيروت	١٩٥٥
«»	قصص واقعية من العالم العربي	دار النديم - القاهرة	دار النديم - القاهرة	١٩٥٦
١٤٥	محمود تيمور فن القصص	دار الهلال - القاهرة	دار الهلال - القاهرة	١٩٤٨
«»	الادب الهادف	المطبعة النموذجية - القاهرة	المطبعة النموذجية - القاهرة	١٩٤٨
«»	دراسات في القصة والمسرح	المطبعة النموذجية - القاهرة	المطبعة النموذجية - القاهرة	١٩٤٨
«»	ظلال مضئية	المطبعة النموذجية - القاهرة	المطبعة النموذجية - القاهرة	١٩٤٨
«»	نشوء القصة وتطورها	المطبعة النموذجية - القاهرة	المطبعة النموذجية - القاهرة	١٩٤٨

مسلسل	اسم الكاتب	اسم الكتاب	محل الطبع	المنشأة
١٤٦	محمود تيمور	محمود تيمور	المطبعة الشرقية - القاهرة	دار الشمال للطباعة ١٩٢٢
		مقالات في النقد الادبي	بيروت	
١٤٧	محمود السيد	السهم المتقابلة	مطبعة الرحمانية القاهرة ١٩٢٢	
	(١)	الطلائع	بغداد ١٩٢٩	
١٤٨	محمود العبطة	محمود احمد السيد	مطبعة الامة - بغداد ١٩٦١	
١٤٩	محمود حامد	الفن القصصي في الادب العربي الحديث .	دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦٣	
١٥٠	مصطفى الشكعة	من فنون الادب العربي	الانجلو المصرية القاهرة ١٩٥٧	
١٥١	مصطفى علي	محاضرات عن معروف الصافي	معهد الدراسات القاهرة ١٩٥٤	
١٥٢	معن العجيلي	يوسف رجيب	مطبعة الغري النجف ١٩٤٧	
١٥٣	مكسيم جوركي	صور ادبية ترجمة الفريد فرج .	الدار المصرية القاهرة	
١٥٤	موسى سليمان	الادب القصصي عند العرب	دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٦٠	
١٥٥	ميشال عاصي	الفن والادب	دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٤	
١٥٦	ناصر الدين الاسد	الاتجاهات الادبية الحديثة في فلسطين والاردن	معهد الدراسات العربية القاهرة ١٩٥٧	
	(٢)	خليل بيدس رائد القصة العربية الحديثة .	معهد الدراسات العربية القاهرة ١٩٦٣	

مسلسل	اسم الكاتب	اسم الكتاب	محل الطبع	السنة
١٥٧	نجدة صفوة	مذاهب الادب الغربي	بغداد	١٩٤٨
١٥٨	نجيب سعد	تراثنا الادبي المعاصر	المكتبة اللبنانية - بيروت	
١٥٩	نزار الحكيم	محمود تيمور رائد القصة العربية	مطبعة النيل - القاهرة	١٩٤٤
١٦٠	نعمات احمد فؤاد ادب المازني		مؤسسة الخانجي القاهرة	١٩٦١
١٦١	نعيم اليافي	القصة القصيرة في بلاد الشام	رسالة ماجستير جامعة القاهرة	
١٦٢	وارين فرنش	جون شتاينهيك ترجمة نور شريف .	دار الفكر العربي القاهرة	١٩٦٤
١٦٣	وديع فلسطين	قضايا الفكر في الادب المعاصر	المكتب الفني للنشر القاهرة	١٩٥٩
١٦٤	وليم اوكرنو	النقد الادبي ترجمة صلاح احمد ابراهيم	دار بيروت - بيروت	١٩٦٠
١٦٥	ياسين بن خير الله الخطيب	منية الادباء	مطبعة الهدف - الموصل	١٩٥٥
١٦٦	يحيى حقي	فجر القصة المصرية	دار القلم - القاهرة	
	(١)	خطوات في النقد	مكتبة دار العروبة - القاهرة	
١٦٧	يعقوب بلبول	الجمرة الاولى - المقدمة -	مطبعة المعارف بغداد	١٩٣٨
١٦٨	يعقوب سر كيس	مباحث عراقية	شركة التجارة والطباعة - بغداد	١٩٥٥
١٦٩	يوسف عبد المسيح ثروة فن الادب		دار الكاتب العربي - بيروت	
١٧٠	يوسف عجاج	اطوار الفن القصصي	مطبعة دار السلام بغداد	١٩٥٣
١٧١	يوسف عز الدين	الشعر العراقي أهدافه	بغداد	١٩٥٤

مستلسل	اسم الكاتب	اسم الكتاب	محل الطبع	السنة
		وخصائمه		
يوسف عز الدين	آراء في الادب العربي	منشورات مكتبة النهضة - بغداد	١٩٦٢	
١٧٢ هنري تروبان	دستوفسكي بهيج شعبان	دار بيروت - بيروت	١٩٥٥	
١٧٣	المؤتمر الثاني لاتحاد الادباء العراقيين	مطبعة اتحاد الادباء - بغداد	١٩٦٢	

- (1) EDEL , L . ; The Physiological Novel ; J . P . Lippincott Company , Philadelphia , 1955 .
- (2) FORSTER , E . M . ; Aspects of The Novel , London , 1947.
- (3) FOX , R . ; The Novel And the People ; London 1937 .
- (4) JAMES , H . ; . ; The Art of Fiction ; New York , 1948 .
- (5) KSTTLE , A . ; An Lntroduction to the English Novel , 2 V . ; London , 1953 .
- (6) MUIR , E . ; The Structure of the Novel , London , 1954 .
- (7) WATT , I . ; The Rise of The Novel , California , 1957 .
- (8) Encyclopaedia Britannica , Vol . 20 ; 1962 .

المراجع

(ب)

السنة	العدد	اسم المقال	مجلد اسم المجلة اسم الكاتب
١٩٦٢	٣	الاتجاهات الفلسفية في الادب العربي المعاصر .	١ الاداب اللبنانية احسان عباس
١٩٥٤		لغة الاداء في القصة والمسرحية	«١» انور المعداوي
١٩٦٣	٢	الغثيان وتجربة اكتشاف الاشياء	«٢» ايريس مردوخ
١٩٥٤	١٠	الادب التقدمي	«٣» بدر شاكر السياب
١٩٥٤	١	الاقصوصة الروسية الحديثة	«٤» قاراستكوف
١٩٥٤	١	الصحب والعنف	«٥» جبرا ابراهيم جبرا
١٩٦٣	٣	الاستلاب في الرواية النسائية العربية .	«٦» جورج طرابيشي
١٩٥٤		اتجاهات النقد المعاصر للقصة العربية	«٧» «٨»
١٩٥٥	١	جديد في القصة العربية	«٩» حسين مروه
١٩٦٣	٣	الرواية الوجودية بين الفلسفة والادب .	«١٠» زكريا ابراهيم
١٩٦٣	٣	الرمز في رواية السأم	«١١» سعد الله غواني
١٩٥٣	٥	وجهة الادب في العراق	«١٢» سليم طه التكريتي

السنة	العدد	اسم المقال	مسلم اسم المجلة اسم الكاتب
١٩٥٣	٤ ، ٣ ، ٢	القصة العراقية الحديثة	١ الآداب اللبنانية سهيل ادريس
١٩٦٧	٢	القصة القصيرة	«» سومرست موم
١٩٥٤	٧	ادب القصص عند العرب	«» عبدالعزيز عبدالمجيد
١٩٦٦	١٠	ثروة فوق النيل	«» عبد القادر القط
١٩٥٥	٥	غاية الادب	«» «»
١٩٦٣	٣	مصطلح الرواية وتطور مفهومها العربي	«» عدنان بن ذريل
١٩٦٢	٣	فلسفة الواقعية الجديدة في الادب العربي .	«» غالب هلسه
١٩٦٥	٣	المؤثرات الغربية في الرواية العربية .	«» محمد غنيمي هلال
١٩٥٤	١	فيزيولوجية القصة	«» نيلي كورمو
١٩٤٣	٥	القصة القصيرة لسومرست موم	٢ الاديب اللبنانية احسان عباس
١٩٥٤	١	الرواية والانسانية	«» جبرا ابراهيم جبرا
١٩٦٧	١	الادب العراقي الحديث	«» خالص عزمي
١٩٤٨	١١	الاقصوصة المصرية	«» ديفز
١٩٤٩	٩	صور ادبية	«» سعد جمعه
١٩٥٤	٨	فن القصة	«» «»
١٩٥٤	٤	خلاصة تاريخ الفكر	«» سومرست موم
السنة السادسة	٩	القصة في سوريا	«» شاكر مصطفى
١٩٥٤	١	فن القصة في العراق	«» صفاء خلوصي

العدد السنة	اسم المقال	اسم المجلة اسم الكاتب
١٩٥٥ ٩	اليقظة والمصادفة	٢ الاديب اللبنانية عبد المجيد لطفي
١٩٥٤ ٥	البير كامو ومصير الانسان	نهاد التكرلي «١»
١٩٥٤ ١	التمرد في الادب الفرنسي المعاصر .	«٢» «١»
١٩٥٣ ٤	التطور الفني للقصة الحديثة	«١» «١»
١٩٦٧ ١	نظرات في نجيب محفوظ	«١» يوسف نوفل
١٩٢٧ ١٠٩٥	نزعة من نزعات الادب القصصي التركي هدم للمتقاليد البالية	٣ الاستقلال محمود السيد العراقية
١٩٤٧ ٩	كتابة القصة	٤ الاهتدال محمد علي الاطرقي العراقية
١٩٦٦ ٩	الشعر القصصي والادب العربي	٥ الاقلام العراقية حسين نصار
١٩٣٧ ١٢٤	القصة العراقية	٦ الانقلاب وديع جويده
١٩٥٦ ٥٩	فن القصة	٧ اهل النفط جبرا ابراهيم جبرا العراقية
١٩٥٦ ٦٠	آراء القصة العراقية	«١» «١»
١٩٣٠ ٨	الدين والسياسة والاميه واثرها في سير نهضة العراق الادبية .	٨ البلاد العراقية سلمان الصفواني
١٩٢٩ ٢	محمود السيد	«١» محمد امين حسونة
١٩٣٠ ١٧٠	فجر القصة العراقية	«١» محمود السيد
١٩٣٦ ٨٢٤	خواطر عن القصة	«١» وداد سكاكيني
١٩٥٠ ٧٣	خطوط القصة	٩ البيان العراقي طه حسين

العدد السنة	اسم المقال	اسم الكاتب	مسلسل اسم المجلة
١٩٥٠ ٧٣	القصة العربية	علي الخاقاني	٩
١٩٦١ ١	مأساة الاديب في العراق	عبدالله نيازي	١٠ التضامن العراقي
١٩٦١ ٤	محمود تيمور رائد القصة المصرية .	مزاحم الطائي	«»
١٩٦١ ١	المدينة تحتضن الرجال	«»
١٩١٠ ٢	رؤيا عربية	١١ تنوير الافكار
١٩٥٩ ٢	اثر ثورة ١٤ تموز	الثقافة الجديدة صلاح خالص	١٢
		العراقية	
١٩٥٩ ٩	ادبنا والثورة	«»	«»
١٩٥٣ ١	المدرسة الواقعية الحديثة	«»	«»
١٩٥٩ ٧ ، ٦	هدف اتحاد الادباء	«»	«»
١٩٥٣ ٢	مفاهيم في الفن القصصي	نهاد التكرلي	«»
١٩٥٢ ٧٢٥	مناهج نقد القصة	عز الدين اسماعيل	١٣ الثقافة المصرية
١٩٥٧ ١	قضايا الفن السوفيتي	شيبيلوف	١٤ الثقافة الوطنية
١٩٦٧ ٧٢	الجنس وكيف نتناوله في الرواية	حسن حافظ السعيد	١٥ الجمهورية العراقية
١٩٦٦ ٦٧	حكاية الادب العربي المعاصر	خالص عزمي	«»
٦٧/٦٦ ٧٠ ، ٦٧	في الادب التركي	عزیز سامي	«»
١٩٦٥ ٦٢	التيارات المعاصرة في الادب التركي	فيصل حسونه	«»

مسلسل اسم المجلة اسم الكاتب	اسم المقال	العدد السنة
	والنشر في العراق .	
١٥ الجمهورية العراقية محمود العبيطة	قصة انقلاب وقصص	٦٧٤ ملحق ١١ ١٩٦٥
	محمود احمد السيد	
«»	ازمة الكتاب العراقي من المسؤول ٦٤	١٩٦٦
	عنها الكاتب ام الناشر ؟	
١٦ الحاصد العراقية جرجس يوسف	ادب القصة واثره	١٧ ١٩٣٢
«»	متى يزدهر التأليف العراقي	٨ ١٩٣٦
«»	نهضة ادبية كاذبة	١٣ ١٩٣١
«»	من فضلكم وسوسات ابليس	١ ١٩٣٥
١٧ الحديث شحادة الخوري	نحو ادب جديد	٣ ، ٤ ١٩٤٩
١٨ دار السلام عطا امين	كيف يرتقى العراق	٧ ١٩١٩
«» «»	عاقبة الحياة	٨ ، ٩ ١٩٢٠
«» «»	لوحة من الواح الدهر	١ ١٩٢٠
١٩ الرسالة فخري ابو السعود	الذاتي والموضوعي في الادب العربي والانكليزي	١١٥ ١٩٣٧
٢٠ الرسالة الجديدة طه حسين	واقعيون	٢٥ ١٩٥٦
«» محمد امين العالم	الادب الجديد ماذا سيكون	٢٨ ١٩٥٦
	بعد عشرين سنة	
«»	فن نجيب محمود القصصي	٤١ ١٩٥٧
«»	نقد بين القصصين	٣٦ ١٩٥٧
٢١ الرقيب الاب انستاس الكرمل	الاصبحي	١٧١ ، ١٧٢ ١٩٠٩

السنة	العدد	اسم المقال	اسم المجلة	اسم الكاتب	مستل	العراقية
١٩٠٩	١٧٣	ذات القناع الاحمر	٢١	الرقيب الاب انستاس الكرملي	«»
١٩١٣	١٦٥	المرصد	٢٢	روز اليوسف	«»	عبد القادر القط
١٩٦٦		مسروايه الحكيم	٢٣	الزمان العراقية	«»	عبد المجيد لطفي
١٩٦٦	١٩٨٧	انحسار الموجة الواقعية في	٢٤	الشرق المصرية	«»	اتلام را شكوفوسكايا
		القصة .		الادرا توفوسكا	«»	في الادب العربي الحديث
١٩٣٧	١٥٨	نقص في ادبنا		السكندر كاراجانوف	«»	حرية الكاتب
١٩٥٩	٢٥	الكاتب وعصره		اليكسي تولستوى	«»	كيف اكتب القصة
١٩٥٧	٢	في الادب العربي الحديث		جورج بليخانوف	«»	الادب والحياة الاجتماعية
١٩٥٩	٢٢	حرية الكاتب		«»	«»	الادب والفن
١٩٥٨	١١	كيف اكتب القصة		«»	«»	عناصر القومية في الادب
١٩٥٨	٩	الادب والحياة الاجتماعية		«»	«»	الواقعي
١٩٥٨	١٢	الادب والفن		«»	«»	انا ومهنة الادب
١٩٥٨	١	عناصر القومية في الادب		«»	«»	ليونيدا دبراستسوف
		الواقعي		«»	«»	بين الناثرا الحر بلنسكى والكاتب
١٩٥٧	٦	انا ومهنة الادب		«»	«»	الكبير جوجول .
١٩٥٩	٣١	الادب وايماننا الحاضرة		«»	«»	لا تقرأوا الروايات
١٩٥٧	٤	بين الناثرا الحر بلنسكى والكاتب		«»	«»	الواقعية الاشتراكية
		الكبير جوجول .		«»	«»	٢٥
١٩٠٩	٥٩	لا تقرأوا الروايات		«»	«»	٢٥
١٩٤٩	٢	الواقعية الاشتراكية		«»	«»	الطريق

السنة	العدد	اسم المقال	اسم المجلة	اسم الكاتب	مستل
			اللبنانية		
١٩٢٢	٢٣ آذار	يوم زلزلت الارض زلزالها	٢٧ العراق	روفائيل بطى	
١٩٢٣	٩٧١	الثورة الادبية	«»	
١٩٣٠	٣٢٤٩	الركود الادبى في العراق	«»	
		عوامله واسبابه .			
١٩٣٢	٣٧٥٥	جنود الحركة الادبية في العراق .	«»	
١٩٣٤	٣٨٣٧	القصة والمرأة	«»	«»	
١٩٢٠	٤٩٠ - ٤٨٣	وقفه على دىالى	«»	عطا امين	
١٩٢٠	١٩٢	سياحة الفكر	«»	«»	
١٩٢٢	٧٦٩	حاجتنا الى النهضة الفكرية	«»	«»	
١٩١٠	٥ - ٢	الاقوام	٢٨ العلوم العراقية	يوسف رزق الله غنيمه	
١٩١٠	٣ - ١	فتاة بغداد	«»	رزوق عيسى	
١٩٢٧	٧٥	مقام الروايه في الادب	٢٩ الفضيلة العراقية	عبد الغني شوقي	
١٩٦٧	٢٥	سارتر والرواية الوجودية	٣٠ الفكر المعاصر المصرية	امين العيوطى	
١٩٦٦	٢٢	قضية الرواية الجديدة	«»	الن بوسكى	
١٩٦٦	٢١	وليم جولدينج والرواية الرمزية	«»	رمسيس عوض	
١٩٦٧	٢٣	تيارات الفكر والادب في مصر	«»	زكى نجيب محمود	

السنة	العدد	اسم المقال	اسم الكاتب	مسلسل اسم المجلة
		المعاصرة .		
١٩٦٦	٢١	الفنان في ادب توماس مان	٣٠ الفكر المعاصر فاروق مزيد	
١٩٦٧	٢٧	ظاهرة العنف في الادب	محمد عبد الله الشفقي	«»
		المعاصر .		
١٩٥٧		الكاتب والمجتمع	٣١ الفنون العراقية تيد وبلينس	
١٩٥٧		في الرواية التاريخية	زهير احمد	«»
١٩٥٨	٢٤	جلال خال	«»	«»
١٩٥٨	٢٤	مشكلة التعبير عن المفاهيم الحديثة	صلاح خالص	«»
		في النقد الادبي		
١٩٦٤	١٢	الوجودية في القصة القصيرة	٣٢ القصة المصرية احمد عصام الدين	
١٩٦٥	٧٧	ازمة القصة القصيرة بين قصير	خيرى حماد	«»
		الواقع والاغراق في الخيال .		
١٩٦٤	١٠	اتجاهات حديثة في القصة	«»	«»
		السوفيتية .		
١٩٦٤	٢	اتجاهات جديدة في الرواية	سهير القلماوى	«»
		الاوربية .		
١٩٦٤	٢	القصة في الادب الانجليزي	طه محمود طه	«»
١٩٦٤	٦	تطور الرواية العربية الحديثة	عبد المحسن طه بدر	«»
		في مصر .		
١٩٦٥	١٥	معنى المأساة	غالي شكري	«»
١٩٦٤	٧	ما القصة ؟	قصي سالم علوان	«»

السنة	العدد	اسم المقال	اسم المجلة	اسم الكاتب
١٩٦٤	٧	الوظيفة الفنية للقصة القرآنية	٣٢	القصة المصرية محمد احمد خلف
١٩٦٤	١١	الشخصيات الروائية	«»	محمد عبد الحليم عبد الله
١٩٦٥		التطور الفني لشكل القصة السورية .	«»	نعيم حسن اليافي
١٩٦٦		المهكلة المينافيزيقية	٣٣	الكاتب المصرية احمد عباس صالح
١٩٦٧	٧٢	الرواية الجديدة	«»	شكري محمد عياد
١٩٤٨	٣٢	فن الكتابة	«»	هيلين زالوشر
١٩٥٤	٤	البرتومورافيا	٣٤	الكاتب العربي عبد المنعم رؤوف الدورى
١٩٥٤	٣	وجوه الادب المعاصر	«»	نهاد التكرلي
١٩٦٧	١	حول القصة العراقية	٣٥	الكلمة العراقية
١٩١٤	٢	المرأة العراقية	٣٦	لغة العرب محمد فائق الكيلانى
				العراقية
١٩١٣	٤	رؤية ادبية	«»	«»
١٩١٣	٧	قراءة الروايات	«»	«»
		جلال خالد ج ٢ ص ١٤٥ السنة السادسة	«»	«»
١٩١٤	ج ١٨	المال حاكم	«»	«»
١٩١٣	ج ٥	سياحة النوم	«»	«»
١٩٥٩	٥ ، ٤	مفهوم الفن في العصر الحديث	٣٧	المثقف العراقية صلاح خالص
١٩٦٠	١٨	القصة الواقعية وتطور القصة العراقية .	«»	عبد المجيد لطفى

العدد السنة	اسم المقال	اسم المجلة اسم الكاتب
١٩٥٩ ٢٥	الفن والاخلاق	المجلة المصرية السيد محمد بدوي
١٩٥٩ ٢١	الرومانتيكية والاخلاق	«» «»
١٩٦٦ ١١٩	الفكر الاشتراكي في الروايات	انجيل بطرس سمعان «»
	اليوثوبية .	
١٩٦٦	من زعماء القصة الطويلة في فرنسا (الان روب جوييه)	انور عبد العزيز «»
١٩٥٨ ٢٢	الاتجاه الفكري وكتابة القصة	رشاد محمد خليل «»
١٩٦٦ ١١٧ ، ١١٨	مستقبل الاقصوصة المصرية	صبري حافظ «»
١٩٦٦ ١٣	تأثر القصص العربي في الادب	عبد الرحمن بدوي «»
	الاوربي الحديث .	
١٩٦٥ ٩٩	ظاهرة التعبير الادبي	عبد الفتاح الديدي «»
١٩٥٧ ١٠	الالتزام في الادب المعاصر	هدى خشبته «»
١٩٦١ ٥٦	نهاية مدرسة ادبية	كارل شايبرو «»
١٩٥٧ ١١	جيمس جويس	محمد خليل فهمي «»
١٩٣٩ ١٩	الحركة الثقافية في العراق	المجلة الموصلية يوسف الحاج لياس
١٩٢٦ ج ٢	الريالزم	٤٠ المعرض محمود السيد
١٩٦٠ ٦	القصة النفسية الجديدة	٤١ المعلم الجديد خليل ابراهيم الخماش
١٩٥٠ ٣	المذاهب الادبية الحديثة	«» سلوم النعيمي
١٩٥٢ ٤	المشكلة الادبية في العراق	«» عبد الرزاق محي الدين

السنة	العدد	اسم المقال	اسم المجلة اسم الكاتب
١٩٥٨	٢٤	القصة النفسية	٤١ المعلم الجديد عبد الوهاب الوكيل
١٩٥٧	٢٠	كلمة في القصة القصيرة	« علي جواد الطاهر
١٩٣٤	ج ٤	اناثول فرانس	٤٢ المقتطف المصرية علي كامل
١٩٣٧	٤٩٧	القصة والوسط العراقي	٤٣ النهضة العراقية ممتاز العمري

رسائل

- ١ - رسالة من آدمون صبري للدكتور داؤد سلوم في ٧ / ١٠ / ١٩٦١ ،
١٥ / ١١ / ٦١ .
- ٢ - رسالة من جعفر الخليلي للدكتور داؤد سلوم في ٣٠ / ٩ / ١٩٥٤ .
- ٣ - رسالة من ذنون ايوب للدكتور « » « » في ١٤ / ١٠ / ١٩٥٤ .
- ٤ - ثلاث رسائل من ذنون ايوب لي في عام ١٩٦٤ .
- ٥ - رسالة من شاكر خصباك للدكتور داؤد سلوم في ١٢ / ١١ / ١٩٥٤ .
- ٦ - رسالة من عبد المجيد لطفي للدكتور « » « » في ٢٨ / ٩ / ١٩٥٤ .
- ٧ - رسالة من عبد الله نيازي للدكتور « » « » في ٢ / ٣ / ١٩٥٤ .

المقابلات

- ١ - مقابلاتي لأدمون صبري بصورة مستمرة .
- ٢ - « » لبهنام وديع « » « »
- ٣ - « » لجعفر الخليلي في ١٧ / ٢ / ١٩٦١ .
- ٤ - « » لحازم مراد في ١٠ / ٧ / ١٩٦٣ .
- ٥ - « » لداؤد سلوم بصورة مستمرة .
- ٦ - « » لشاكر جابر « » « »
- ٧ - « » لعبد الله نيازي في ٥ / ٣ / ١٩٦٤ ، ٤ / ١٠ / ١٩٦٦
- ٨ - « » لعبد الوهاب النعيمي في ١٢ / ٣ / ١٩٦٧
- ٩ - « » لفؤاد التكرلي في ١٤ / ٨ / ١٩٦٥
- ١٠ - « » للميلي عبد القادر في ٩ / ٦ / ١٩٦٦
- ١١ - « » لموفق خضر في ١ / ٦ / ١٩٦٦

فهرست الجزء الاول

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الفصل الاول	
التمهيد	١٣
المؤثرات العربية	٢٣
المؤثرات الخارجية	٢٧
اثر الصحافة في الرواية العراقية	٥٥
الرواية الايقاظية لسليمان فيض الموصل	٦٤
محمود احمد السيد	٧٧
الفصل الثاني	
الرواية التعليمية	٩٩
الرواية التاريخية	١١٤
الرواية الشعبية	١٦٣
الرواية الرومانسية	١٧٨
عبد الله نيازي	٢١٥
الفصل الثالث	
الرواية التسجيلية	٢٢٧
جعفر الخليلي	٢٥٢

الموضوع	الصفحة
الرواية الفنية	٢٦٤
عبد الحق فاضل	٢٦٧
ذنون ايوب	٢٨١
خالد الدرة	٣١٠
فؤاد التكرلي	٣١٩
غائب طعمة فرمان	٣٢٩
خاتمة الجزء الاول	٣٤٩
المصادر	٣٥٧
المراجع من الكتب والمجلات	٣٦٢
الرسائل والمقابلات	٣٩٢

جدول الخطأ والصواب

الصفحة السطر	الخطأ الصواب	الصفحة السطر	الخطأ الصواب
٤ ٦	الادب ادب	١٩ ١	وتطبيقاتها وتطويعها
٤ ٧	وينحى وينعى	١٩ ١٨	المبتكرة المبتسرة
٤ ٨	لا يتيحها لا يتيحهما	٢٠ ٢	قريب قريباً
٧ ٢	نسب وثيق نسباً وثيقاً	٢٣ ١٨	بالحدث بالحديث
٨ ١	الظاهر الظاهرة	٢٥ ٢٠	في مصر وظهرت
٩ ١٠	نرجع نرجع ذلك	٢٦ ٩	ونكت « ونكت
١٤ ٨	١٨٢٠ هـ ١٨٢٠ م	٢٦ ١١	« فيا أيها المتقفر فيا أيها
١٤ ١٤	حاشية ب نقص عبد القادر		المتقعر
	حسن أمين المصدر	٢٧ ٩	وتجد نجد
	السابق سهيل ادريس		هامش حكى ما (٩) حكى ما
	القصة العراقية	٢٩ ٧	شائعا من شائعا في
	الحديثة الآداب الاعداد	٢٩ ١٢	حوادثه حوادثها
	١ - ٣ عام ١٩٥٣	٢٩ ١٥	وهواه ولم وهو أمر لم
١٤ ١٤	حاشية ٨ ص ١١٩ ص ٦٨ ، ١١٩	٣٢ ١٢	ويتلام أو يتلام
١٧ ٥	على نفقته على نفقة الخاصة	٣٤ ١٤	كالا اجتماعي والاجتماعي
	نفقات	٣٦ ١٣	العراقي في العراق
١٨ ٨	في القصص في القصص	٣٨ ١٦	الحديثة الحديث
١٨ ٩	في الرواية فن الرواية	٣٨ ٤	مباشراً تقليداً مباشراً

الصفحة السطر الخطأ الصواب	الصفحة السطر الخطأ الصواب
هامش (٣٣) العباد الصياد	٣٨ ١٥ وقد احتمل وقد احتل
هامش (٣٥) الموصل في الموصل	هامش (١٨) مله بدر طه بدر
هامش (٣٧) ١٩٢١ ١٩٣١	٤٠ ١١ متصلاني مشعلاني
هامش (٣٨) متلسلسلة متلسلسلة	٤٢ ٣ سيطر سيطرا
هامش (٣٩) الداع الخداع	٤٢ ٩ ١٨٩٢ ١٨٩٧
٥٠ ٦ يظل يضل	٢٠ قلقا قلقا
٥٠ ١٤ تلاها تلاهما	٤٣ ١٦ فيشغلوه فيشغلونهم
٥٣ ٨ والى الى	٤٦ ٧ ماركامان ماركاسان
١٦٥٥ التشويق للمقارىء تشويق القارىء	٨ شانتين شانتيني
٥٦ ١٨ خيتعمورا وخنوساً خيتعمورا	١٥ في جريدة في العراق في جريدة
وخنوصا	١٧ في العدد في نفس العدد
١٩ الخنوس الخنوص	٤٧ ٢ بقلم الاديب بقلم الاب
٢٠ الخيتعمور الخيتعمور	٣ الاصبحي (٢٧) الاصبحي
٥٧ ١ الخنوس الخنوص	١٤ قد عزمنا فقد عزمنا
٣ وانعمت وانعمت	١٧ خلال من خلال
٥٨ ٣ باصالة غريبة باصالة عربية	١٨ ١٩٠٩ ١٩٠٩ (٢٧)
٥٩ ١١ التروادا للازورد	٤٨ ٤ (الاحدوثة) اسم الاحدوثة
٥٩ حاشيه (٥٥) ١٨١٠ ١٩١٠	٤٩ ٤ معنا فريو حنا فريو
٥٩ حاشية (٥٦) نجد اننا غير اننا	٤٩ هامش (٣١) هنديان هذيان
٥٩ ١٢ عربة نقل عربة نقل	٤٩ هامش (٣٢) ميدان الحب ميراث
٦٢ ١٣ تشمل تشمل	موبسان الحب لموبسان

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٣	٦	الموجية	الموجية	٧٨	١٢	ثانية	واقعية
٦٤	٤	مبترة	مبتسرة	٧٩	١٦	الجيل	الجيل
١٧	(٢)		(٦٥)	٨٠	١	الجيل	الجيل
		حاشية (١)	(٦٤)	٢		بالفخار	بالغار
		حاشية (٢)	(٦٥)			حاشية (٨٧)	(الطائع) الطلائع
٦٧	١٣	مع غلبه	مع غلبة السرد	٨١	٦	المومية	الموجية
		السرد عليها	الروائي عليها	٨٢	٧	الجيل	الجيل
٦٨	١٦	والمادة السجعية	والعبارة	٧		وكتور	كستور
	٢٠	تعني احياناً	تعني احياناً	٨		الجيل	الجيل
		حاشية ٧٣	نرسي موسى	٨٣	٤	العشمانيون	العشمانيين
		حاشية ٧٣	العدد ٢٨ العدد ٢٨	١٠		الاقدام	فيها الاقدام
٦٩	٨	لم يتحلل	لم يتخل	٨٥	١٤	بالعلوم	الا بالعلوم
٧٠	١٤	صورة	صوره	٨٦	٧	- بس انا	بي انا
	٢١	الحديث	الحديث	٩٢	١٢	انباء نامة	انباء تاعسة
٧٣	١٤	انعام	امعان	٩٣	١٤	ذلك	تلك
٨٤	١٨	مسرية	سرية	١٩		حتى بدأ	حتى بدأ
	٢٠	يوقر	يوغر	٩٥		حاشية (١١٤)	من الرق من الشرق
٧٥	٢١	المستمد	المستمد	٩٦	٤	وتطعيمها	وتطعيمها
٧٧	١٧	وحرص	وحرص	٩٩	٩	محمود شكري	محمود ابي الغناء
٧٨	٤	يبث	يثبت	١٠٩	٥	واستخدم	واستخدم
٥		ووعو	ووعوا	١١١	٥	والعشق	والفسق

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١٣	٣	بهذه	نهب	١٢٢	١٢	العروسة	العروبة
١١٦	٩	مستمدان	مستمدتان	١٢٧	١٠	مستمدان	مستمدتان
١١٧	٤	(فتح عمر)	(فتح مصر)	١٢٨	١٤	(أبي نصير)	(أبي بصير)
١١٩	١٤	الشاعر	الشاعرة	١٢٩	١٥	مظاهر	عن مظاهر
١٢٠	٤	نوجل	نرجل	١٢٢	٢	وتنطاق	وتتطابق
١٢٢	١٣	غير معنى	غير معنى	١٢٥	١٩	حسين	دوره حسين
١٢٧	٨	بعليه	بعملية	١٢٩	١٣	الصدور	الصدور وعادت
١٣٠	١٤	تحى	تحيا	١٣١	٩	يسوع	ليسوع
١٣١	٩	يسوع	ليسوع	١٨	١٨	المؤبدة	المؤبدة (٣٠)
١٣٢	١٢	وقادته	وقاده	١٣٣	٦	ويساعده	مساعده
١٣٤	٣	الفطرسه	الفطرسه	١٣٥	١٨	الحبيسة	الحبيبة
١٣٦	٦	فهو يفى	فهو ووفى	١٣٧	١٥	المتوحش	الموحش
١٣٨	١	روايتهم	روايتهم	١٤٠	١	وكذلك تعرف	ولانعرف
١٤٢	١٥	يقصدان	يتعمدان	١٤٣	٧	سيده	سيده
١٤٣	١٠	عرفنا	عرضنا	١٤٤	٢	اراع	انتزاع
١٤٤	١٢	احيي	احيا	١٤٦	٥	صورته	صوته
١٤٥	١٩	حسين	دوره حسين	١٤٦	٧	يهبها	قيما

الصفحة السطر الخطأ الصواب	الصفحة السطر الخطأ الصواب
١٦٣ ٦ من أكثر أكثر	١٤٦ ٩ يرى كان يرى
١٥ شخصيات شخصياته	١٤٧ ١٩ الكهان له الكهان
١٦٥ ١١ لتزويجه لتتزوجه	١٥٠ حاشية (٦٢) الباب الجزء
١٦٦ ٢ صلباً في صلب	١٥١ ١ قيصيص فيصيص
١٣ وسط القمر وسط القصر	١٥٢ ٧ وحديشه كحديشه
حاشية (١٤) ٤٦ ٤٣	١٤ المنصور منصور
١٦٧ ٢١ ينفذ ينفذ	١٥٣ ١٣ مسرح مسح
١٦٨ ٤ الثلاث الثلاثة	١٥٤ ٢ الفار القار
١٦٩ ١٣ عواطفها عواطفهما	١٥٥ ٦ منصور منصوراً
١٧٠ ٧ وكأنه وكأنا	١٥٦ ١٩ معين معينين
١١ الذي التي	١٥٧ ٥ باقامة اقامه
١٨ الغنى النفس	١٥٨ ١٧ اولادهما اولادهم
١٧١ ١٧ وتعتقد وتعتقد	١٥٩ ١٤ الرقصات الرفسات
١٧٢ ٤ جنه في جنه	١٦٧ ٣ السرد (٨٧) السرد
٨ فيأتي فبأتي	٨ والاجساد وبالايجاد
١٧ التي الفائقة التي	٩ (٨٨) (٨٧)
٢٠ ويعمل وتعليل	١١ (٨٩) (٨٨)
١٧٣ ٨ المعاد المادة	١٢ (٩٠) (٨٩)
٢٠ تلخص تلخص	١٣ (٩١) (٩٠)
١٧٥ ٣ راكها راكضا	١٦٣ ١ الادب اثر الادب
١٧٨ ٣ الباب الفصل	٢ الاسوار ١٩٤٨ الاسرار ١٩٤٦

الصفحة السطر الخطأ الصواب	الصفحة السطر الخطأ الصواب
١٧٩ ١٥ النشأة نشأة	١٩٦ ٤ الاسوار الاسرار
١٨٠ هامش (١) وثورة كثورة	٥ ١٢ تأثيراً تأثراً
١٨١ ١٧ وقيمتها وقيمتها	١٩٨ ١٠ جدياً جسدياً
١٨٢ ١١ ادخل قد أدخل	١٩ الام الامة
١٨٥ ٣ بالقياس هو بالقياس	٢١ واللاجوء أو اللجوء
١٨٦ ١٥ الممل الممض	١٩٩ ١٤ خطوة خطوة
٢٠ كوزمبي كوزة جي	٢٠١ ٢ لماذا احد لماذا
١٨٧ ١٠ يوسع بوسع	٢٠٢ ١٥ بالمحكمة بالحكمة
١٣ لم تعد لم تعد	٢٠٣ ٧ مضني مضض
١٨٨ ١٤ اقرب اغرب	٢٠٤ ١١ عن أن يكتب عن
١٨٩ ٣ لا يتحسبها لا يتحسبها	٢٠٥ ١٠ مشرق يشرق
٦ احدى من احدى	٢٠٦ ٢ بطلة بطلته
٩ التقاليد لأن التقاليد	٢٠٧ ٦ تصوير تصور
١٩٢ ٧ شوقية شرقية	٢١٦ ١٢ زملاء زملاؤه
١٩٣ ٣ ويشتهي أو يشتهي	٢٢٠ ١ الروايتان الروايتين
١٦ واقطع وقطع	٨ العمياء الدودة العمياء
١٩٥ ١٤ بصراحة هذا الهدف بصراحة	١٢ تزكمت تزكمت
١٩ الحديث الحدث	٢٢١ ١١ اسس اسى
٢١ يكشف يكتشف	٢٢٢ ٢ طلق مطلق

الصفحة السطر الخطأ الصواب
 ٢٢٣ ٢ الثانية عشر الثانية عشرة
 ٢٢٤ ٨ من نعم من نعم
 ١٢ الحال عليه الحال
 ٢٢٧ ١ وبعد وبدء
 ٢٢٩ ٩ الانقلابات الثورات
 ٢٣٠ ١٨ سيماء دماء
 ٢٠ سليم حر سليم
 ٢٣٣ ٣ على الاول على
 ٦ لا ينتقد ، لا ينتقد ،
 ٢٣٤ ٣ ولكنهم الحق ولكنهم
 ٢٣٥ ٢٠ غايتان غاية أن
 ٢٢ خصباك خصباك وغائب
 طعمة فرمان
 ٢٣٦ ١ وإن تحتل وإن تمثل
 ١٦ بما اشاع الاخلاقي بما اشاع
 ٢٣٧ ١٢ فنيا عرضا فنيا
 حاشية (٥) المصري المصري
 ٢٤٠ هامش (٩) نسبه نسميه
 ٢٤١ ١٨ شبك مشبك
 هامش (١٢) ٥ - ٦ ١ - ٦
 ٢٤٢ ١٤ على فيه على

الصفحة السطر الخطأ الصواب
 ٢٤٢ ١٤ صوره ملونه صورة امنية
 ١٤ فالقن هي فالقن هو
 ٢٤٣ ٨ نعرف مسيره نعرف مصيره
 هامش (١٨) معها معه
 هامش (١٨) حسا احساسا
 ٢٤٤ هامش (١٩) oa on
 ٢٤٥ ١٥ الزمن فيها الزمن فيهما
 ١٦ وعادي عاد
 ١٧ قاسي قاس
 ١٤٦ ١٠ ظاهر ظاهراً
 ٢٢ ولن ولم
 ٢٤٨ ٢ فأنفها بأنفها
 ٢٤٩ ١٥ واقع وقع
 ٢٥٠ ٢١ ايماءات ايماءات
 ٢٥١ ٥ تلك كأن تلك
 ٢٥١ حاشية (٢٦) ص ٧١ ص ١٧
 ٢٥٤ ١٠ الحدث الحدود
 ٢٥٧ ١٢ معنى بعض
 ٢٥٨ ١٠ الشؤون جميع الشؤون
 ٢٥٩ ١ يتحول تحول
 ٢ احياننا احيانا

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٥٩	٥	صديقة	صحيفة	٢٦٩	١	يتعلم	يعلم
٩	٩	مقصوداً	مقصود	٧	٧	تبرهنه	تبرهن
٢٦٠	٢	بمسيرها	بمسيرها	٢٢	٢٢	يتلاشى	يتلاحم
١٥	١٥	العادية	المادية	٧	٧	تنطبق	تنطبق
٢٦١	٩	يصغي	يصيخ	١٢	١٢	وتفسد	وافسدت
١٢	١٢	يفسر	ينتقد	٢١	٢١	يكشف	يكشف
١٣	١٣	بها	بهما	٢٧٢	١٦	روايته	رواية
١٥	١٥	تصلي	لا تصلي	٢٧٣	٢	سبق	سبق
١٦	١٦	الصبيان	العميان	١٧	١٧	الحديث	الحديث
٢٦٢	١٠	شاملة	متأملة	٢٧٥	٢٧٥	عنه	عنده
٢٦٥	٢	ابغير	بغير	٢٨١	٣	روح التجربة	التجربة الروائية
٣	٣	السيئة	المضيئة	٢٨٣	١٥	يسحق	يسحق
٤	٤	روايته	قصته الطويلة	١٨	١٨	الغنس	انقس
٦	٦	روايته	روايته	٢٨٤	١٦	عليك أن عليك	الا
١٣	١٣	المطموس	الملموس	٢٨٤	١٦	عليك أن عليك	الا
٢٢	٢٢	التبشير	التبصير	٢٨٤	١٦	عليك أن عليك	الا
٢٦٦	٢	واقعية	واقعة	٢٨٧	٥	كمتتم	كمتتم
٩	٩	لم يراها	لم يرها	٢٨٨	١	دائرة	دوائر
٢٦٧	١٨	سهما	مهما	٢٨٩	٢	لسد الافواه	لكم الافواه
٢٦٨	٥	تعفي	تعهي	٢٨٩	٢	لسد الافواه	لكم الافواه
١٢	١٢	البديعية	البديعية	٢٨٩	٢	لسد الافواه	لكم الافواه

الصفحة السطر الخطأ الصواب	الصفحة السطر الخطأ الصواب
حاشية ٢٥ نموركي غوركى	٢٨٩ ١٥ لكث اكثر
نقص (٢٦) الدكتور	حاشية (١٣) فوي فهو
ابراهيم ص ١٢٨	حاشية (١٣) ١٩٥٣ ١٩٥٣ الاداب
٢٩٩ ٩ وباعتبارها باعتبارها	٢٩٠ ٢٠ باستطاعته باستطاعة
٩ نزوعه الى نزوعه	٢٩٣ ١٨ المفاسد المقاصد
١٦ تراه تراها	٢٩٥ ٤ الواقع الوقع
١٨ فما ومن	١١ خمسة خمسيا
٣٠٠ ١٠ غيره مثله	٢٩٦ ٩ لاثبات الا لاثبات
١٠ مثاليه مثاليه	هامش (٢٠) المصدر السابق ايوب
٣٠١ ٦ والشيخ والدكتور ابراهيم	(الدكتور ابراهيم)
ووالده والشيخ	٢٩٧ ١٨ فيها فيه
٣٠٣ ١٤ والانف الاصغر وصغر	« ٢٠ التنقية التقنية
الانف	حاشية ٢٢ اليد و . . الدكتور ابراهيم
٢٠ واستيطان واستيطان	حاشية ٢٣ « «
٣٠٤ ١١ يرجع يرجع	٢٩٨ ١٣ الزمنية الزمنية (٢٤)
١٧ خطأ حظاً	١٤ الخطأ الخطأ (٢٥)
٣٠٥ ١٦ سير سير	١٦ (٢٥) (٢٦)
٣٠٦ ١٤ ان اديب اديب	حاشية نقص (٢٤) انظر عبد
٢٠ دعايته دعايته	عبد القادر حسن
٣٠٧ ٧ ويستعين ويستعين	امين (القصص)
١٧ الفتاة القضاة	ص ١٨٤

الصفحة السطر الخطأ الضواب

١٢ ٣٠٨ ولا سيما لا سيما

١٨ تبدي تبدي

١٣ ٣١٠ لغته لفنه

٧ ٣١١ حلمها حالها

١٩ ٣١٢ فلم (نصيرة) فلم

٨ ٣١٣ يفصل يفصل

١٣ سيادته سعادته

٢ ٣١٥ لتعرف لتعرف

٧ شخصياته لشخصياته

١٢ عاديتان رماديتان

٦ ٣١٧ الفنية الفنية

١٥ تائفة تائفة ملتزمة (٥٣)

حاشية نقص (٥٣) المصدر

السابق ص ١٨

٦ ٣١٩ (٧٥) (٥٧)

حاشية ٥٧ لا رواية طويلة لا رواية

١ ٣٢٠ تكتب تكتب

١٦ منها منا

٩ تكشف نكتشف

١٢ بجذر بجذر

٥ ٣٢٣ صورة صوره

الصفحة السطر الخطأ الضواب

١٧ ٣٢٣ يستمتع يستمتع

٥ ٣٢٤ لهم لهم

حاشية ٦٣ العصري المصري

١٥ ٣٢٥ شروط شرط

١٩ وبذوات وبذوات

٢٠ اوالتحليل والتحليل

١١ ٣٢٦ ولكنها ولكنها

١٨ مراعا سراعا

٢٠ وسيم وسيميا

٥ ٣٢٧ جساد اجساد

٦ الرواية القصة

١٠ ٣٢٨ يجعلها يجعلها

٦ ٣٢٩ وبجمله وبجمل

١٢ ناقص (يلاحظ الاشارة

الى انها قصة لا

رواية

حاشية (٣) مستنفذ مستنفذ

٦ ٣٣٠ المدنية المدينة

٨ ٣٣١ وحدة في وحدة

٨ ٣٣٣ السكان المكان

١٨ انسات عانسات

الصفحة السطر الخطأ الصواب

حاشية ٧٥ الجمهورية الثورة

«» عام ١٩٦٥ ١٩٦٧

١٦ ٣٣٤ يتميز يتميز

٣ ٣٣٦ لينخاطبها لينخاطبها

٨ أكثر أكثر

١٠ وراء وراء

١٨ نقد نقد

حاشية ٧٨ ١٦ على ١٦٢ هـ

٧ ٣٣٨ أي أية

٦ ٣٣٩ وتغير وتغير

٧ ٣٤٢ وراح وراحت

«» ٨ الموقف الموقف في

٢ ٣٤٥ كل كان

٩ القصة الرواية

الصفحة السطر الخطأ الصواب

١١ ٣٥٤ القصة الرواية

قصة رواية

١٦٩٥ ١١ ٣٥٧ ١٩٦٥

٢ ٣٦٠ السنة السنة ١٩٣٩

٦ الدودي الداودي

١٢ الحسني الحسين

٢٠ ٣٦٨ الاحتلال الاحتلال

٦ ٣٦٣ الكتاب الكاتب

٥ ٣٢١ الرواية القصة

٧ ٣٢٤ فافترا فافترا

١٧،٢ ٣٣٥ الرواية القصة

١٤،١٣،١٢،٦ ٣٢٦ الرواية القصة

١٤،١٠،٦،٣ ٣٢٧ الرواية القصة

١١، ١ ٣٢٩ الرواية القصة

